مجلة الدراسات الإفريقية



العدد العشرون

١٩٩٨

يصدرها سنوياً معهد البحوث والدراسات الافريقية - جامعة القاهرة

مجلة الدراسات الإفريقيـة



العدد العشرون ١٩٩٨

يصـدرها سنوياً معهد البحــوث والدراســات الافريقية - جامعة القاهرة

ترسل المقالات والأبحاث على العنوان التالى :
الأستاذ الدكتور / السيد فليفل
معهد البحوث والدراسات الافريقية
جامعة القاهرة
ص.ب ١٢٦١٣ أورمان / جيزة
(ج.م.ع)

كلمـــــة

الأستاذ الدكتور / السيد على أحمد فليفل

عميد المعهد

ورئيس تحرير مجلة الدراسات الأفريقية

بين يدي القاريء الكريم العـدد العشـرون من مـجلة الدراسـات الأفـريقيـة والمختص بعام ١٩٩٨ ، والذي يواصل المعهـد من خلاله دفع مجلته العلميـة إلي الأمـام حتي نلحق بالزمن ، وتتـوافق الأعـداد مع الأعـوام سـعـيـاً لانتظامـهـا وتطويرها ، وإصدارها في ثوب قشيب .

ويتضمن العدد مجموعة متميزة من البحوث المحكمة التى تتوافق مع طبيعة المعهد وتكوينه العلمي ، وأدائه واتصالاته :

فالبحث الأول هو بحث أنثروبولوجي اختص بدراسة ظاهرة عمالة الأطفال في شرقي أفريقيا استناداً إلي دراسة ميدانية . وقد كتبته السيدة الدكتورة / سلوي درويش مدرس الأنثروبولوجيا في المعهد .

أما البحث الثاني فهو بحث تاريخي سياسي تناول جهاد الحاج عمر الفوتي تال التكروري ، وقياس هذا الجهاد علي النظرية الإسلامية في الجهاد من ناحية، وعلي الواقع السيـاسي من ناحيـة أخري . وقد أعده الدكتـور / الحسن يرولى رئيس قسم اللغة العربية في المدرسة العليا بجامعة الشيخ انتجوب بالسنغال ، وسيادته متخرج من معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ، قبل نحو أربعة عشـرة سنة ، ويعتز المعهـد بأن ينشـر لأحد خريجيـه وأن يتـواصل التفاعل وتستمر الصلات والروابط .

وأما البحث الثالث فقد أعده الدكتـور / عبد المنعم الدسوقي الأستـاذ المساعد بقسم التاريخ بكلية التربية جامعة المنصور عن التاريخ السياسي لمصر في عهد مسلمة بن مخلد الانصاري .

أما البحث الرابع فقد أعده الدكتور / محمود أبو العينين الأستاذ بقسم النظم السياسية والاقتصادية بالمعهد عن السياسة الأثيوبية تجاه أفريقيا مع التركيز علي منطقتي حوض النيل والقرن الأفريقي .

أما البحث السادس فقد كتبه الأستاذ الدكتور / چان مارك تيبو رئيس قسم الحشرات بالمتحف الوطني للتاريخ الطبيعي بباريس ويختص بدراسة حياة الحشرات في الصحاري الأفريقية ، بتركيز خاص علي الكولمبولا . وكان سيادته قد ألقي بحثه هذا خلال وجوده أستاذ زائرا بالمعهد .

وأما البحث السابع فقد كتبه الدكتور / سمير غبور الأستاذ بقسم الموارد الطبيعية بالمعهدَ عن ديدان الأرض في مصر ومصادرها الأفريقية .

وأما البحث الثامن فتعرض فيه الدكتورة / شاهيناز يوسف لتأثير الشمس والقمر علي إسهام أثيوبيا والهضبة الاستوائية في مياه النيل .

وبعد ، فإذ أشكر إسهامات الباحثين ، أتمني للقاريء مطالعة مفيدة في أعمالهم ، راجياً أن نفيد جميعاً من جهدهم وفكرهم ، وأن يكون المعهد قد أضاف إلي المكتبة الأفريقية جديداً .

وبالله التوفيق

أ.د. السيد فليفل

المحتويات

صفحة

باللغة العربية :

ظاهرة عمالة الأطفال في بعض مجتمعات شرقى أفريقيا الدوافع والآثار الأنثروبولوجية « دراسة ميدانية »

د . سلوى يوسف درويش *

تعد ظاهرة عمالة الأطفال من أهم المشكلات التى تشغل معظم الباحثين والمتخصصين فى الآونة الأخيرة لما لها من أضرار عديدة ، تعود على الطفل العامل وعلى أسرتة وعلى المجتمع ككل . وقد داب الأطفال منذ الأزل على مساعدة أسرهم داخل المنزل وخارجه دون أن يعد ذلك استغلالا لهم . وقد سلطت الأضواء حديثا على الأطفال العاملين بسبب إنتشار ظاهرة العمالة بأجر وبدون أجر لدى الغير ، وما قد تحمله من آثار سلبية على سلامة الطفل ونموه الصحى والذهنى والجسمانى ، لذلك أصبحت الظاهرة واقعية وملموسة بل وتشكل حجما يدعو إلى الاهتمام نظرا لأن لها سمات متفردة مثل نوع العمل وضالة الأجور علاوة على الأسباب التى تدفع إلى تشغيل الأبناء .

وقد زاد الاهتمام فى السنوات الأخيرة بمشكلة عمالة الأطفال والاهتمام العالمى بالطفل وصدور الوثيقة الخاصة بحقوق الطفل ، لذا اهتمت الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة بدراسة هذه الظاهرة والعناية بها لأنها من الموضوعات التى يجب أن تدرس فى كافة المجتمعات لاسيما الفقيرة منها والتى ينتشر فيها أطفال الشوارع بشكل واضح وملموس ، وقد ركزت هذه الدراسات على العمل الجبرى للطفل متضمنا الثقافة السائدة فى المجتمع .

* قسم الأنثربولوجيا - معهد البحوث والدراسات الأفريقية .

وعمالة الأطفال ليست مشكلة فى حد ذاتها بقدر ما يترتب عليها من مشاكل فالطفل الذى يعمل أعمالا بسيطة لا تعرضه لمخاطر صحية ولا تعوقه عن الاستمرار فى عملة فهذا السمل لا يسبب مشكلة ، أما العمالة التى تؤدى للعديد من المشاكل الجسيمة فهى قيام الطفل بالعمل فى أعمال ضارة بصحتة لاتناسب سنه وقدراته هذا مع ترك المدرسة والاتجاه للعمل فهذه هى المشكلة، ذلك لما يترتب عليها من نتائج سلبية وأضرار كثيرة تعود على الطفل العامل وعلى المجتمع .

الإطار النظرى للدراسة :

نظرا للأهمية الكبيرة للفترة الأولى من حياة الطفل وتأثيرها المباشر على تكوينه الجسمى ونمو شخصيته طول حياته ، ونظرا لأهمية ظاهرة عمالة الطفل على المستوى الشخصى ومستوى الأسرة والمجتمع ككل، بدأ اهتمام الباحثة بهذا الموضوع ساعية فى دراستها التعرف على الأسباب الاجتماعية التى تدفع الطفل للعمل في بعض مجتمعات شرق إفريقية التى يختلف نسيجها الثقافى عن باقى المجتمعات ، وذلك بهدف توضيح الإيجابيات والسلبيات ومن ثم وضع بعض الحلول التى يمكن أن تساعد فى حل المشكلة .

وقد قامت الباحثة بدراسة ميدانية عن المراة والطفل فى كل من أوغندا وكينيا وتنزانيا كنماذج لمجتمعات شرق إفريقية بغرض التعرف على عمل كل من المرأة والطفل فى هذه الدول وقد إستغرقت الدراسة الميدانية عام .

وقد اعتمدت الباحثة على الملاحظة بالمشاركة من خلال إقامة الباحثة فى أوغندا وعمل زيارات لكل من كينيا وتنزانيا ، والاحتكاك المباشر بأعضاء هذه المجتمعات . كذلك تمت إجراء المقابلات الموجهة وغير الموجهة للحصول على البيانات .

وقد إستخدمت الباحثة المنهج الانتروبولوجى القائم على وصف وتحليل المادة الأثنوجرافية واختبار صحة الدراسات المتاحة عن المجتمعات المدروسة . كذلك إستخدمت الباحثة المنهج المقارن بغرض إجراء مقارنة بين المجتمعات التى درست

ميدانيا عن شرق إفريقية والمجتمعات الإفريقية الأخرى التى أتيحت عنها دراسات عن عمالة الأطفال مثل نيجيريا زيمبابوى - الكاميرون - ومصر بغرض التعرف على أثر القيم الثقافية على إنتشار ظاهرة عمالة الأطفال فى القارة الإفريقية .

ويحدد مفهوم الطفولة لدى الغرب بمحددات زمنية أو عمرية، لكن فى العديد من الثقافات لا يعتبر السن أساسا كافيا لتعريف الطفولة، بل يندرج تحت هذا المفهوم محددات إجتماعية تتمثل فى أداء بعض الطقوس الإجتماعية والمسئوليات التقليدية والتى تعتبر متطلبات ضرورية لتعرف وضع الإنسان كبالغ أو طفل، ولا ينظر إلى هذه المسئوليات على أنها أعباء تقع على عاهل الطفل، ولأنه قد تدرب عليها من خلال عملية التنشئة الإجتماعية بإشتراكه في الأنشطة والمهارات التقليدية التي تخدم الأسرة(١) .

ويعرف الطفل بأنه إنسان يحتاج لحماية من أجل نموه البدني والنفسي والفكري ، حتي يصبح بمقدوره الإنضمام لعالم البالغين ، إن وضع الطفل هو وضع فرد فى حاجة إلى رعاية تقدم من جهة الأسر ، وتقدمها من جهة أخرى مؤسسات تعليمية ، وإجتماعية فى ظل تشريعات وقوانين تعارف عليها (٢) .

وقد نص التشريع المصرى طبقا لقانون ١٣٧ لسنة ١٩٨١ مادة ١٤٣ على أنه يعتبر حدثا كل من الاناث والذكور البالغين أثنى عشر سنة كاملة ، ويحظر تشغيل أو تدريب الصبية قبل بلوغهم أثنى عشر سنة كاملة (٣) .

والطفولة هى مرحلة عمرية يمر بها الكائن وهى أكثر المراحل التى يتزايد فيها إحتياج الطفل للأسرة والمجتمع معا ، ذلك لعدم قدرته على الاعتماد على نفسه وتحديد مصيره ، كما أنها أكثر المراحل التى يمكن فيها التأثير على الطفل ، وتحويله من كائن بيولوجى لكائن إجتماعى يتصرف وفق معايير إجتماعية معينة تتطابق مع المجتمع المحيط به . أما عمالة الأطفال هى تشغيل الأطفال من الجنسين فى سن مبكرة ، وقد حرم القانون عمل الطفل دون سن الخامسة عشر لما لها من آثار سيئة على صحة الطفل

وعلى مستقبله ، ذلك لأن عمل الطفل فى سن مبكرة يحرمه من الاستمرار فى دراسته مما يؤثر سلبا على مستقبله .

ويشير مصطلح عمالة الأطفال إلى أشياء سلبية فى لغة بعض المجتمعات الإفريقية ففي اللغة الأمهرية (لغة أثيوبيا) يطلق على الأطفال العاملين في الشوارع Doorrya وتعنى لغويا شخص ينتمى إلي القفر أو الغابة ، أى أنه غير أليف ، وهذا يعنى أن هولاء الأطفال خارج نطاق السيطرة من الأسرة أو المجتمع .

أما فى Luganda لغة التحدث في معظم أوغندا يطلق علي طفل الشارع Muyaalye ويعنى بها الطفل المتشرد وذلك لأنه من المفترض أن يتلقى الطفل الرعاية الكاملة من العائلة بصرف النظر عن ميوله ورغباته (٤) .

وتشير عمالة الأطفال فى الدراسة إلى الأطفال من الجنسين من سن ٦ - ١٥ سنة ولا يشترط القيام بعمل معين على أن يكون الطفل قد أمضى فى العمل فترة لا تقل عن ٦ شهور (٥) .

وتشكل ظاهرة عمالة الأطفال مشكلة كبيرة ، حيث قدرت منظمة العمل الدولية عددهم عام ١٩٩٠ بحوالى خمسين مليون طفل، إلا أن هذا الرقم يقل عن الحجم الحقيقى لهؤلاء الأطفال ، وأن الرقم الحقيقى يتعدى فى العالم المائتى مليون طفل تقريباً(٦) ، وتحديد هذا الرقم صعب للغاية ، وذلك لعدم توفر الإحصائيات الدقيقة، فعظم هولاء الأطفال يعملون فى القطاعات غير الرسمية Informal sectors والتى لا توجد بيانات كافية عنها بالأضافة إلى ارتباط هذه الظاهرة بالتراث الثقافى والإجتماعى للمجتمعات .

وتشيع الظاهرة فى دول العالم النامى فى كل من أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، بينما تكاد تخلو منها بلدان أوروبا وأمريكا وأستراليا واليابان ، وقد وصل حجم هؤلاء الأطفال فى بعض القارات مثل قارة آسيا حوالى ١١٪ من جملة عدد السكان؛ ففى الهند قدر عدد الأطفال العاملين بنحو ٤٤ مليون طفل، وفى إندونيسيا ٢.٧ مليون

طفل سنة ١٩٩٠ يعـملون فى ظل ظروف سـيـئـة للغـاية وأن هذا العـدد فى زيادة مستمرة[٧].

أما فى الولايات المتحدة الأمريكية هناك نسبة قليلة من الأطفال الذين يعملون فى قطاع الزراعة ومعظم هؤلاء من المهاجرين ، أكدت الدراسات أن هناك ٢٥٪ زيادة فى حجم عمـالة الأطفـال فى سنـة ١٩٩٠ بالمقـارنة بسنة ١٩٨٠، حيث وجـد أن هناك ١١ ألف طفل يعملون بطرق غير رسمية وفى غير سن العمل [٨].

ومما لا شك فـيـه أن مـواجهـة المشكلة صـعب للغـاية ، فـهى مـشكلة اقـتـصـادية بطبيعتها ، إلا أن لها آثاراً إجتماعية .

ويزيد الطلب على عمـالة الأطفـال فى الدول ذات الاقـتـصـاديات المختلفـة التى لم يتبلور اقتصادها بشكل كاف يمكنها من الاستغناء عن عمل الأطفال و فعلى الرغم من أن كثـير من هذه المجـتـمـعات تعـانى من ارتفاع مـعدلات البطالة بين الرجال إلا أنـها ينتشر فـيـهـا عـمـالة الأطفـال ويمكن إرجاع ذلك إلى أنخفـاض أجور الأطفـال مقـارنة بالشباب .

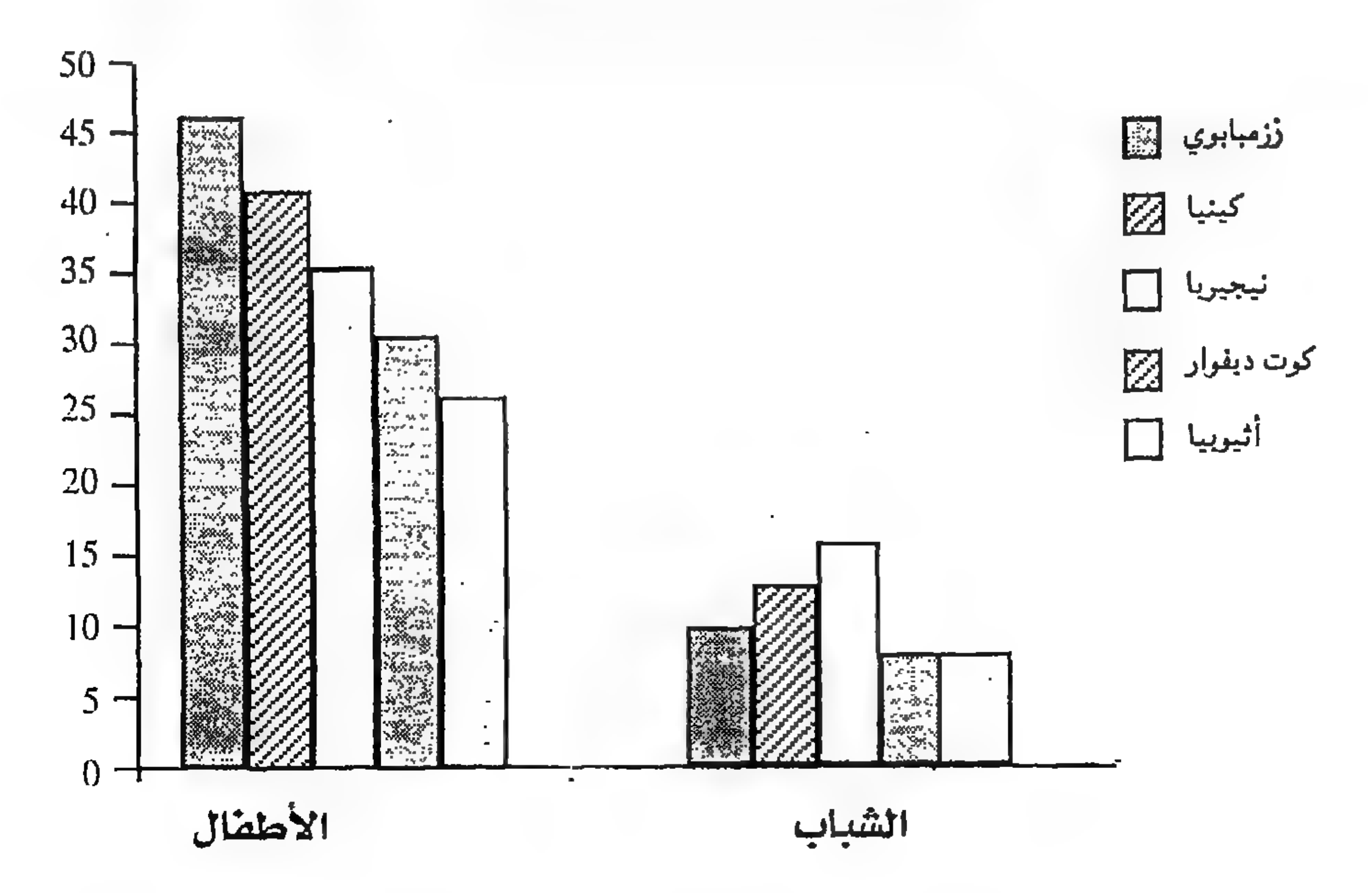
وتعد قارة إفريقيـا من أكثر قارات العـالم احتواء لهذه الظاهرة لمالها من إرتباط واضح ببنية المجتمع الإفريقى والأيديولوجيات السائدة فيه ، حيث تشير التقارير إلى حوالى ٢٢٪ من الأطفـال يعـملون من سن ١٠ : ١٤ سنة ويشكلون حـوالى ٢٦،٣٪ من قـوة العـمل ، وتبلغ النسـبـة أعلى مـعـدلاتهـا فى إقليم شرق إفـريـقـيـا ويمثل نحـو ٣٢،٩٪ من قـوة العـمل، ففى كينيا وحدها تشكل عـمالة الأطفال من سن ١٠ : ١٤ سنة حوالى ٤١،٣٪ من قوة العمل، وفـى تنزانيا تبلغ النسبة ٤٢،١٪ من قـوة العمل وفى أوغندا ٤٥،٣٪ من قـوة العـمل فى سنة ١٩٩٥. يليه إقليم غرب إفريقيا بنسبة ٢٤،٢٪ [٩].

ففى نيـجيريا وحدها حوالى ٢٢ مليون طفل يشاركون فى قطاعات العمل المختلفة سواء الرسميـة أو غـير الرسمية يشكلون نسبة ٢٥،٨٪ من قـوة العـمل سنة ١٩٩٥ ،

كما أنه من بين ٢٥ دولة إفريقية هناك ٢٠ منها يعيشون فى حالة فقر وأن وضع هؤلاء الأطفال سيزداد سواء نتيجة الحروب والصراعات وأنتشار ظاهرة أطفال الشوارع بصورة أوسع ، وتجدر الإشارة إلى أنه خلال الفترة من ١٩٨٥ حتى سنة ٢٠٠٠ كانت هناك حاجة شديدة إلى تشغيل الأطفال فى سن صغيرة (١٠).

والجدول التالى يوضح النسبة المئوية للعاملين من الأطفال والشباب فى بعض الدول الإفريقية ١٩٩٣(١١).

الدولة	الأطفال ٪ من جملة القوي العاملة	الشباب ٪ من جملة القوي العاملة
زمبابوي	٤٧	١٠
كينيا	٤٠	١٢
نيجيريا	٣٤	١٣
كوت ديفوار	٣٠	٧
أثيوبيا	٢٠	٧



من الجدول يتضح أن ارتفاع نسبة عمالة الأطفال مقارنة بالشباب ، حيث تبلغ أكبر معدلاتها فى زمبابوى بنسبة ٤٧٪ فى مقابل ١٠٪ من الشباب ، تليها كينيا بلغت النسبة ٤٠٪ مقابل ١٢٪ من الشباب ، ثم نيجيريا ٣٤٪ مقابل ١٣٪ من الشباب ، وقد بلغت النسبة ٣٠٪ فى كوت ديفوار مقابل ٧٪ من الشباب وكانت أقل هذه الدول هى أثيوبيا حيث بلغت النسبة ٢٠٪ مقابل ٧٪ من الشباب .

ويمكن إرجاع زيادة عدد الأطفال العاملين مقارنة بالشباب إلي أن عمل الأطفال يكون بأجور زهيدة مقارنة بالشباب علاوة على أن الأطفال يعملون فى الحرف التى لاتحتاج إلى الخبرة الفنية .

الملامح المميزة لظاهرة عمالة الأطفال :

تعد عمالة الأطفال ظاهرة عالمية تشمل كافة المجتمعات المتخلفة عامة وإفريقيا خاصة ، ويمكن أن نلاحظ على هذه الظاهرة الآتى :

أولاً : أن هناك علاقة عكسية بين درجة التقدم الاقتصادى وارتفاع نسبة عمالة الأطفال . ويمكن القول بأن استغلال الأطفال في العمل يعد نتيجة للعديد من المواقف المعقدة الناجمة عن قصور فى التنمية (١٢).

وترتبط فكرة عمل الطفل بتقاليد المجتمع واتجاهاته ، وبالرغم من تأثير الأسرة على قرار عمل الطفل ، فإن المسئولية تقع على المجتمع بأكمله ، فظاهرة عمالة الأطفال ليست منعزلة عما يدور فى المجتمع .

ويعرف العمل Work على أنه أي نشاط إنسانى يقوم به الفرد ويساعد على بقائه . أما العمالة Labour فيعنى بها أي نشاط بدنى أو جسمانى مخطط يكفل البقاء ويوجه إلى الإستهلاك مباشرة(١٣).

ويشمل مفهوم العمل جميع الأعمال الموجة أو غير الموجهة ويدخل فى إطاره أطفال الشوارع باعتبار أن مفهوم العمل أشمل من مفهوم العمالة . وتشتمل كل المجتمعات

الانسانية على نشاطات أساسية ونشاطات غير أساسية لكنها جميعا تساعد على بقاء الأفراد لذلك يمكن القول بأن أي نشاط إنساني يسمى عملا (١٤).

فالأطفال الذين يعملون وهم فى سن صغيرة فى أعمال المنزل أو المهام البسيطة والسريعة التى تؤول إليهم من قبل الآباء للمساعدة في العمل الزراعى تعد من المهام التقليدية الشائعة فى المجتمعات الزراعية ، ويتحمل الطفل من خلال هذه المهام المسئولية واكتساب المهارات التى تؤهله للدخول في جماعات الرجال ، ويشيع فى الولايات المتحدة واليابات تشجيع الأطفال على العمل لساعات قليلة لاكتساب الخبرة، والمهارة منذ الصغر على ألا تؤثر هذه الأعمال على طفولتهم . وهذه تسمى عملا وليست عمالة .

ومفهوم عمالة الأطفال أكثر تحديدا وضيقا من مفهوم العمل ، لأن مفهوم العمالة يرتبط بالأعمال التى يقوم بها الطفل في سن صغيرة لا تتعدى السنوات السبع الأولى من العمر بعيدا عن سلطة الآباء وسيطرتهم ، كذلك يعمل هؤلاء الأطفال لفترات طويلة تصل إلى حوالى ١٦ ساعة يوميا ويقومون بأعمال قاسية من الناحية الاجتماعية والنفسية مقابل أجور زهيدة (١٥). ويطلق على هؤلاء الأطفال أطفال الشوارع الذين يعملون في ظروف صحية غير مواتية ومن ثم تشكل خطورة كبيرة عليهم ، ويمكن إرجاع عمل الأطفال فى ظل هذه الظروف القاسية إلى انتشار الفقر وحاجة الأسرة إلى العائد الاقتصادى من عمل الطفل دون مراعاة للأضرار التى قد تلحق به لأن بقاء العائلة يكون بدعم كل عضو فيها .

ثانيا: تختلف عمالة الأطفال فى المناطق الريفية عنها فى المناطق الحضرية ، لأن هناك اختلاف بين الأسر الريفية والأسر الحضرية فى الاتجاهات المتصلة بحجم الأسرة ، ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة النشاط السائد فى الريف والذى يحتاج إلى عمالة الأطفال(١٦). ففى المناطق الريفية يعمل الأطفال لمساعدة الآباء فى أعمال الزراعة البسيطة أو فى تجارة الحاصلات الزراعية البسيطة مثل الكسافا والفول ، وهذا النمط

شائع في معظم دول شرق إفريقية مثل أوغندا وكينيا التى تتحمل فيها المرأة مسئولية العمل الزراعى ، ومن ثم تلجأ إلى الأطفال لمساندتها وتقوية مركزها الاجتماعى والاقتصادى ولايكون للأطفال عائد اقتصادى من هذه الأعمال ، وهناك ترابط واضح بين أنشطة العائلة الواحدة منذ بداية الاهتمام بمراقبة الحيوانات وجمع خشب الوقود وجلب مياه الشرب فى سن صغيرة ، وحتى تعلم بذر البذور فى مراحل متأخرة .

وتعمل العائلة فى المناطق الريفية كفريق واحد متكامل فى عملية تجارة وتسويق الحاصلات الزراعية ، فهذه تعد من المهام الصعبة التى تحتاج إلى أن تبدو فيها العائلة كوحدة إجتماعية اقتصادية واحدة ، ويعمل الأطفال فى نطاق العائلة، وهذا النوع من العمل يعد إمتدادا طبيعيا لعملية التنشئة الاجتماعية فى إطار النسق الإجتماعى والاقتصادى السائد فى المجتمع . ففى منطقة جازانكولو شرق الترنسفال وهى منطقة زراعية يعمل سكانها بالزراعة ، تختلف النظرة العامة لعمل الأطفال وفقا للسن كذلك الوضع الاقتصادى والاجتماعى للعائلة ، فيظل الشاب فى عداد الأطفال إذا كان غير متزوج كذلك الحال بالنسبة للفتيات ومن ثم تتحدد المهام المخولة إليه فى هذه الفترة لأن هؤلاء الأطفال يشكلون عبئا أقتصاديا على العائلة ، ومن ثم يكون عليهم التزاماً إجتماعياً تجاه العائلة كنوع من الوفاء وبالدين نظير التربية فتقوم الفتيان بمهام الرعى بالأضافة إلى أعباء البيت، أما الذكور فيقومون بالمساعدة فى بناء المنازل، ويختلف عمل الأطفال فى العائلات التى تتمتع بوضع اقتصادى واجتماعى أفضل حيث يكون هناك فائضا اقتصاديا ومن ثم يتمتع هؤلاء الأطفال بمرحلة الطفولة (١٧) . من خلال تأدية الدور الطبيعى للطفل وهو اللعب فى السن الصغيرة وتوفير الحياة الملائمة له .

وتختلف عمالة الأطفال فى المناطق الحضرية عنها فى المناطق الريفية ، حيث يعمل الأطفال فى المناطق الحضرية فى أعمال يتقاضون من خلالها الأجور مثل العمل في منازل الأغنياء أو فى المصانع الصغيرة غير الرسمية ويكون ذلك من خلال الأسرة فى الحالة الأولى، ويظل هولاء الأطفال فى العمل دون معرفة المدة التى سوف يقضونها أو

حتى مقدار ما يتقاضونه منها لأن العائد النهائى يكون للأسرة ، كذلك لا يختلف الحال كثيرا فى القطاع غير الرسمى فعندما تكون الأسرة على دراية بهذا العمل يكون العائد لها أيضا .

والسبب الرئيسى لعمالة الأطفال فى الحضر هو الفقر الشديد ورغبة ذات الدخل المحدود فى زيادة دخلها حيث أن الأطفال يشكلون عبئا كبيرا على كاهل الأسرة لاسيما إذا زاد عدد الأطفال فى الأسرة وهو ما يحدث غالبا ، ولكن هذا ليس السبب الوحيد ، فعديد من الأطفال يعملون نتيجة لبفشل فى الدراسة والتسرب منها فى مراحل مبكرة. وهناك علاقة معقدة بين العمل والمدرسة لا سيما فى المجتمعات الفقيرة ، فالأطفال فى هذه المجتمعات يحتاجون إلى العمل والحصول على الأجر أكثر من حاجتهم للذهاب إلى المدرسة وذلك لواجهة متطلبات المعيشة الملحة ،ومع ذلك يعمل الأطفال فى بعض المجتمعات الإفريقية من أجل المدرسة والاستمرار فيها ، ففى كينيا تبلغ تكلفة المدرسة للطفل الواحد حوالى ٢٠٠٠ شلن كينى أى حوالى ٧٠ دولار سنوياً ، وهذا يشكل عبئا كبيرا على الأسر الفقيرة ، ومن ثم يعمل الأطفال الفقراء فى الشوارع للكسب والحصول على المال لدفع تكاليف المدرسة والاستمرار فيها (١٨) .

ولا يختلف الحال كثيراً فى أوغندا عن كينيا حيث يعمل الأطفال كباعة جائلين فى الأسواق اليومية أو الأسبوعية أيام الأجازات لمواجهة متطلبات الدراسة .

ثالثا : تختلف نوع الأعمال وفقاً للجنس والنوع فهناك أعمال تقوم بها الفتيات وأعمال أخرى يقوم بها الفتيان ، ففى المناطق الريفية تتحمل الفتاة المسئولية وتقوم بالأعباء والمهمات المنزلية مع الأم مثل العناية بالصغار ، وهذه من المهام الرئيسية التى تقع على عاتق الفتاة فى معظم مجتمعات شرق إفريقية لأنها تعد إمتدادا لدور الأم فى الأسرة وتمهيدا لإعداد هذه الفتاة لأن تصبح هى الأخرى أما مسئولة فى المستقبل من خلال هذه التدريبات المبكرة . أما فى المناطق الحضرية تفضل الأسر عمل الفتاة فى الخدمة فى منازل الأغنياء كما هو الحال فى مصر ، أو العمل فى بيع الحلوى فى

الميادين العامة، أو العمل فى الحانات الليلية مقابل الحصول على مبالغ كبيرة لسد إحتياجات الأسرة والفتاة معاً دون مراعاة للتقاليد أو القيم الدينية أو لسن الفتاة التى لا يتعدى الثالثة عشر من عمرها . ويشيع هذا النمط فى كثير من مجتمعات شرق إفريقيا كما هو الحال فى أوغندا وكينيا ، أما الذكور فتختلف نوع الأعمال المخولة إليهم إبتداء من العمل فى الشوارع وبيع المنتجات الصغيرة مثل بيع المشغولات الخشبية التى تتميز بالمهارة الفنية ويشيع هذا النمط بين الأطفال التنزانيين ، وحتى العمل فى المصانع الصغيرة فى الأعمال غير الفنية (١٩).

رابعاً: هناك إتجاه آخر لتحديد أنواع العمالة وتقسيمها وفقاً للسن على اعتبار أن هناك مهام مقسمة بدقة بين أعضاء الجماعة الواحدة ، فما يقوم به الصغار دون العاشرة يختلف عن ما يقوم به الأطفال الأكبر سنا أو الشباب أو حتى كبار السن ، وهذا التقسيم يسير وفق خطة محكمة ودقيقة تحددها عملية التنشئة الإجتماعية وذلك بغرض إحداث التوازن فى المجتمع ، ويختلف هذا التقسيم من مجتمع لآخر ، ففى نيجيريا نجد أن الطفل الصغير من سن السابعة وحتى العاشرة تناط به أعمال بسيطة مثل شراء المواد الغذائية من المتاجر القريبة ، بينما هذه الأعمال لا يعهد بها فى مجتمعات أخرى إلا للأطفال الأكبر سنا والأكثر قدرة على تحمل المسئولية ، كما أن النظرة للمولود الأول تختلف عن باقى الآبناء خاصة المولود الأخير ، فالطفل الأول عند قبيلة الهوسا فى نيجيريا يعهد برعايته إلى أقاربه لتربيته وتنشئته بعيداً عن الأسرة وللتاكيد على دور الجماعة القرابية فى الأعداد لمرحلة الشباب ، وفى نفس الوقت يتحمل باقى الأطفال فى الأسرة مسئولية العمل وتوفير الدخل المناسب للأنفاق على الأسرة (٢٠).

وهذا نتيجة تأثيرهم بالعرب والمسلمين ، فقد كان الرسول ﷺ، يدرب أطفال المسلمين منذ الصغر على تحمل المسئوليات فى مجال الأعمال المختلفة لتنمو شخصيتهم، ويعتمدوا على أنفسهم فى تحمل أعباء المعيشة ، وإنجاز الأعمال الهامة

التى تتطلبها منهم الدعوة الإسلامية فى الدفاع عنها ونشرها بين الناس ، ومن ناحية أخرى أعتماد كل منهم على نفسه فى إتخاذ مهنه له يكسب منها رزقه ولا يكون عاله على غيره وطريقة الرسول ﷺ هى تطبيق لأحدث نظريات التربية المبنية على معرفة عميقة بعلم نفس الطفل ، التى تدعو لإتاحة الفرصة للأطفال منذ نعومة أظافرهم لممارسة بعض الأعمال التى يدرجون فيها على تحمل أعباء الحياة ، ولا يجوز الاستمرار فى الاعتماد على الأسرة في تلبية حاجاتهم المختلفة وعدم تكليف أنفسهم ببذل أى جهد وتحمل أى صعوبة حتى مرحلة الشباب وهذا ما يجعلهم عاجزين على مواجهة الصعوبات فى المستقبل(٢١).

الدوافع الأنثروبولوجية لظاهرة عمالة الأطفال فى أفريقيا

لافت دراسة عمالة الأطفال فى المجتمعات الأفريقية إهتماماً بالغاً لدى الأنثروبولوجيين لإرتباط الظاهرة بالقيم السائدة فى هذه المجتمعات، لذلك إرتبطت العوامل والأسباب المؤدية لظاهرة عمالة الأطفال بخصوصية المجتمع وظروفه لأنهما تسهمان فى تشكيل نوعية الحياة .

وفى مجال البحث عن العوامل التى تسهم فى إحداث ظاهرة عمالة الأطفال يتعين أولاً التمييز بين العوامل التى ترتبط بالظاهرة إرتباطاً مؤثراً فى ترتيبها وإحداثها وبين الظروف والعوامل الأخرى التى تحيط بالظاهرة ويقتصر أثرها على خلق المناخ المناسب أو الميسر لتفاعل العوامل المؤثرة فى إحداث الظاهرة .

وقد تتعدد العوامل التى تتصل بالظاهرة الإجتماعية وعندئذ يثور التساؤل عن مدى إرتباطا كل منها وتأثيره فى الظاهرة وتنقسم الآراء إلي مذهبين أحدهما يذهب إلى أن كل عامل يعتبر متكافئاً مع سائر العوامل الأخرى ، وبالتالى تكون كل العوامل على قدم المساواة فى تأثيرها ، ويرفض المذهب الثانى فكرة المساواة بين العوامل ، ويرى ضرورة البحث عن العوامل المنتجة أى الملائمة والمؤدية إلى إحداث الظاهرة .

أولاً: العوامل التى تحيط بظاهرة الأطفال وتعمل على خلق المناخ المناسب لها فى القارة الأفريقية.

(١) **العوامل السكانية :** يسعى البعض إلى الربط بين عمالة الأطفال وبعض الظواهر السكانية مثل إرتفاع معدلات الإنجاب والهجرة من الريف للحضر بالإضافة إلى نظام تعدد الزوجات وهو الشكل السائد للزواج فى افريقيا .

فلقد أكدت الدراسات الديموجرافية الحديثة على أن الشكل الحالى للسكان فى القارة الإفريقية جنوب الصحراء يعكس عدة مؤشرات هامة منها أن هناك ٣٩ دولة

جنوب الصحراء تعدادها حوالى ٤٠٩ مليون نسمة ١٩٩٥ ، وأن هناك زيادة حوالى ٢ر٩٪ سنوياً متوسط (١٩٨٠ - ١٩٩٥) ، والسبب الرئيسى لهذه النسبة المرتفعة هى إرتفاع معدلات المواليد بشكل واضح مع إنخفاض معدلات الوفيات ويمكن إرجاع ذلك إلى الزواج المبكر للفتاة حيث تتزوج الفتيات فى سن صغيرة ومن ثم تكون أكثر قدرة على الإنجاب وتكراره لعدة مرات (٢٣).

ويختلف سن الزواج فى إفريقيا من مجتمع إلى آخر ويتراوح عامة ما بين سن ١٧ - ٢٤ سنة ، ويدخل الرجال الحياة الزوجية فى سن متأخر نسبياً عن النساء فأقل معدل سن زواج للرجال تم تسجيله فى النيجر ٢١ سنة ، حيث تتزوج النساء فى غرب إفريقيا مبكراً عن الرجال ، على خلاف ما هو قائم فى معظم الدول الأفريقية الواقعة جنوب الصحراء حيث تتزوج النساء فى سن أكبر نسبياً ، وفى غرب افريقياً نجد أن فرق السن بين الرجال والنساء عند الزواج لأول مرة يعتبر أكبر ما يكون ، حيث يبلغ فى المتوسط ٤ر٨ سنة ، بينما تمثل جنوب إفريقيا أعلى سن للزواج فى أول مرة لدى كل من الرجال والنساء ، ويمكن إرجاع ذلك إلى هجرة العمالة فى الصناعات التعدينية (هجرة داخلية) بالإضافة إلى إنتشار التعلم ، ومن ثم يمثل عائقاً لتكون أسرة جديدة فى سن مبكرة علاوة على الوعى الزائد بالمقارنة بالمناطق الأخرى (٢٤).

وترتفع نسبة المواليد بشكل واضح فى هذه المجتمعات فى ظل نظام البدنة والقرابة الممتدة التى تعتمد على نظام الإنحدار ، وقد بلغ معدل المواليد والذى يعكس مستوى الخصوبة فى القارة ٢ر٤٪ ويتباين هذا المعدل من دولة إلى أخرى ، وتعد العوامل التى تقف إلى جانب ارتفاع معدلات المواليد فى إفريقية مثل قيمة عمل الطفل ونقص الضمان الإجتماعى بالإضافة إلى المتغيرات الإجتماعية والثقافية التى تؤثر على ارتفاع معدلات المواليد مثل الزواج المبكر، وممارسة الضغوط الإجتماعية على الأرامل فى سن الإخصاب للزواج مرة أخرى (٢٥).

ويعتبر الطفل فى ظل نظام البدنة إمتدادا لها ، ومن ثم فكثرة الإنجاب تعمل على

تقوية وحدة البدنة الإجتماعية والإقتصادية والسياسية فى مقابل البدنات الأخرى ، ويتربى الطفل من خلال النظام القرابى السائد على أنظمة تقليدية ثابتة مثل أنظمة القرابة والزواج والنسب وأيضاً إمتلاك الأرض ، بالإضافة إلى نقص المعرفة والفقر الشديد ، وكلها عوامل يمكن أن تؤدى إلى عدم الدراية بحقوق الأطفال .

وهناك إرتباط كبير بين إرتفاع معدلات الإنجاب والنظام الدينى السائد فى بعض المجتمعات الإفريقية ، حيث يعتبر إنجاب إرضاء لأرواح الأسلاف وامتداداً لهم ، وأن عدم الإنجاب يعتبر غضب من الأرواح تجاه أعضاء البدنة ، لأن الأطفال لايعتبرون امتداداً لآبائهم البيولوجيين فقط ، لكنهم إمتداداً للبدنة والتمركز حول الجماعة القرابية(٢٦) .

لذلك فإن أهم ما يميز الأسرة الأفريقية بصورة عامة هى كبر الحجم بالمقارنة بالمجتمعات الأخرى على اعتبار أن الأطفال قيمة كبيرة لا يمكن التخلى عنها ، لهذا تبقى الوظيفية الإنجابية هى أهم الوظائف سواء فى الريف أو الحضر على الرغم من تدنى الأوضاع الإقتصادية بدرجة لاتسمح بهذه الزيادة الكبيرة والتى تشكل عبئاً على هذه الظروف المتدنية وعبئاً أكبر على أى محاولة جادة للتنمية الإجتماعيبة والإقتصادية فى هذه المجتمعات .

ومع اختلاف الظروف والأوضاع بين الدول الإفريقية إلا أن سيادة المفاهيم الخاصة بقيمة الأبناء تبقى هى الوظيفة الأساسية للأسرة فى ظل نظام العائلة الممتدة السائدة فى الريف فى بعض دول شرق القارة مثل أو غندا وكينيا وتنزانيا كذلك فى نيجيريا الذى تتدفق منه أعداداً كبيرة من الأطفال إلى المدن ، ومن ثم يشكلون عبئاً كبيراً على هذه المدن الفقيرة .

ويعد موضوع الهجرة من الريف إلى الحضر من الموضوعات ذات الأهمية الكبيرة والمؤثرة على وضع الأسرة فى القارة الافريقية ، ويعنى بها هنا الهجرة الداخلية للبحث عن عمل فى المدينة ذات الأوضاع الأفضل ، وهذه الهجرات تعتبر هجرات اختيارية ومؤقتة وترجع أساساً إلى العامل الإقتصادى وزيادة الدخل ، وتكون فى الغالب من

جانب الذكور دون الإناث وهنا يترك الرجل الأطفال فى رعاية الزوجة وأيضاً يترك لها قطعة الأرض التى يمتلكها ، ومن ثم تتحمل المرأة مسئولية الأبناء والأرض ، ويقوم الأطفال معها بالمهام الخاصة بالزراعة على أن تقوم الفتيات بالأعمال الخاصة بالمنزل ورعاية الرضع(٢٧) .

(٢) إنخفاض المستوى التعليمى للأسرة

ويقوم التعليم بدور أساسى فى خفض معدل الانجاب ، فالأم المتعلمة هى أكثر الأمهات قدرة على التحكم فى ضبط الإنجاب ، وهو أمر يرجع فى جانب منه إلى التعلم نفسه، والجانب الآخر طبيعية النشاط الذى يفرضه التعلم على المرأة ، وطبيعة الوضع المتميز الذى تحظى به داخل المجتمع المحلى خاصة المجتمع الريفى(٢٨) . وتختلف العلاقة بين الخصوبة والعمل بأختلاف المراحل التى تمر بها المرأة خلال دورة حياتها ، ومن المحتمل أن نجد نمطاً معيناً من العمالة كالعمل الزراعى أو العمل فى التجارة الصغيرة يشجع على مزيد من الإنجاب ، حيث ينظر إليه على أنه أحد مصادر الدخل الأساسية فى الأسرة(٢٩) .

ويؤدى تدنى المستوى التعليمى للأباء والتحاق الأغلبية منهم بأعمال حرفيه أو يدوية مع تدنى الدخل، كل هذه العوامل أثرت على إرسال الأبناء للعمل من أجل تعلم صنعة تفيدهم ، لذا يتضح أن الأباء الذين لم ينالوا قسطاً من التعليم لايبذلون أى محاولة للتغلب على الصعوبات التى تواجه أطفالهم فى التعليم ، لأن قيمة التعليم لديهم ليست قوية أو غير معروفة .

(٣) البيئة الأسـرة :

تزعم بعض الآراء أن عمالة الأطفال تعتبر نتاجاً لبيئة أسرية متصدعة أو غير مواتية وتستمد هذه الآراء اتجاهات من نظريات سادت الفكر الغربى فى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، إذ ذهبت إلى نفى مسئولية المجتمع عن المشكلات الإجتماعية التى تعانيها بعض الفئات ، وعلى وجه الخصوص الفقراء ، فذهب البعض مثل أوسكار لويس إلى وجود ما يسمى بثقافة الفقر ، وهى ثقافة تتوارثها الأجيال ويتشكل بها الطفل فى سن مبكرة ، وتتعذر عليه الفكاك من خصائصها(٣٠) .

ويعد نظام تعدد الزوجات من الأنظمة السائدة فى المجتمعات الإفريقية والمعرفة بالزواج البولياجمى Polyagmy أى تعدد الزوجات للرجل الواحد ، وفى ظل هذا النظام التعددى تعتبر المرأة هى المسئولة عن البيت وهناك أسباب لذلك وهى :

١ - الإعتماد الإقتصادى الكامل على النساء كمصدر للعمل والدخل للأسرة ، حيث تتولى المرأة مسئولية العمل فى أرض الزوج ولها فيها حق الإنتفاع فقط دون أن يكون لها حق الملكية ، ويكون ذلك بزراعتها فى ظل المالك الرئيسى وهو الرجل ، الذى يلجأ إلى الزواج بأكثر من واحدة لزراعة مزيد من الأرض لتقوية وضعه الإقتصادى داخل جماعته القرابية ويسود هذا النظام معظم الدول الإفريقية جنوب الصحراء .

٢ - فى ظل تعدد الزوجات تكون النتيجة المتوقعة هى زيادة عدد البيوت التى ترأسها المرأة ، ومن ثم تقوم كل زوجة بالمحافظة على وضعها فى العائلة الممتدة من خلال العمل بجدية فى زراعة الأرض ، وإنجاب العديد من الأطفال لمساعدتها فى المهام الصعبة التى تؤول إليها فى مواجهة الزوجات الأخريات فى العائلة ضماناً للسيطرة على الأرض والإستمرار فى الزواج لذلك فإنها تشرك الأطفال فى العمل .

٣ - فى ظل هذا النظام ترتفع نسبة الطلاق فى أجزاء عديدة من القارة ، لذلك تكون المرأة أكثر حرصاً على إنجاب الأبناء لتقوية مركزها الاجتماعي والاقتصادي ، وحتي يظل لها حق الأنتفاع بالأرض بعد الطلاق في ظل وجودالأبناء لأنهم إمتداد لبدنه الزوج .

ثانياً العوامل المؤدية لعمالة الأطفال في أفريقيا

نتناول في هذا الجزء العوامل الرئيسية المؤدية لعمالة الأطفال والتي تسهم بشكل فعال في أستمرار الظاهرة ودعمها في إفريقيا . وهذه العوامل أما عوامل مرتبطة بالحروب والصراعات القائمة في القارة أوعوامل اقتصادية .

(١) الحروب والصراعات الأهلية المنتشرة في القارة :

تعد الحروب والصراعات الأهلية المنتشرة في القارة الأفريقية من العوامل المؤثرة بشكل واضح علي أنتشار ظاهرة عمالة الأطفال وتدني الأوضاع المعيشية للطفل

الأفريقي لأن معظم النازحين والاجئين من النساء والأطفال ، ويكون النزوح إلي الأماكن الآمنة داخل نفس البلد للنجاة من الموت ويبقي الرجال في مناطق الخطر ، وأحياناً يرسل الأطفال دون النساء ، والنتيجة تدفق أعداد كبيرة من الأطفال إلي المدن الكبري. ومع الأخذ في الإعتبار إنتشار الفقر ومعدلات البطالة يكون هؤلاء الأطفال أكثر عرضة للعمل في الشوارع من أجل بقائهم علي قيد الحياة مع أنعدام فرص التعليم أو الخضوع لنظم تعليم جديدة تسهل عملية التسرب الدراسي .

كذلك يلجأ الأطفال إلي النزوح إلي البلدان المجاورة مثلما يحدث في منطقة القرن الأفريقي ، وقد تسبب الخبرات التي تعرض لها الأطفال أثناء الحروب ، والظروف التي عاشوا فيها في المناطق المتأثرة بالحروب كنازحين من تفاقم مشكلاتهم النفسية ، وأحد النتائج الرئيسية للحرب علي الكثير من الأطفال هي فقدانهم أوطانهم ، وهذا يعني فقدان الرموز الثقافية والهوية وأنماط السلوك المألوفة بالإضافة إلي فقدان الكثير من العلاقات التي بنوها علي إمتداد حياتهم ، كما يعاني حتي الأطفال الذين بقوا في المناطق المتأثرة بالحروب من تشوش في الرموز الثقافية ، مع مرور هؤلاء الأطفال بخبرات مؤلمة تبقي في الأذهان فتسبب لهم الأضطرابات نتيجة الأنفصال عن الأبوين في سن صغيرة ، وقد تساهم الحياة في مناطق النزوح واللجوء في تعقيد مشكلات الأطفال، حيث لا تتوافر في هذه المناطق المكونات الضرورية لعملية التأهيل الاجتماعي Socialization بسبب الضغوط الإقتصادية وتشوش الأنماط الثقافية نتيجة تعدد الجماعات العرقية ، وتضافر كل هذه العوامل معا مسببة إنحراف الأطفال وخروجهم إلي العمل في الشوارع بعيدا عن سيطرة الأسر ة من أجل توفير أدني متطلبات الحياة الضرورية(٣١) .

(٢) العوامل الاقتصادية :

من المعروف عالمياً أن السبب الرئيسي لعمالة الأطفال في الدول النامية يرجع إلي الفقر إذ أن الأطفال الفقراء يواجهون مشكلات إقتصادية ثقيلة ، وتنتشر عمالة الأطفال بصفة أساسية في الطبقات الفقيرة في الريف والحضر حيث يعتبر الطفل

العامل مصدراً للدخل بالنسبة لأسرته كما أن سوء الأوضاع الإقتصادية لكثير من الآباء لا سيما في المناطق الريفية قد حال دون إرسال أبنائهم إلي المدارس بصفة منتظمة، كما أسهمت الأنماط التقليدية المرتبطة بالزراعة والتي تقضي بإستخدام الأطفال في بعض أنواع العمل الزراعي إلي تشجيع الآباء في عدم إنتظام الأطفال في المدارس أو الإنقطاع التام عنها .

وينتمى الأطفال العاملون غالبا آباء يمثلون الفئات الدنيا في القوي العاملة ، فمعظم الآباء من عمال الخدمات أو من صغار المزارعين كما هو الحال في مصر ، وتتفاوت دخولهم بحسب ظروف سوق العمل ، غير أن العامل المؤثر الذي يدعم هذه الأجور نسبياً يتمثل في تعدد إسهامات أفراد الأسر دعماً من أكثر من عضو من بين أعضاء الأسر الذي يشير إلي أهمية دور الأبناء في دعم دخل هذه الأسر . وتتميز الأسر الفقيرة بالتماسك ، وتربية أفرادها علي الشعور بالمسئولية تجاه الأسرة ، وعلي الإيمان بالتكامل فيما بينهم .

أما الاعتبار الاقتصادى الآخر الذى يسهم فى إقبال الأطفال على العمل فهو اعتبار شخصى يتمثل فى رغبتهم فى الحصول على مال ينفقونه على احتياجاتهم الخاصة ذلك أن الطفل يحصل على جزء من أجره لتغطية نفقاته للنزهة فى يوم الإجازة أو شراء مايلزمه .

بالإضافة إلى أن إسهام الطفل يعتبر عنصرا هاما له وزنه فى دعم ميزانية الأسرة التى تنتمى للفئات العمالية الدنيا ، إلا أنه فى بعض الحالات ، تؤدى عمالة الأطفال دورا حيويا فى إعالة الأسر ذات الدخل الضئيل ، وعندئذ يكون أجر الطفل بمثابة المصدر الوحيد أو الأساس للدخل يكفل إعالة الوالدين - أو أحدهما ، ويوفر الاحتياجات الأساسية التى يعجز الكبار عن توفيرها[٣٢] .

وهناك مظهر آخر من مظاهر عوز الأسر التى تفتقد الوالد وتعيش فى كنف الأم فقط ، ومن ثم تحتاج هذه الأسر إلى عمل الأطفال لدعم ومساعدة الأم فى تربية باقى الأسرة .

من خلال تحليل الابنية الاجتماعية لبعض المجتمعات الإفريقية يمكن القول بأن هناك علاقة وثيقة ومتبادلة بين النظام الاقتصادى السائد فى هذه المجتمعات وتولى المرأة مهمة البيت والأطفال من ناحية وبين إنتشار عمالة الأطفال وتفاقمها من ناحية أخرى ، ففى بعض أقطار غرب إفريقية نجد أن المرأة لا تتولى المسئولية كاملة داخل البيت لأن الأقارب هم المسئولون عن هذه المهمة بينما تتولى المسئولية الاقتصادية كاملة، أى أن المسئولية الاقتصادية ترتبط بوضع المرأة الزواجى ، وهذا يعكس لنا أهمية إنجاب الأطفال لأنهم يعتبرون قوة اقتصادية تستمد منها المرأة وضعها الاقتصادى والإجتماعى بعيدا عن سيطرة بدنه الزوج .

ومع زيادة معدلات الإنجاب فى ظل هذه النظم التقليدية الراسخة لا تنظر هذه المجتمعات إلى مصير هؤلاء الأطفال الذين يشكلون ضغطا كبيرا على اقتصاديات هذه البلدان الفقيرة ... لذا كانت النتيجة الحتمية لذلك هو انتشار عمل الأطفال ونزوحهم إلى المدن الكبيرة للعمل فى الشارع ، فإذا أضفنا إلى ذلك الحروب الأهلية والمنازعات داخل القارة الإفريقية التى تؤدى إلى إتساع حدة المشكلة وتفاقمها فى معظم بلدان القارة الفقيرة .

ولتوضيح ذلك نذكر أن عدد اللاجئين فى القارة الإفريقية فى الفئة العمرية من ٥ - ١٧ سنة بلغ حوالى ٦.٧ مليون لاجئ ، من جملة عدد اللاجئين فى العالم من نفس الفئة العمرية البالغ عددهم ١٤.٢ مليون لاجئ بنسبة حوالى ٣٢٪ (٣٢) . ويواجه هؤلاء الأطفال مشكلات عديدة نتيجة تشردهم وإنفصالهم عن أسرهم فى معظم الأحيان، قيامهم بالأعمال الخطيرة التى لا تناسب السن أو خبرة هؤلاء الأطفال وتعرضهم للمجاعات ، ومن ثم إصابتهم بالأمراض الصحية والإجتماعية الخطيرة .

عمالة الأطفال فى أوغندا :

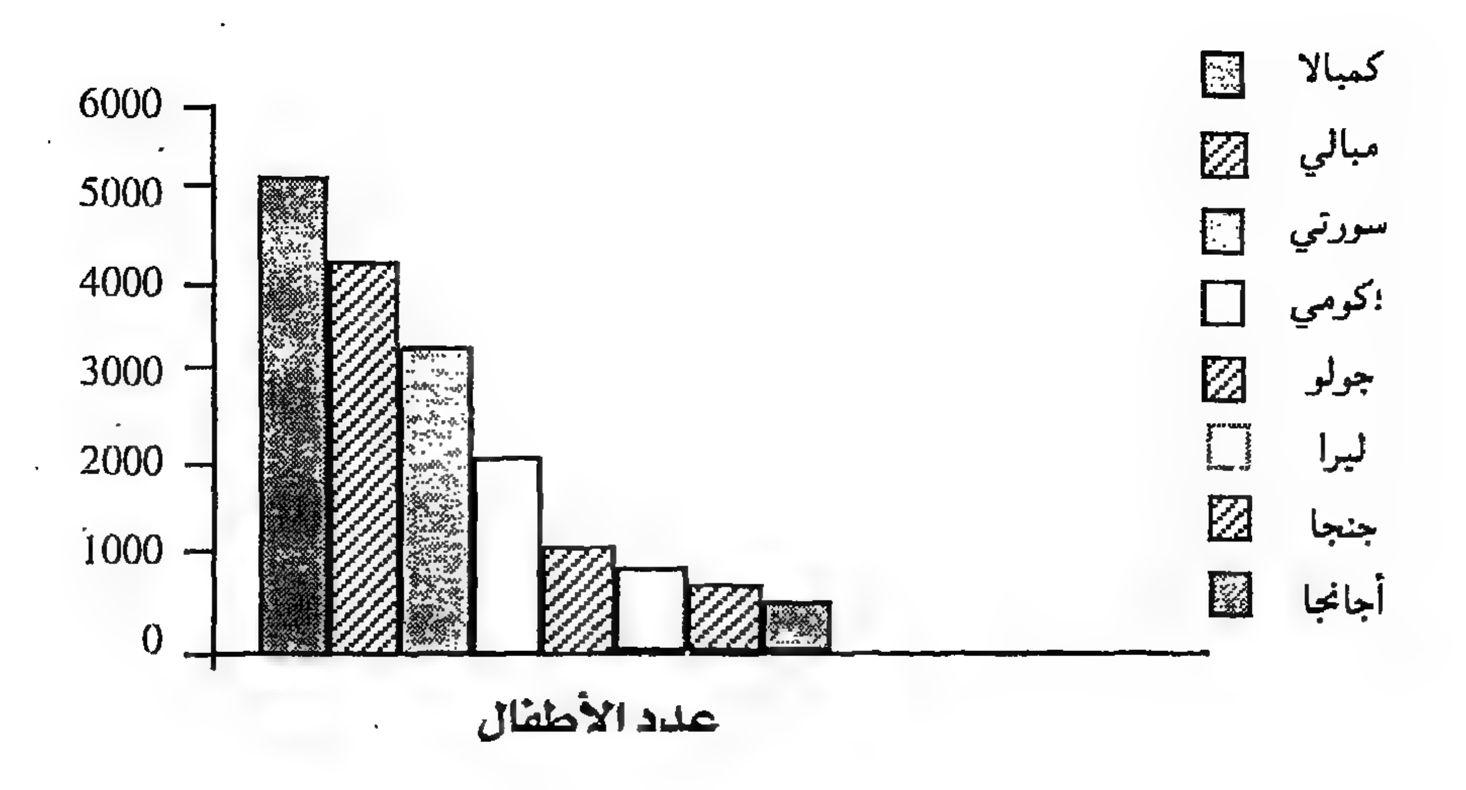
قدر عدد السكان فى أوغندا بحوالى ١٩ مليون نسمة ١٩٩٥ ، يعيش حوالى ١٠٪ منهم تحت خط الفقر ، ويعيش حوالى ٣٠٪ من السكان فى المدن التى تحوى

العديد من المناطق العشوائية والعشش التى تعد مأوى لأطفال الشوارع ، وفى ظل الظروف الأقتصادية غير المواتية وعدم توافر فرص العمل يشكل طفل الشارع مشكلة حضرية فى أوغندا [٣٤] .

وبالإضافة إلى الظروف الاقتصادية القاسية التى تتعرض لها أوغندا فقد تعرضت أوغند منذ منتصف ١٩٨٠ لحروب وصراعات وحركات للمتمردين شكلت أيضا عبئا إضافياً على ميزانية الدولة مما كان له أثره على إنتاج المزيد من أطفال الشوارع ففى مبالى البالغ عدد سكانها حوالى ٥٣ ألف نسمة هناك أكثر من ٤٠٠٠ طفل يعملون فى الشارع، وفى مدينة بوسيا على حدود كينيا وأوغندا شكل أطفال الشوارع نسبة من السكان وكانوا نتاجا للحروب والفقر معاً .

والجدول التالى يوضح أعداد الأطفال العاملين فى الشوارع فى بعض المدن الرئيسية فى أوغندا سنة ١٩٩٥.

المنطقة	عدد الأطفال
كمبالا	٥٠٠٠
مبالي	٤٠٠٠
سورتي	٣٠٠٠
كومي	١٨٠٠
جولو	١٢٠٠
ليرا	٩٦٠
جنجا	٨٠٠
أجانجا	٦٠٠
جملة	**١٧٣٦٠ طفل**



من استقراء الجدول السابق والشكل البيانى واضح أن هناك تبايناً كبيراً فى نسبة عمالة الأطفال بين المدن الأوغندية المختلفة ، وإن كنا نستطيع القول بأن هناك علاقة طردية بين حجم المدن وارتفاع نسبة عمالة الأطفال ، فمثلاً تأتى كمبالا العاصمة كأكبر وأهم المدن الأوغندية سكاناً وهى فى نفس الوقت أكبرها أحتواء لأطفال الشوارع إذ تضم بمفردها أكثر من ثلث أطفال الشوارع فى المدن الأوغندية .

ويمكن تصنيف الأطفال العاملين فى الشارع فى كمبالا إلى ٤ مجموعات :

١ - الأطفال الذين يعملون ويعيشون فى الشارع بصفة دائمة .

٢ - الأطفال الذين يعملون فى الشارع ويعودون إلى بيوتهم ليلاً .

٣ - الأطفال العاطلون ولكنهم يقضون معظم أوقاتهم فى الشارع ولا يعملون شيئاً.

٤ - الأطفال الذين يذهبون إلى المدارس صباحا ويعملون فى الشوارع فى أوقات أخرى غير أوقات المدرسة.

ويشيع فى المجتمع الأوغندى نظام تعدد الزوجات ومن ثم يعد هذا النظام الأساسى الأول لكثرة عدد الأبناء فى البيت الواحد الذين يشكلون عبئا إضافيا على دخل الأسر فى ظل الظروف الإقتصادية القاسية ، كذلك تنتشر بين الشباب ممارسة الجنس بطريقة

غير شرعية تؤدى إلى إنجاب أبناء ليس لهم مأوى سوى الشارع ، لذا تعد أوغندا ضمن أكبر عشرة أقطار فى العالم فى أرتفاع معدل الإصابة بالإيدز [٣٤] . لذلك فليس من الغريب أن نجد بيوتا كثيرة يرأسها الأطفال الايتام نتيجة موت الآباء بالإيدز ويشيع ذلك النمط فى كمبالا التى تحوى أكبر نسبة للأطفال المشردين فى البلاد .

وتعد الهجرة من الريف إلى المدن عاملا هاما لانتشار ظاهرة عمالة الأطفال فى أوغندا عامة وكمبالا خاصة، فعندما تفشل البيئة الزراعية فى سد الاحتياجات الضرورية للعائلة الريفية الكبيرة العدد ذات الدخول المنخفضة تقوم بإرسال الأطفال للعمل فى المدن وهى طريقة مثالية - من وجهة نظرها - لمواجهة الصعوبات الإقتصادية .

ويتعرض الطفل المهاجر من الريف إلى المدينة لأزمة مزدوجة تتمثل فى كيفية أندماجه مع بيئة المدينة الجديدة لا سيما أنه ينتقل إليها بمفرده والأزمة الأخرى نتيجة إنفصاله عن العائلة .

بالإضافة إلى ذلك يعانى العديد من أطفال الشوارع فى كمبالا من الإهمال والتشتت نتيجة لانتمائهم لبيئات أسرية متصدعة نتيجة إنفصال الأبوين والقليل من هؤلاء الأطفال يرجعون عملهم فى الشوارع إلى حب المغامرة وإهمال العائلة لهم أو معاملتهم معاملة سيئة .

ويبدأ الأطفال بعد أنتقالهم من الريف إلى المدينة فى العمل لمساعدة عائلاتهم . هنا يصبح الخطر محقق فى أن يكونوا أطفالا للشوارع يشكلون مشكلة حقيقة ، لأنهم بعد فترة ينقطعون عن إرسال المساعدة إلى العائلة، وتعكس رؤيتهم الخاصة بذلك أنهم إنقطعوا عن الاتصال بأسرهم نتيجة المعاملة السيئة والإهمال ، ومن ثم لا يجدون ضرورة للقيام بأى التزام إجتماعى أو مادى تجاه أسرهم .

وتشكل الإناث حوالى ٢٥٪ من أطفال الشوارع فى أوغندا، وهذا لا يعنى أن أعداد الإناث قليلة بالنسبة للذكور ، ويرجع ذلك إلى أن الفتيات تتدرب منذ الطفولة على المهام الأساسية للمرأة ممثلة فى رعاية الصغار والقيام بأعمال الزراعة البسيطة فى حديقة المنزل وهذه المهام لا تستغنى عنها الأسرة بل ترعاها وتدعمها باستمرار حتى

تنتقل الفتاة إلى أسرتها الجديدة بعد الزواج، لذلك نجد أن أعداداً قليلة من الفتيات هن اللائى تهجرن منزل العائلة للعمل فى الشوارع .

وتمارس الفتيات اللائى انتقلن إلى الشارع للعمل فى سن صغيرة الأعمال البسيطة فى الأسواق اليومية أو الأسبوعية مثل سوق الوندجية فى وسط العاصمة كمبالا وسوق نكاسيرو وفى سوق كبالاجالا على أطراف العاصمة ، وهذا السوق يجمع بين الأطفال من أوغندا وتنزانيا للاتجار فى المشغولات الخشبية، وأكثر من ذلك نجد كثير من الفتيات تفترش الشوارع لبيع البضائع البسيطة مثل الحلوى والصودا والبسكويت والكسافا المشوية بالإضافة إلى البطاطس والذرة، وتعمل بعض الفتيات اللائى تجاوزن الثانية عشر فى الدعارة والخدمات المصاحبة لها فى مقابل المأوى والغذاء .

كذلك تعمل بعض الفتيات كجليسات أطفال لدى الأغنياء ، ومعظم الدخل ينفق فى شراء الملابس والعطور وهذه هى أكثر أهتمامات الإناث ويرجع ذلك إلى عدم إمتلاكهن بيوتا ينفقون عليها من جانب ولأنها تمثل جذباً للرجال من جانب آخر .

ومن ناحية أخرى فإن الذكور يمثلون النسبة الأكبر من أعداد الأطفال العاملين فى الشوارع ، ومن ثم ينتشر هؤلاء الأطفال فى كل الميادين العامة ومواقف التاكسى والأتوبيسات وفى الفنادق الكبرى والبارات كذلك تنتشر أعداد كبيرة منهم فى الأماكن المعزولة ويعملون فى أعمال غير قانونية مثل السرقة وهؤلاء يعانون من المشاكل الحقيقية لأطفال الشوارع.

ويعمل هؤلاء الأطفال فى نظافة الشوارع ونظافة الفنادق كذلك كمنادين فى مواقف السيارات ، ومعظم هذه الأعمال لا تحتاج إلى التعليم أو الخبرة ، وهؤلاء يمثلون الأطفال الذين يعيشون فى الشواع بصفة دائمة .

أما الأطفال الذين يعملون فى بعض الأعمال الخدمية مثل تنظيف المحلات التجارية وفى محلات الجزارة ويقضون معظم اليوم فى الشارع ثم يعودون ليلا إلى بيوتهم وإعطاء معظم دخلهم للأسر للمساهمة فى تكاليف المعيشة للمساهمة ومعاونة الأم فى تربية باقى الأبناء وتعليمهم .

والفئة الأخيرة من الأطفال الذين يذهبون إلى المدرسة صباحا ويعملون بالشارع ليلا لمواجهة متطلبات الدراسة وشراء الأدوات الدراسية ويعمل هولاء الأطفال فى تنظيف المحلات التجارية وبيع السجائر والبيرة فى الميادين العامة أو بالعمل كمضفين فى الملاهى أو فى بيع الخمور فى البارات .

والأطفال العاملون فى شوارع كمبالا هم نتاج لأسر كثيرة العدد مع ضغط الظروف الاقتصادية وعدم استطاعة الأسر سد الاحتياجات الأساسية لأعضائها ، بالإضافة إلى إنتشار مرض الإيدز بصورة كبيرة نتيجة إنتشار القيم الثقافية الخاطئة .

لذا يتعرض هؤلاء الصغار لمخاطر عديدة نتيجة الإقامة المستمرة فى الشارع والممارسات الجنسية الخاطئة بين هؤلاء الأطفال ، إضافة إلي الظروف الصحية القاسية نتيجة الإقامة فى الشارع أو فى محطات السكك الحديدية أو فى عشش من الصفيح سيئة التهوية . وكثيرا ما يتعرض الأطفال لهجوم الشرطة والقبض عليهم .



صورة لفتاة تعمل جليسة أطفال في أحد البيوت الأوغندية



صورة لأطفال يقيمون في الشارع في كمبالا

أما فى كينيا : تنتشر عمالة الأطفال فى كينيا بصورة واضحة ، فيشكل الأطفال العاملون حوالى ٤١.٣٪ من جملة الأطفال فى الفئة العمرية من سن ١٠ -١٤ سنة، وفقًا لاحصائيات ١٩٩٦ بانخفاض حوالى ٤٪ عنه فى سنة ١٩٧٠ (٣٥) .

وتنتشر ظاهرة أطفال الشوارع بدرجة كبيرة فى العاصمة نيروبى حتى أنها أصبحت تشكل مشكلة إقتصادية وسياسية بجانب البعد الاجتماعى، وأنتشرت على أثرها الجريمة بشكل واضح فى الشارع الكينى ، وهذه المشكلة هى نتاج ظروف ثقافية وإجتماعية .

ويقدر أعداد أطفال الشوارع فى نيروبى بحوالى ١.٥ مليون طفل سنة ١٩٩٤، وتضمنت هذه التقديرات أعداد الأطفال العاملين فى المؤسسات غير الرسمية بالإضافة إلى أطفال الشوارع (٣٦) .

ويشمل أطفال الشوارع كل من الإناث والذكور ، ولقد أشارت الدراسات إلى أن نسبة الذكور تفوق الإناث حيث وصلت نسبة الذكور حوالى ٩١ ٪ من الأطفال العاملين فى شوارع نيروبى، ويرجع أرتفاع نسبة الذكور إلى أن هناك قيودا تفرض علي الإناث أكثر من الذكور ، وفى بعض مجموعات الأطفال تكون نسبة الإناث مساوية لنسبة الذكور نتيجة لهروب الفتيات من الأسرة للبحث عن عمل يوفر لها ما تحتاج إليه من ملابس وغيرها .

وينضم الذكور إلى أطفال الشوارع فى سن الخامسة ، مع ترددهم على الأسرة ، ثم ينفصلون إنفصالا كاملا عن أسرهم فى سن العاشرة أو الثانية عشر وذلك نتيجة الظروف الاقتصادية القاسية التى تعانيها الأسرة ومسئولية هؤلاء الأطفال تجاهها حيث يقومون بإرسال جزء من دخلهم إلى الأم لمواجهة نفقات المعيشة والإنفاق على باقى الأطفال فى الأسرة .



بعض الأطفال المشردين فى شوارع نيروبى

ويكون هؤلاء الأطفال جماعات ويمارسون حياة البالغين لا سيما فى مرحلة البلوغ من سن ١٣ إلى ١٥ سنة .

ويمارس هؤلاء الأطفال أعمالا خاصة مثل العمل بتجارة بعض السجائر أو الأرز أو السكر أو الشاى ، كذلك يعمل العديد منهم كحمالين فى محطات السكك الحديدية .

وتبدأ الفتيات حياة العمل فى الشارع فى سن متأخر نسبيا عن الذكور ليس قبل سن العاشرة وحتى الثالثة عشر، وتكون الفتاة فى هذه المرحلة العمرية على دراية كاملة بأنها قد أصبحت أمرأة كاملة لذا تفضل الإناث العمل فى الحانات أو الدعارة للحصول على دخل كبير يمكنها من شراء احتياجاتها وعلى الرغم من أن الذكور يرسلون جزءاً من الدخل إلى الأم إلا أن الفتيات تحتفظ بالنقود وذلك لانفصالها عن الأسرة إنفصالا كاملا .

ويعيش الأطفال فى جماعات لكل جماعة قوانينها الخاصة المنظمة لها ويأخذ الذكور بعض الفتيات العاملات فى الشارع كزوجات لهم لا يحق لهن الاختلاط بالذكور من خارج المجموعة . وتمارس الفتيات فى المجموعة الدعارة من أجل توفير متطلبات الحياة الضرورية دون أن يجد الذكور ضررا من ذلك . ولا تكون بين الإناث جماعات قوية مثل الذكور .

ويرتبط الذكور بالأسرة بعلاقات قوية وخاصة الأم ، فهناك العديد من الأطفال الذين يقيمون فى الشوارع بصورة مؤقتة ويعملون فى بعض المشروعات الصغيرة يقطعون حوالى ٣ ساعات للوصول إلى بيوتهم للمساهمة فى دخل الأسرة بإعطاء دخلهم إلى الأم أسبوعيا .وعلى الجانب الآخر لا تعرف الإناث عن إسرهم سوى القليل .

وبتحليل نظام الأسرة عند الأطفال العاملين فى شوارع نيروبى أتضح أن معظم هؤلاء الأطفال من أسر ترأسها المرأة أى بدون آباء إما نتيجة إنفصال الأم عن الأب أو أن الأمهات أصلا غير متزوجات لذا فإن البيئة الأسرية غير المواتية شجعت الأطفال على الخروج للشارع في سن مبكرة لمواجهة متطلبات الحياة ولأن الطفل لا يجد الدافع للتمسك بهذه الأسرة لذلك يفر بعيداً عنها بحثاً عن مجال خارجى فيه تعويض عما أفتقده من أمن داخل أسرته .

وبتحليل النظام القرابى للمجتمع الكينى ، أتضح أن القرابة تسير فى خط الذكور أى من جانب الأب Patrilineal Kinship ، وبالتالى فالخصوبة العالية للمرأة

تقوى من مركزها الإجتماعى والأقتصادى لا سيما أن الأطفال يرثون الأرض لأنهم إمتداد لبدنة الزوج ، ومن ثم تهتم كل بدنة بخصوبة المرأة سواء من جانب بدنة الزوج أو الزوجة ، وذلك لأن استمرار الإنجاب يعنى أستمرار الحياة الزوجية وتأكيدا لوضع ومكانة المرأة(٣٧) .

وفى دراسة لاثنين من المجتمعات المحلية بالقرب من نيروبى واللذان يصدران الأطفال إلى العاصمة بدرجة كبيرة ، المجتمع الأول هو مجتمع Murang الريفى والآخر مجتمع ، Kiambu الحضرى ويتبع المجتمعان قبيلة الكيكويو .

ويقوم الاقتصاد فى مجتمع مورانج الريفى على الزراعة ، على أن يمتلك كل بيت قطعة صغيرة من الأرض تعطى إنتاجا محدودا من البن أو الموز كمحاصيل نقدية ومصدراً للدخل بالإضافة إلى المحاصيل المعيشية مثل الذرة والفول السودانى والكسافا ، إلى جانب ذلك فإنه لا يوجد سوى عدد قليل من المزارع ومن ثم فإن فرص العمل محدودة ، بل وضئيلة للغاية ، وفى ظل نظام الانحدار فى خط الأب نجد أن إنجاب الأبناء بكثرة هو السمة الرئيسية السائدة فى المجتمع والتى تعمل على تكامل الجماعة القرابية ، ويعد هذا مورثا ثقافيا لدى أعضاء المجتمع .

ويتحقق ذلك بانتشار ظاهرة تعدد الزوجات فى المجتمع والذى تختلف عن البناء الأسرى القائم على المونوجامية الذى ينتشر فى العاصمة نيروبى(٣٨) .

ويسير نظام الميراث التقليدى فى خط الذكور إذ مات الرجل وليس له أبناء تؤول الثورة إلى الأخ الكبير ، وتكون مسئولية المرأة الرئيسية هى إنجاب مزيد من الأطفال حتى لا تؤول الثروة إلى جماعة الزوج فى حالة وفاة الزوج وبالتالى لا يمكنها البقاء فى بدنة الزوج ، ومن ثم يتضح أن الأطفال هم وُحدة إقتصادية وإجتماعية تعطى للمرأة الوضع والمكانة فى المجتمع . لذا نجدا أن متوسط عدد الأطفال فى الأسرة الواحدة حوالى ٦ أطفال لكل زوجة . ومع إنعدام فرص العمل نتيجة لقلة الأرضى ، يترك هؤلاء الأطفال أسرهم ويبحثون عن فرص عمل كالتزام إجتماعى Social obligation تجاه الأسر ، وأيضا لتوفير حاجاتهم الضرورية ، ويكون الاتجاه دائما إلى العاصمة نيروبى وذلك لقرب المسافة منها ، حيث لاتبعد سوى ٣ ساعات .

ويختلف الأمر عند جماعة Kiambu الحضرية ، فتقسيم العمل يسير وفق خطة محكمة ودقيقة تقوم على التعاون بين الزوج والزوجة والأبناء ، مع الأخذ فى الإعتبار أن كثرة الإنجاب هى السمة المميزة للجماعة ، كما يسود النظام الليفراتى (زواج الأخ بأرملة أخيه) وبالتالى مزيد من الأطفال داخل العائلة الواحدة يمثلون أمنا إقتصادياً .

ويقوم النشاط الإقتصادى فى مجتمع كيامبو على الزراعة بالإضافة لأعمال أخرى مثلى التجارة والأعمال البسيطة ، حيث تشكل الزراعة حوالى ٢٨٪ والنسبة الباقية للتجارة والأعمال الأخرى ، ونظراً لقرب مجتمع كيامبو من العاصمة حيث يبعد عنها حوالى ساعة واحدة فقط يرسل الأطفال إليها للحصول على دخل يومى للعائلة يوفره لهم الأطفال ، على أن يعودوا فى نهاية اليوم للإقامة مع الأسرة[٣٩] .

وفى ظل النظام الإجتماعى عند كل من الجماعتين القائم على تعدد الأطفال مع ندرة الموارد ، كان الإتجاه إلى العاصمة هو أفضل السبل لتوفير النقود ، ففى المجتمع الأول الذى يبعد ٣ ساعات عن العاصمة يقيم الأطفال بصفة دائماً فى الشارع ولا يعودون إلا على فترات متقطعة ، ويعمل هؤلاء الأطفال فى الأعمال البسيطة فى القطاع غير الرسمى الذى يقوم بإستغلال هؤلاء الأطفال أسوأ استغلال ، حيث يعمل الأطفال فى المصانع الصغيرة لفترات طويلة وبأجور زهيدة وهذا يشكل عبئاً كبيراً على هؤلاء الأطفال من الناحية الصحية ، كذلك يعمل هؤلاد الأطفال فى الشارع فى مواقف السيارات وبيع الحلوى ويكون مكان الإقامة الدائم هو الشارع، ومن ثم تنعدم لدى هؤلاء الأطفال أدنى سبل الحياة علاوة على إنتشار الأمراض بصورة كبيرة وخاصة الأمراض المعدية نتيجة إختلاط هؤلاء الأطفال بصورة دائمة وما يتبعها من الممارسات الجنسية الخاطئة التى تفتك بحياة هؤلاء الصغار .

أما فى تنزانيا : وفى دار السلام تعد عمالة الأطفال شكلاً هاماً من أشكال التنشئة الإجتماعية على اعتبار أن المجتمع ينظر إليها على أنها عملية تربوية فى المقام الأول تعد الطفل لمرحلة الرجولة .

وتحاط دار السلام بعدد من المجتمعات الزراعية منها منطقة تانجا Tanga والتى تبعد حوالى ٢٠٠ كيلو متر شمال دار السلام، وعدد سكان تانجا حوالى ١ر٣ مليون نسمة سنة ١٩٨٨ ويشكلون حوالى ٧٪ من سكان تنزانيا ، وتعد هذه المنطقة المصدر الأول لعمالة الأطفال فى دار السلام .

ويمكن إرجاع السبب فى إنتشار الأطفال العاملين فى العاصمة إلى الظروف الإقتصادية والحاجة إلى مزيد من الدخل للأسرة ، لذلك يشجع الاباء الأطفال على العمل وتأكيد قيمته عند الطفل كالتزام إجتماعى وكضرورة للأعداد لمرحلة الشباب .

وتختلف تنزانيا عن معظم الدول الإفريقية النامية فى أن نسبة الإنتظام فى التعليم فى المرحلة الإبتدائية عالية نسبياً ، ففى سنة ١٩٩٣ بلغت نسبة الإنتظام فى المرحلة الابتدائية حوالى ٧١٪ للذكور، ٦٩٪ للإناث في منطقة تانجا، وكان عمر الإلتحاق بالمدرسة سن ٧ سنوات وحتى الثالثة عشر أي أن عملية التنشئة الإجتماعية تؤكد على قيمة التعليم والعمل معاً وهما من المهارات المتداخلة لدى الأطفال فى دار السلام ، بل أنها تشكل ضرراً بالغاً بالتنمية البشرية على إعتبار أن العمل عبء على قدرات الطفل الصحية والعقلية(٤٠) .

وعلى الرغم من التأكيد على قيمة التعليم إلا أن الأطفال الذين إنخرطوا فى سوق العمل تسربوا من المدارس لعدم قدرتهم على الجمع بين التعليم والعمل . وأيضاً لاختلاف المناخ الثقافى فى المدرسة عن مناخ بيئة العمل . كذلك فإن التعليم الأساسى لا يعد الطفل لمواجهة ظروف ومتطلبات البيئة التى يعيش فيها .

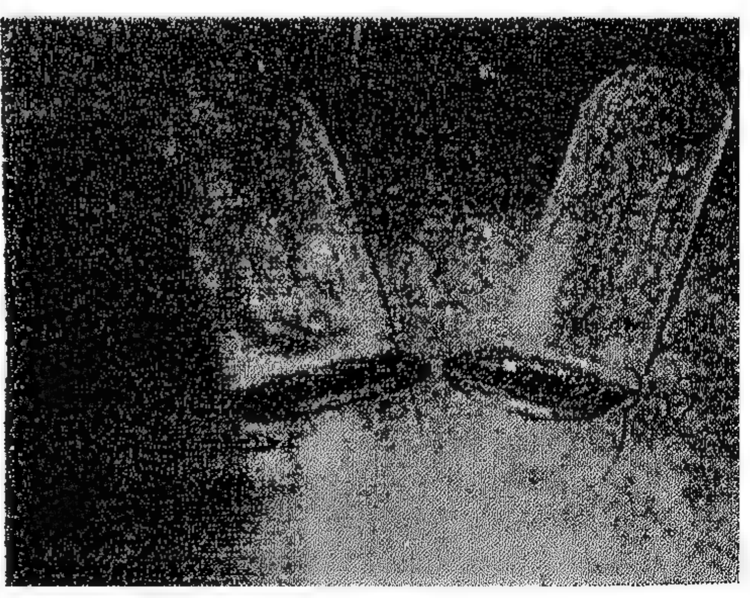
وترفع نسبة الذكور العاملين فى الشوراع بالمقارنة بنسبة الإناث حيث تسند إلى الفتاة مهام البيت ورعاية الأطفال ، كذلك لأن طبيعة الأعمال المتاحة فى سوق العمل فى دار السلام لاتناسب الفتاة ، حيث يعمل الذكور فى الصناعات الصغيرة الحكومية مثل المنتجات والأشغال المعدنية، والصناعات الخشبية ، كذلك ينتشر الأطفال فى المصانع الصغيرة غير الرسمية على أطراف دار السلام، ولايجد المجتمع ضرراً من ذلك لأن هؤلاء الأطفال لا يشكلون خطورة حقيقة على المجتمع، دائماً تكمن الخطورة فى الأذى البدنى والعقلى الذى يتعرض له هؤلاء الأطفال فى سن صغيرة .

ويبلغ متوسط عدد ساعات العمل للأطفال من سن ٧ - ١٤ سنة حوالى ٨ ساعات يومياً ، مضافاً إليها الساعات التى يقضيها الطفل فى المدرسة ومن ثم يشكل هذا عبئاً كبيراً على إمكانيات الطفل ، كذلك فطبيعة الأعمال التى يقوم بها تتطلب مهارات خاصة كالنحت على الخشب أو المعادن ، لذلك نجد أن معظم الأطفال يفضلون ترك المدرسة والإستمرا فى العمل لأنه يدر دخلا كبيراً للطفل ولأسرته .

ولا يقتصر عمل الأطفال على الأعمال اليدوية ، لكنه يتعدى ذلك إلى مهمة البيع، حيث ينتشر هؤلاد الأطفال فى مناطق تجمع الأجانب فى دار السلام لبيع المنتجات الخشبية أو المعدنية، ويملك الطفل المهارة والخبرة فى عملية البيع لأنه تدرب عليها منذ بداية عمله ولأنه يعلم أنها السبيل الوحيد لإستمراره فى العمل .

ويقطع الأطفال مسافات كبيرة لبيع منتجات المصانع الصغيرة التى يعملون بها ، حيث يتوجهون بمصنوعاتهم الخشبية والمعدنية التى تحتوى على الكثير من النقوش والزخارف المحلية والتى تمثل مناظر من البيئة الطبيعية والنباتية والحيوانية إلي مناطق تجمع السائحين لتسويق هذه المنتجات ولعل من أهم مناطق الجذب منطقة جبال كلمنجارو وقد يتم خلال هذه الرحلات عبور الحدود السياسية إلى الدول المجاورة حيث يعبر بعضهم حدود أو غندا لعرض منتجاتهم فى سوق كبالاجالا على أطراف كمبالا العاصمة .





بعض المشغولات الخشبية اليدوية التي يقوم الأطفال التنزانيون بتسويقها في أسواق كبالاجالا

وتلعب القيم الثقافية التقليدية في تنزانيا دوراً هاماً فى إنتشار مرض الإيدز بصورة واضحة أثرت فى المقام الأول على الطفل الذى يجد نفسه بدون رعاية نتيجة وفاة الأب أو الأم ، أو مسئولاً عن باقى أفراد الأسرة وهو فى سن صغيرة لا تتعدى سبع سنوات لذلك ينتشر نوع آخر من عمالة الأطفال فى دار السلام وهو أطفال الشوارع وهؤلاء يعملون فى بعض الأعمال الصغيرة التى لا تحتاج إلى الخبرة والمهارة مثل جمع القمامة أو تنظيف السيارات وهؤلاء الأطفال يشكلون خطورة بالغة على المجتمع لأن مكان إقامتهم فى الغالب هو الشارع وما يفرزه إختلاط هؤلاء الأطفال من إنتشار الجريمة والمخدرات مثل إستئناف البنزين وشرب الكحول وكلها تشكل خطورة بالغة على الطفل والمجتمع .

وسوف أعرض لعمالة الطفل فى البلدان الإفريقية التى أتيحت دراسات عنها .

أولاً : زيمبابوى (هرارى)

تعتبر هرارى العاصمة من المدن الإفريقية التى لاقت اهتماماً من جانب الباحثين حول ظاهرة عمالة الطفل .

ويبلغ عدد سكان زيمبابوى حوالى ١٠ مليون نسمة ، يعيش أكثر من ربع السكان فى المناطق الحضرية ، و ١٤ ٪ من السكان فى مدينة هرارى وحدها ، ويعانى الإقتصاد من التضخم نتيجة الأزمات التى تتعرض لها البلاد من جراء الجفاف ومن ثم تفشل دائماً خطط التنمية الإقتصادية، علاوة على ذلك فإن القيم الثقافية السائدة قد ساعدت على نمو مشكلة عمالة الطفل بصورة كبيرة، وإذا أضيف ذلك إلى إنتشار فيروس الإيدز بصورة كبيرة مما يعكس حقيقة هامة هى أن الأطفال عند موت الآباء نتيجة مرض الإيدز يكونون بدون عائل ، ومن ثم يؤدى ذلك إلى الزيادة فى أعداد الأطفال المشردين أو أطفال الشوارع(٤٢) .

ويتضمن عمل الطفل فى هرارى نوعين **هما الأطفال المشردين** تشرد دائم والمصابين بالمرض أيضا الذين يعيشون باستمرار فى الشارع بعيدا عن سيطرة الأهل، **أما النوع الثانى** فهم الأطفال المشردين تشردا مؤقتا الذين يقضون معظم الوقت فى

الشارع ثم يعودون إلى أسرهم بعض الوقت، ويدخل هؤلاء تحت فئة الفقراء حيث أنهم يعملون لبعض الوقت لزيادة دخل الأسرة لأنهم يعتبرون مصدرا أساسيا للدخل .

أما أطفال الشوارع الذين يقضون حياتهم فى الشوارع باستمرار لعدم وجود عائل ينفق عليهم أو وجود بيوت تحميهم ويعرف هؤلاء الأطفال محليا باسم mutibumba أى المشردين ومعظم هؤلاء قد وفدوا من موزمبيق من خلال معسكرات شرق زيمبابوى للجوء أثناء الحروب، ويعمل هؤلاء الأطفال فى مواقف السيارات أو كحمالين أو كباعة جائلين، ويتخذون من محطات السكك الحديدية أماكن للإقامة والنوم .

إلا أن عمل الأطفال الزيمبابويين يختلف عن هؤلاء الأطفال المشردين من موزمبيق، حيث يعملون فى الأعمال الحرفية الماهرة مثل إصلاح السيارات(٤٣) .

على الجانب الآخر يعانى عدد كبير من أطفال الشوارع فى هرارى من فقدان الانتماء إلى الأسرة نتيجة زواج الأب بزوجة أخرى، واعتنائه بالزوجة والأطفال الجدد ، وهذا النمط شائع ليس فى هرارى وحدها بل وفى معظم المجتمعات الإفريقية ، وعلى الجانب الآخر تلجا الأم إلى الزواج من رجل آخر أو الاستعانة بأطفالها لتوفير أدنى سبل المعيشة، وتكون النتيجة الحتمية لذلك هو لجوء الأطفال إلى الشوارع للاحتماء بها دون رقابة أو رعاية من الأسرة، ويشيع بين هؤلاء الأطفال تعاطى المخدرات والكحوليات ومن ثم يضطرون للعمل فى الشوارع لسد احتياجاتهم الضرورية منها .

ويعمل هؤلاء الأطفال فى الأعمال البسيطة ذات الدخول الضئيلة التى تناسب مستوى إقامتهم فى الشوارع مثل حراسة السيارات ويزاولون السرقة التى تمثل نمطا شائعا نتيجة الفقر، وبالتالى يجد هؤلاء الأطفال عملا يوفر لهم قدرا ضئيلا من النقود بجانب توفير مكان للنوم بجانب السيارات .

ويشجع أصحاب المحلات التجارية هؤلاء الأطفال على العمل كباعة جائلين لحسابهم ويعد هذا مظهراً من مظاهر الاستغلال يمثل خطورة على الأطفال لأن يعودون إلى محطات السكك الحديدية بعد قضاء يوم العمل بالشارع وهم منهكين تماما. وهذا يشكل مظهراً سيئا يضر أساسا بصحة الطفل(٤٤) .

ومن هنا تحمل مشكلة عمل الأطفال فى هرارى نتائج عديدة خطيرة ، فعلى الرغم من أن هؤلاء الأطفال يشكلون مصدراً أساسيا للدخل فى الأسر الفقيرة التى تحتاج إلى تعاون كل فرد فيها ، إلا أن هناك جوانب أخرى للمشكلة أكثر حدة تتمثل فى إصابة هؤلاء الأطفال بالأمراض الخطيرة نتيجة قضاء معظم الوقت أو كله فى الشوارع بدون رقابة ، والاختلاط الدائم مع غيرهم ، لذا ينتشر الإيدز بصورة كبيرة حتى أنه من بين خمسة أو ستة أطفال هناك طفل مصاب بفيروس الإيدز، علاوة على إنتشار أمراض سوء التغذية وفقر الدم فى مرحلة يكون هؤلاء الأطفال أحوج ما يكون إلى الرعاية الصحية الكاملة للمساعدة على نموهم بطريقة سليمة .

أما فى الكاميرون فلا يوجد إحصاء دقيق عن حجم عمالة الأطفال ، لكن الملاحظ وجود أعداد كبيرة منهم فى مختلف البلاد، وتزيد بشكل خاص عمالة الأطفال فى الأنشطة ذات الكثافة العمالية العالية .

ويحظر التشريع فى الكاميرون عمل قالأطفال بل سن ١٤ سنة ، إلا أن بعض المجتمعات لديها عقبات مختلفة تفصل بين الطفولة والبلوغ، وتضم الكاميرون ٢٠٠ جماعة عرقية تختلف فيما بينها فى القيم والممارسات التقليدية .

وتنتشر البطالة بشكل كبير فى ظل الأزمة الاقتصادية مما يدفع الأطفال لمساعدة الأسرة وإعالة أنفسهم ، ويساهم فى ذلك الأنشطة الاقتصادية الهامشية فى القطاع غير الرسمى(٤٥) .

ويعمل الأطفال فى المناطق الريفية بالزراعة خاصة الإناث بالإضافة إلى نظافة المنزل وتبدأ الفتاة بالعمل فى سن مبكرة جدا قبل سن ٥ سنوات، وتتدرج المسئوليات المخولة إليها تبعا لتقدمها فى مراحل العمر ، وغالبا ما يتسرب الأطفال من المدارس من أجل العمل فى الزراعة .

أما فى المناطق الحضرية يعمل الأطفال كخدم فى المنازل أو كصبية فى الورش. كما تنتشر ظاهرة أطفال الشوارع ، ومعظم الأطفال العاملين فى الحضر يأتون من الريف .

ويندرج أطفال الشوارع فى ثلاث فئات : طفل يعمل فى الشارع مع أسرته أو

بمفرده، طفل يعمل فى الشارع وإتصاله بأسرته ضعيف ، وأخيراً طفل إنقطعت صلته تماما بأسرته . هذا بالإضافة إلى الأطفال المشردين أو الشحاذين ، أو من يمارسون أعمالا غير قانونية مثل الدعارة .

ويعمل الصبية فى الورش الصناعية فى ظروف قاسية وخطيرة ويتعرضون للاستغلال من خلال الأجر المنخفض ومخاطر العمل وطول ساعاته غيرها من الممارسات المنتهكة لحقوق الطفل .

وهذا يؤثر على نمو الطفل من النواحى الصحية والعقلية والتعليمية وقد يؤثر على فرصتيه فى الحياة.

وهذا يؤثر على نمو الطفل من النواحي الصحية والبدنية والعقلية والتعليمية وقد يؤثر على فرصته فى الحياة .

والتعليم الابتدائى ليس إجباريا فى الكاميرون وبسبب قلة الموارد ، وضعف بنية التعليم، ونقص المدرسين المدربين يصعب حصول الطفل على التعليم الأساسى ، كما أرتفعت تكلفة التعليم وأنتشرت البطالة بسبب الأزمة الإقتصادية (٤٦) .

وفى نيجيريا : تشير التقديرات إلى أن عدد سكان نيجيريا جوالى ١١١ مليون نسمة سنة ١٩٩٥، ويدين بالإسلام والمسيحية حوالى ٨٥٪ من جملة عدد السكان ، وتضم نيجيريا العديد من الجماعات العرقية، منها ثلاثة جماعات كبرى هى الايبو فى الشرق واليوروبا فى الغرب والهوسا فى الشمال . على الرغم من أن نيجيريا تعد من الدول الغنية بالثروات الطبيعية إلا أنها لم تأخذ وضعا تكنولوجيا وصناعيا مميزا، بسبب الزيادة الكبيرة فى عدد السكان . ويعانى السكان من الظروف المعيشية القاسية وقد تأثر الأطفال بهذا الوضع تأثرا كبيرا (٤٧) .

وتنتشر عمالة الأطفال فى نيجيريا بشكل كبير نسبيا ، حيث بلغت حوالى ٢٥.٨٪ من جملة القوى العاملة سنة ١٩٩٧، وهذه النسبة تشكل حوالى ٩.٣٪ من مجموع الأطفال فى الفئة العمرية من ١٠ : ١٤ سنة (٤٨) .

وتؤثر الثقافة التقليدية تأثيرا كبيرا فى ظاهرة عمالة الأطفال من خلال نظام العائلة الممتدة بالإضافة إلى الهجرة من الريف للمدن .

ويشيع فى نيجيريا وخاصة بين قبائل الهوسا زواج الفتاة فى سن مبكر جدا تكون فيه الخصوبة عالية، لذا فالشكل السائد هو إنجاب عدد كبير من الأطفال فى كل أسرة، ويكون للمرأة السيطرة الكاملة على إقتصاديات الأسرة مع أحتفاظ الرجل بالسيطرة السياسية ، وتحتفظ المرأة عادة بدخلها بعيدا عن سيطرة الرجل ، كما تعمل على تشغيل الأبناء لزيادة دخلها[٤٩] .

ويعمل الأطفال فى الأسواق التى تسيطر عليها النساء، ومن ثم يكون لدى المرأة الرغبة الدائمة فى الإنجاب لتقوية وضعها الاقتصادى ، حيث تعمل المرأة غالبا فى تجارة الشارع التى تعتمد بشكل واضح على النساء والأطفال، حيث يبدأ الطفل ميلاده فى الشارع مصاحبا للأم فى عملها ، ومن ثم يتدرب على العمل والإقامة فى الشارع، إلى أن يتمكن من الانتقال من مكان لآخر ومن منزل لآخر لترويج تجارته البسيطة بين الناس، وهذا النوع من العمل لايشكل خطورة كبيرة على الطفل لأنه يكون تحت الرعاية الكاملة للأم .

ويعمل بعض الأطفال فى حراسة مداخل المبانى وفى محطات الوقود للحصول على النقود التى تمكنهم من دفع مصروفات المدرسة[٥٠].

وتتحدد فى بعض مجتمعات غرب إفريقية العمل الذى يناط بالطفل سواء كان ذكرا أو أنثى، كذلك هناك إتجاها لتحديد أنواع العمالة لأطوار السن المختلفة، ففى نيجيريا تناط بالطفل فى السنوات الأولى من عمره أعمال تتعلق بشراء المواد الغذائية[٥١] .

وعلى الرغم من الأهتمام بالطفل فى نيجيريا ، فإنه يخضع لتربية صارمة وتكلفه الأسرة بأعمال يعتقد أنها تعطيه تأهيلاً وتدريباً بدنياً وذهنياً فى حياته المستقبلية ، ويشب الطفل ولديه إحساس بأنه لايستطيع الحصول على كل ما يريده ، ويتلقى الطفل تعليماً تقليدياً فى شكل معلومات حول الزراعة أو صيد السمك .

ويمكن إرجاع أحد أسباب عمالة الطفل فى نيجيرياإلى الرغبة فى إكتساب نوع التعليم أو التدريب الذى يعد الطفل ذهنياً . والسبب الثانى هو الذى تفرضه الحالة الإقتصادية ، فالأول يرجع إلى الرغبة فى جعل الطفل يقدر كرامة العمل المبكر كتمهيد للدخول فى مرحلة الرجولة ، أما الثانى يرجع إلى الفقر ويشيع بين الأسر ذات الدخول البسيطة جداً أو الفقيرة .

ويشيع عمل الأطفال فى القطاع غير الرسمي ، يليه القطاع شبه الرسمى كأعمال البناء ، وينخفض فى القطاع الرسمى ويرتبط بالتحضر والتحديث كما يعمل الأطفال فى الأعمال التى تديرها الأسرة، بينما لا ينجذبون إلى العمل فى المطاعم والفنادق ، كما لا تعمل الفتيات فى الأعمال التى تعرضهن لخطورة أخلاقية(٥٣) .

وفى القطاع غير الرسمى لاتوجد ساعات عمل منتظمة، ولا غذاء متوازن وقد يعانى الأطفال من سوء التغذية والمرض، ويتعرضون لأخطار بدنية وأخلاقية . وفى القطاع شبه الرسمى كالبناء والمقاولات فإن الطفل يتقاضى أجره بالقطعة أو باليوم . أما فى المناطق الريفية يتقاضى الطفل أجره يوميا ، ويبلغ أجر الطفل العامل فى الشارع كبائع متجول نفس أجر الطفل العامل فى الحقول وقد يزيد أحيانا(٥٤) .

وفى جنوب إفريقية : فى مجتمع Qwa Qwa على الحدود بين ناتال وليسوتو، نجد أن الطفل يتأثر إلى حد كبير بالعلاقة التى تربط بين الآباء والأمهات فى المجتمع ، فيشيع فى المجتمع ظاهرة الطلاق ومن يعمل ثم الأطفال مع الأم التى تتكفل برعايتهم، ويخرج هؤلاء الأطفال للعمل لمساعدة الأم ودفع تكاليف المعيشية .

ويشيع فى كواكوا الهجرات الفردية من جانب الرجال فى المناجم أو فى المناطق الحضرية وترك المرأة والأبناء بدون عائل ، ويترتب على هذا خروج المرأة للعمل وإهمال رعاية الأبناء مما يؤدى إلى ترك هؤلاء الأطفال للبيت والخروج إلى الشارع فى سن صغيرة لجمع بقايا الطعام من القمامة والعمل فى تنظيف السيارات أو تنظيف المحلات التجارية ، أو كمنادين فى مواقف التاكسى ، ويكون مكان الإقامة هو الاحتماء بمحطات السكك الحديدية أو محطات الأوتوبيسات فى نهاية يوم العمل الشاق مقابل

تنظيف عربات السكك الحديدية الفارغة والتى أصبحت منزلا لهؤلاء الأطفال ، ويعانى هؤلاء الأطفال من الأمراض المعدية والخطيرة بالإضافة إلى بعض الأمراض الاجتماعية مثل تعاطى المخدرات والشذوذ الجنسى (٥٥).

أما عن عمالة الأطفال فى جمهورية مصر العربية فقد قدر العدد الإجمالى للأطفال العاملين فى فئة العمر من ٦: ١٢ سنة بحوالى ١٫١مليون طفل ويمثل هؤلاء الأطفال حوالى ٧٪ من إجمالى قوة العمل عام ١٩٨٤ .

وقد زادت هذه النسبة زيادة كبيرة خلال السنوات الماضية ، ويذهب البعض فى شرح الأسباب المؤدية إلى انتشار عمالة الأطفال فى مصر إلى أنها نتاج بيئة أسرية غير مواتية فتعجز الأسرة عن الإسهام فى تنمية قدرات الطفل مما يؤدى إلى مشكلة (٥٦) .

وتميل الأسر الفقيرة فى مصر إلى تفضيل الأسر كبيرة العدد لأنها تعيش حالة من عدم الشعور بالأمان ، ويرتبط ذاك بعوامل أقتصادية وثقافية ودينية فضلا عن وضع المرأة وعلاقتها بزوجها ، فبالنسبة للأسر العاملة فى الزراعة والأسر الفقيرة بشكل عام ، يعتبر الأطفال رصيدا اقتصاديا للأسر فضلا عن أن تربيتهم لا تكلفهم عبئا اقتصاديا كبيراً ، وليس العامل الاقتصادى وحده هو الذى يدفع إلى زيادة معدلات الإنجاب، فالعدد الكبير من الأطفال يعتبر قيمة فى حد ذاتها ، وهى قيمة ترتبط بالثقافة ، وهناك أسباب تشير إليها معظم دراسات الخصوبة فى مصر هو الاعتقاد بأن المرأة قد خلقت للإنجاب، وأن كثرة الإنجاب تمثل استقرار وأمنا للأسرة عامة والمرأة خاصة(٥٧).

ويساعد الأطفال فى أعمال المنزل وفى الأعمال المولدة للدخل ، ويسفر عن ذلك حلقة مفرغة من الخصوبة المرتفعة مع تدنى المستوى التعليمى والدخل المنخفض، وبذلك تنتشر ظاهرة عمالة الطفل فى سن صغير ، وأن الفقر هو تكيف استاتيكى ومستمر للحرمان منذ الطفولة، وأن التنشئة الاجتماعية فى مصر تعمل على استمرار هذه الثقافة مما ينشأ عنها ظروف نفسية سيئة(٥٨) .

ويرتبط عمل الأطفال بمهن الآباء ومجالات أعمالهم ، فالآباء العاملون فى مهن

بسيطة كالعمال أو الباعة الجائلين من ذوى الدخول البسيطة، ومن ثم فعمل الطفل له وظيفة أقتصادية ممثلة فيما يساهم به الطفل فى دخل الأسرة (٥٩) .

وتتنوع الأنشطة التى يعمل بها الطفل بدءا من مساهمته بالعمل داخل المنزل بدون أجر وهذا النمط شائع لا سيما بين الإناث أو مساهمته داخل المنشآت المختلفة فى المختمع بأجر محدد من خلال أنشطة اقتصادية تمثل خطورة على الطفل من الناحية الجسمانية والنفسية والتى يمارسها داخل المنشأة ويحصل منها على أجر محدد ويلتزم فيها بواجبات والتزامات محددة من حيث النوعية وساعات العمل .

ويعمل هؤلاء الأطفال فى الأنشطة الخطيرة ، وهى أنشطة إنتاجية مثل العمل فى الورش والمصانع الصغيرة مثل أعمال الميكانيكا والخراطة ، وكذلك العمل فى أفران الزجاج والمسابك والبلاط، أو فى بعض أعمال الكيماويات مثل صناعة الخراطيم والمواسير البلاستيك والصباغة . كذلك يعمل هؤلاء الأطفال في الأعمال الخدمية مثل العمل فى ورش كهرباء السيارات أو العمل فى المدابغ والدوكو(٦٠)، وتعد هذه من الأعمال الشاقة والصعبة على الطفل ، فمن ناحية تقع الورش والمصانع الصغيرة التى يعمل بها هؤلاء الأطفال فى القطاع غير الرسمى الذى يفتقد التنظيم اللازم، وأيضا الرقابة والتفتيش الدقيق سواء بالنسبة للشروط الصحية أو متطلبات الأمن الصناعى ، ومن ناحية أخرى يزاول الأطفال أعمالا يحذر قانون العمل عمل الأطفال بها لصغر السن، ولما تتصمنه من مخاطر تهدد سلامتهم (٦١) .

ويعمل الأطفال لساعات طويلة ، فمتوسط بداية العمل هو الثامنة صباحا تقريبا والانتهاء منه بعد السابعة مساء، ويعنى هذا أن الطفل يقضى حوالى إحدى عشر ساعة فى العمل لا يفصلها إلا فترات ضئيلة لتناول الطعام، ويعمل هؤلاء الأطفال حوالى ستة أيام أسبوعيا .

ولا يدرك هؤلاء الأطفال مخاطر العمل أو الظروف المحيطة به ، نظراً لصغر السن وعدم الخبرة أو الدراية الكافية علاوة على الفقر والحاجة الشديدة للعمل .

وتتعمق فكرة العمل لدى الطفل نظراً لنشأته فى أسرة يعمل فيها الأب وباقى

الأخوة بأعمال مختلفة خاصة الحرفية أو الخدمية دون الحصول على مستوى تعليمى مناسب ، ومن ثم يمثل العمل قيمة إجتماعية وإقتصادية هامة نظرا لما يساهم به العضو العامل من دخل يرفع مستوى الأسرة ويشبع العديد من احتياجاتها ، ومن هنا كانت هناك علاقة محددة وواضحة ترتبط بين أوضاع الأسر المصرية الاجتماعية والاقتصادية وعمالة الطفل .

وترتبط ظاهرة عمالة الأطفال عموما ارتباطا وثيقا بتماسك الأسرة، ويعد التفكك الأسرى وأنتشار الطلاق، والزواج بغير الأب أو الأم من الأسباب الرئيسية لدفع الطفل إلى العمل، إلا أن عمالة الأطفال فى مصر قد خالفت هذا الرأى. حيث وجد أنه فى دراسة أجريت على الأطفال ، أن معظم الأطفال العاملين يعيشون فى أسر متكاملة مع الأب والأم(٦٢) .

وينتمى الأطفال العاملون إلى أسر كبيرة الحجم ، نتيجة ارتفاع معدلات الإنجاب. حيث بلغت فى المتوسط حوالى ٧ أفراد فى الأسرة، وهذا الارتفاع يؤثر فى تحديد الإمكانيات المادية التى تشبع من خلالها الكثير من حاجات الطفل العضوية والاجتماعية والنفسية والتى تؤدى إلى دفع الأطفال للعمل فى سن مبكر للمشاركة فى مسئولية الأسرة المادية .

وتوجد علاقة واضحة بين تعليم الآباء وعمالة الأطفال فى مصر حيث تمثل الطبقة الاجتماعية للأسرة عاملا مؤثرا فى إتجاهات الأطفال نحو المدرسة ، فالآباء من الطبقة العليا والمتوسطة الذين نالوا قسطا من التعليم ينظرون للمدرسة كوسيلة للأعداد النفسى والاجتماعى والمهنى ، وعلى ذلك تكون اتجاهاتهم إيجابية عن المدرسة ، أما أطفال الطبقات الفقيرة يكون لديهم ميلا إيجابيا أقل نحو المدرسة ويكونون أقل تأثراً بالمدرسة عن أطفال الطبقة المتوسطة أو العالية(٦٣) . ومن ثم يعانى أطفال الطبقة الفقيرة من انتشار الأمية لدى أسرهم ومن ثم يكون عاملا مشجعا على تسربهم من التعليم لافتقادهم إلى القدوة، وعليه فنسبة التسرب من المدرسة عالية نظرا لعدم وعى الأسر الكافى بأهمية التعليم وإنخفاض قيمته لانخفاض المستوى التعليمى للوالدين وإنخراط الآباء فى الأعمال الحرفية .

أما فى القرن الإفريقى والسودان فتختلف أسباب عمالة الأطفال أو تشرد الأطفال فى الشوارع عن غيرها من الدول الإفريقية الأخرى ، حيث تهدد الحروب حياة الأطفال، لما لها من أثار مدمرة على تمزق وإنهيار البنية التحتية والأنشطة الإنتاجية .

ويقدر عدد اللاجيئن فى الأقطار الأربع التى تشكل القرن الأفريقى وهى أثيوبيا - الصومال - جيبوتى أرتيريا بحوالى مليونين ، وطبقا لأحدث الأرقام فثمة ٨٣٨٤٥٨ أثيوبى فى السودان ، وقدر عدد السودانيين فى أثيوبيا مؤخراً إلى ٣٧٥٠٠٠، كما يتزايد باستمرار عدد الصوماليين البالغ ٤٠٠٠٠٠ ممن هربوا عابرين الحدود إلى أثيوبيا وجيبوتى بسبب الحرب فى الصومال(٦٤).

ويعتبر وضع الأطفال فى هذه البلدان غير مرضى ، فعظم البلدان المضيفة تعانى من الحروب الداخلية فيما عدا جيبوتى ، كما تعانى من وضع أقتصادى متدهور بسبب المجاعة والجفاف والسيول .

وطبقا لتقديرات ١٩٩٠ فإن حوالى ٤٧.٧٪ من اللاجئين الأثيوبيين الذين يعيشون فى معسكرات فى السودان هم أطفال دون الخامسة عشر، لكن عدد الأطفال يتجاوز ٥٠٪ فى بعض المعسكرات ويعانى هؤلاء الأطفال من أمراض سوء التغذية وأمرا الجهاز التنفسى والتهابات العيون بالإضافة إلى الملاريا والإسهال(٦٥).

ولكى تتضح تأثيرات الحروب يمكن توضيح الحالة العامة للنساء والأطفال فى فترات الحروب ، أى الظروف الاجتماعية والاقتصادية فى المجتمع الأم، فمثلا فى مجتمع جنوب السودان ، يعمل معظم الجنوبيين إما فى الزراعة أو الرعى، وتلعب النساء أدوارا هامة فى أنتاج الغذاء ويضطلعن بالعمليات الزراعة الرئيسية ومعالجة الغذاء خاصة منتجات الألبان . كذلك تساهم النساء فى صيد الأسماك وتجفيفها وفى رعى الحيوانات وتشمل أدوارهن الرئيسية رعاية الأطفال ويشارك الأطفال منذ سن مبكرة فى حياة الجماعة ويساعدون فى مختلف الأنشطة اليومية، والعلاقات الاجتماعية الوثيقة هي من بين أهم ملامح الجماعات فى جنوب السودان ، خاصة وسط العائلات الممتدة وبين جيرانهم . وكلا المجموعتين - أى القرابة والجيرة - توفران نسق

مساندة اجتماعى مهم . لذا فالنساء الجنوبيات يعشن فى بيئة ومحيط اجتماعى يساعدهن على اكتساب المهارات والتسهيلات لأداء دورهن الثلاثى الإنجابى والإنتاجى والإدارى .

وفى ذلك المحيط يكتسب الأطفال ثقافة جماعتهم والمهارات الضرورية لأداء الكبار عندمايحين الوقت لذلك. ومع ذلك فهذه الأدوار والشروط الاجتماعية ليست استاتيكية بل ديناميكية متغيرة، فقد تأثرت بالوضع الاقتصادى المتغير فى السودان.

أما فى مناطق الحروب ، أصبحت أدوار النساء الإنتاجية أكثر مشقة ومخاطرة وسط الجماعات التي بحثت عن اللجوء في المناطق النائية ، إذ يقع عليهن مهام تنظيف وتحضير الأرض ، وبالإضافة إلي ذلك تتعرض النساء والأطفال أثناء جمع حطب الوقود والماء قريبا من النهر لمخاطر الأسر أو الموت .

وتعيش النساء أيضا شروط صحية متدنية وبالتالي تتهدد حياتهن بإنتشار الأمراض المعدية التي بها يتأثر الأطفال أيضا . لأن غالبية النازحين هم من النساء والأطفال وهذا الاتجاه يسود في جنوب السودان منذ زمن طويل حيث يبقي الرجال في منطقة الحروب للانضمام إلي المجموعات المقاتلة بينما ترسل النساء والأطفال أو الأطفال وحدهم أحيانا إلي الأقاليم الأخري[٦٧].

وقد مرت النساء والأطفال ممن انتقلوا إلي الأقاليم الشمالية من السودان بتجارب مختلفة ، فهم يرحلون فى الغالب بلا ممتلكات ويسيرون لزمن طويل قبل أن يصلوا إلي معسكرات التوطين أو الأماكن الأخرى في المدن . وهم يعيشون سواء في المعسكرات أو مع مجموعاتهم العرقية فى العشوائيات فى إزدحام وفى بيئة غير صحية ، ويعتمد الموجودون في المعسكرات علي إعانات الإغاثة بواسطة المنظمات غير الحكومية . ومع ذلك فهم لا يستطيعون الاعتماد علي مساعدة كهذه لزمن طويل ، فهي كثيرا ما تنقطع أو تتعطل بسبب الوضع السياسى ، بالإضافة إلى التنافس بين النازحين سواء من غرب السودان أو الجنوب حول هذا العون[٦٨].

وتعتمد الأسر النازحة - بسبب الفقر ومعدلات البطالة العالية في المدن الودانية ،

علي أطفالهم للمساهمة في دخل الأسر ، وحسب بيانات مجلس الكنائس السوداني فإن ٤و٢٥٪ من الأطفال الجنوبيين النازحين في الخرطوم يدخلون في قوة العمل . ، نظرا إلي أن غلبية الأطفال هم دون الخامسة ، فإن ٤٠٪ ممن هم فوق الخمس سنوات هم جزء من قوة العمل التي تعمل في غسيل السيارات وكباعة في الأسواق وباعة سجائر متجولين .

ومع ذلك فإن عددا كبيرا من الأطفال يصبحون متشردين ، ويشكل الأطفال الجنوبيين حوالي ثلثي أطفال الشوارع في الخرطوم والذين يقدر عددهم بخمس وعشرون ألفا من الأطفال ، وهم في الغالب من الذكور فوق العاشرة . ورغم أن بعضهم قد يقوم بنشاطات متقطعة ، إلا أن معظمهم يعولون أنفسهم بالتسول والسرقة . ومن المألوف أن يقوم هؤلاء الأطفال بجمع بقايا الطعام من القمامة . ونظرا لتجولهم لساعات طويلة في الشوارع في الجو الحار والشمس فإنهم يعرفون بإسم (الشماسة) .

وتنتشر العديد من الأمراض وسط هؤلاء الأطفال مثل الأنيميا والبلهارسياوالأمراض التناسلية ، علاوة علي ذلك فإن حياتهم معرضة للخطر بسبب العادات والممارسات السيئة المنتشرة فيما بينهم مثل التدخين واستنشاق البنزين والغراء وشرب الكحول وتدخين الحشيش(٦٩) .

كذلك يشارك الأطفال فوق السابعة في الخدمة المنزلية ، وفي هذا فهم عمنوما ينهمكون في العمل ، ويتلقون مقابلا قليلا بالمقارنة بالارتيريين أو مجموعات سودانية أخري تعمل في هذا النشاط ، وفوق ذلك فالأطفال لا يحميهم القانون ويمكن طردهم من الخدمة فى أى وقت بلا سبب . كما قد يتركون الخدمة عندما يجدون مقابلا أفضل فى مكان آخر. ويلاحظ. أن فتيات صغيرات أصبحن يعملن فى بيع الشاى والعصيدة .

ويشمل أطفال الشوارع الأيتام وغيرهم ممن فقدوا الاتصال بأبويهم أو بسبب فقر أسرهم ، فحياة الشوارع هى استراتيجية بقاء ، فهم يعيشون فى الشوارع بالتسول وأكل القمامة والسرقات، وهم معرضون للاضطهاد والاعتداء والاستغلال الجنسى .

ويواجه اللاجئون عموما والنساء والأطفال خاصة مشكلة الاجتثاث الثقافى

Uprooting ، نتيجة الرحيل بسبب الحرب والإقامة فى بيئة إجتماعية مختلقة مع مجموعات عرقية مختلفة وهذا يعنى فقدانهم للرموز الثقافية والهوية وأنماط السلوك المعتاد ، بالاضافة إلى فقدان العديد من العلاقات المتأثرة بالحرب من اضطراب حياتهم الثقافية .

وقد أدى هذا الاجتثاث الثقافى إلى اضطراب أدوار النساء كأمهات ، والنتيجة أن دورهن فى مد ثقافتهن إلى أطفالهن أمر صعب . ذلك لأن حياة الجماعة وخصائصها فى المساندة والتعاون والأمن والتى تعزز هذه الأدوار قد تمزقت ، وقد تفسر مثل هذه القيود على الأمومة لانتشار ظاهرة أطفال الشوارع[٧٠].

ونخلص من العرض السابق إلى أن هناك أسباباً جوهرية تؤدى إلى إنتشار ظاهرة عمالة الأطفال بشكل واضح فى القارة الإفريقية تتمثل فى العوامل الاقتصادية والحاجة الشديد إلى تضافر كل أعضاء الأسر لسد حاجاتهم الضرورية ، وبالتالى اللجوء إلى عمل الطفل. كذلك تعتبر البيئة الأسرية غير المواتية ممثلة فى الانفصال بين الأبوين عاملاً هاما ومؤثرا فى أتجاه الأطفال إلى الشوارع هرباً من هذه الظروف القاسية، وقد لعبت الحروب والصراعات دوراً هاماً فى تشرد الأطفال ولجوئهم إلى الشوارع والاحتماء بها .

وأختلفت الأسباب المؤدية لعمالة الأطفال فى مصر عنها فى الدول الإفريقية الأخرى حيث أتضح أن تصدع الأسر لا يعد عاملاً مؤثراً فى أنتشار الظاهرة وأقتصرت الأسباب على العوامل الاقتصادية والتسرب من التعليم .

ويمكن أن نصنف أهم الآثار الناتجة عن عمل الأطفال فى الآتى :

١ - من المعروف أنه ينظر إلى الطفل فى المجتمعات الأفريقية ، أنه أحد الموارد الاقتصادية الهامة للأسر ، حيث أن طبيعة هذه المجتمعات لا تعرف تميزا حادا بين العمل والراحة واللعب فالحياة هى العمل ، والعمل هو الحياة ، وحيث أن الطفل فى الريف ينضج فى فترة مبكرة ، فأنه يصبح لازما عليه أن يبدأ العمل فى سن مبكرة ليقوموا بنصيبهم فى العمل ، فتساعد البنات أمهاتهن فى الأعمال المنزلية ، والذكور

يقومون بأعمال الحقل المختلفة ، وليس مسموحا للطفل فى الريف الأفريقى أن يظل طفلا لمدة طويلة ، وأن ينال رعاية خاصة ، أنه درب مبكراً على تلقى مسئوليات الكبار، ومن هنا فالطفل فى الأسرة الأفريقية لا يمثل أدنى عبء على من يتولى آمره خاصة من الناحية الاقتصادية .

٢ - عمل الطفل فى سن مبكرة يمده بالإحساس بالرجولة المبكرة ، إذ يشعر الطفل بالثقة لقدرته على مساعدة أسرته اقتصاديا والإنفاق على نفسه .

٣ - يزيد من قدرة الطفل على حل كثير من مشاكله، وهذا يساعده على الاعتماد على نفسه أكثر من الاعتماد على الآخرين .

٤ - تشغيل الطفل فى سن صغيرة قد يساعد الأسر على زيادة دخلها ، وتحسين مستوى معيشتها .

٥ - عمل الطفل فى سن صغيرة يساعده على تعلم العديد من المهن ، أو الحرف فى سن مبكرة يزيد من مهارته وقدراته فى الكبر .

٦ - عمل الأطفال فى سن مبكرة يساعد على سد النقص فى بعض الحرف التى تأثرت بالمتغيرات الاقتصادية ، وذلك بعد هجرة العديد من التخصصات خاصة مصر .

٢ - الآثار السلبية :

١ - فى معظم الحالات تجد الأم صعوبة فى توفير الغذاء لأطفالها، نظرا لقلة دخل الأب ، لذلك تضطر الأم أن تبحث عن عمل وتترك أطفالها بمفردهم بدون رعاية مع آخرين ، وغالبا ما تكون معيشتهم فى فترة غيابها فى الشارع ، وبالتالى يصبح أتجاه هؤلاء الأطفال فى الكبر للأعمال غير الدائمة مثل مسح الأحذية أو بيع الجرائد أو كباعة جائلين أو منادين فى مواقف التاكسى أو الأتوبيس، وبذلك يصبحون فريسة سهلة للانحراف ، والاتجاه للشحاذة أو السرقة .

٢ - فى الأسرة الصناعية نجد أنه إلى جانب القوانين التى تمنع تشغيل الأطفال في سن معينة ، أصبح الطفل فى حاجة إلى فترة كبيرة لكى يتمكن من الوصول إلى دور الإنتاج هذا بالإضافة إلى أن المعارف والمهارات المطلوبة للتكيف فى المجتمع الزراعى

في معظم المجتمعات الأفريقية ليست صعبة، فمهنة الزراعة بسيطة غير معقده عكس المجتمع الصناعى ، فإن أقل قابلية للتكيف تحتاج إلى تدريب على مهارات لم تكن موجودة من قبل ، فالحياة تغيرت فى الريف حيث كان الفرد يتعلم المهارات من والديه، إلى حياة معقدة يتعلم فيها الطفل مهارات قد لا يعرفها والده حتى يمكن أن يكون عضوا منتجا ، أى أن الطفل فى الأسرة الصناعية تغير مركزه، من وحدة منتجة فى الأسرة ، إلى عبء أقتصادى .

خلاصة القول أن التصنيع جعل من ولادة طفل جديد دمسئولية جديدة وكبيرة ، والعناية به تحتاج إلى جهد كبير إلى جانب إمتصاصه جزءا كبيرا من ميزانية الأسرة، وحاجته إلى الملابس ، والعناية الطبية، ومصاريف الترويح ، والمصاريف الأخرى التى يتحملها ساكن الحضر، والمجتمع الصناعى أكثر من سكان الريف، وهذا هو السبب الذى جعل الأسرة فى المجتمع الصناعى تميل إلى الإقلال من عدد أفرادها .

٣ - عمل الطفل فى سن مبكرة يؤدى إلى حرمانه من الحصول على قدر مناسب من التعليم .

٤ - يحرم الطفل من التمتع بمرحلة الطفولة ويجعله يتحمل مسئوليات أكبر من سنه .

٥ - دفع كثير من الأطفال إلى العمل فى مهن قد لا تتفق مع ميولهم أو قدراتهم.

٦ - تعرض الطفل لظروف عمل قد لا تتلائم مع حالته الجسمانية ، أو العقلية مما قد يؤدى بالتالى إلى تأخر نموه العقلى ، والبدنى ، والثقافى ، والمهنى والسلوكى .

٧ - هبوط مستوى الإنتاج من حيث الكم والكيف ، فكثيراً ما نرى الآن أطفالاً يقومون بأعمال تحتاج إلى الدقة .

٨ - تفشى بعض العادات الضارة بين هؤلاء الصغار ، كالتدخين وتعاطى المخدرات.

٩ - تضخم حجم قطاع الخدمات غير الإنتاجية ، كمنادى السيارات وبائع الجرائد والباعة الجائلين .

المراجع العربية والأجنبية :

Christian, Grootaert & Rovi Kanbur : Child Labour, AReview. World. Bank, 1995, P.3.

٢ - علا مصطفى : الطفل وأفاق القرن ٢١ . الأطفال العاملون الحاضر والمستقبل - المؤتمر السابع للإحصاء - المركز القومى للبحوث الإجتماعية والجنائية - القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ١٦٧ .

٣ - مكتب العمل العربى : الأحداث فى قوانين العمل العربية والأجنبية - مؤسسة الفليج للطباعة والنشر - الكويت ١٩٨٤ - ص - ٢٠.

Max, A. Anyutu, Ugand's Street children, Africa Insight, Vol. 26, No.3, 1996, p 268 .

٥ - أمانى عبد الفتاح : المتغيرات الإجتماعية المتعلقة بعمالة الأطفال « دراسة استطلاعية - معهد البحوث والدراسات العليا للطفولة - جامعة عين شمس - العباسية - القاهرة - ١٩٩٤ - ص ١٥ .

٦ - إلهام عفيفى وآخرون - مؤتمر الطفل وأفاق القرن الحادى والعشرين - المركز القومى للبحوث الإجتماعية والجنائية - القاهرة ١٩٩٣ ، ص ٢٧٨ .

٧ - المرجع السابق ص ١٥ .

٨ - علا مصطفى - عمالة الأطفال في السياق العالمى فى عمل الأطفال فى المنشآت الصناعية الصغيرة - المركز القومى للبحوث الرجتماعية والجنائية - القاهرة ١٩٩٦ - ص ١٤.

9 - TLO, The Elimintation of Child Labour, Geneva, 1992- P.13.

10 - ILO- World Labour Report, Geneva 1993, P.28.

11 - Mende Leveich, E.ed " Child work, ILO, Geneva, 1980. P.12.

12 - Keith Grint: The Sociology of work-An Introduction, Polity Press.Cambridge1992, P.8.

13 - Ibid., P.9.

14 - Ilo, The Elimintation of child iabour, op-cit, p.14.

١٥ - علياء شكرى وآخرون - المرأة فى الريف والحضر « دراسة لحياتها فى العمل والأسرة ، دار المعوفة الجامعية - الإسكندرية ، ١٩٨٨ - ٣٩٣ .

16 - J.C. Kotzi: Children and the Family in Rural Settlement in Gazankulu. African Studies, Vol.51,No.2, 1992, pp. 143.

17 - ILO. The Elimination of Child Labour, op-cit. p.15.

١٨ - دراسة ميدانية قامت بها الباحثة فى مجتمعات أوغندا وكينا وتنزانيا فى مجتمعات أوغندا سنة١٩٩١ .

١٩ - أنيد شيلد كروت - نظرة جديدة لعمالة الأطفال - ترجمة تماضر توفيق - المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية - مجلة اليونسكو - عدد ٤٤ سبتمبر ١٩٨١ - ص ٨٨ .

٢٠ - حسن ملا عثمان : الطفولة فى الإسلام - مكانتها وأسس تربية الطفل - دار المريخ - الرياض - بدون سنة ص ص ٧٢ ، ٧٣ .

٢١ - عادل عازر وناهد رمزى - عمالة الأطفال فى مصر - المركز القومى للبحوث الإجتماعية والجنائية - القاهرة - سبتمبر ١٩٩١، ص ٣١ .

22- Odile, Frank: The Child Bearing Fmily in Sub Saharan Afica, Structure Fertility and Future, W.B. Sept. 1995 .

٢٣ - يترس لوراس لوكو: أتجاهات الأسرة والحركة السكانية فى أفريقيا ـ المتغيرات فى أنماط الأسرة ـ المجلة الدولية للعلوم الإجتماعية ـ اليونسكو ١٩٩٠ - العدد ١٢٦ - ص ٤٢ .

٢٤ - ماجدة إبراهيم عامر : النمو السكانى فى أفريقيا - مجلة معهد البحوث والدراسات الأفريقية - العدد سنة ١٩٩٧، ص ١٩٤ .

25- Singh, Ram D.& Matthew J. Morey: The Value of Work-at home and Contribution of Wives, Economic Development and Cultural Change, 1997, P.793.

26- Neil, Price: The changing Value of Children Among Kikutu, of Central Province Kenya, Afica Vol. 66,No.3, 1996, p.412.

٢٧ - علياء شكرى وآخرون، مرجع سابق ، ص ٣٧٦ .

٢٨ - نفس المرجع السابق ، ص ص ٣٨٦، ٣٨٧ .

٢٩ - عبد الغفار محمد أحمد وسامية الهادى النقر - السودان - مستقبل التنمية والسلام - مركز الدراسات السودانية - القاهرة - مارس ١٩٩٥ . ص ص - ٨٦ - ٨٨.

٣٠ - عادل عازر، ناهد رمزى ، عمال الأطفال فى مصر ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .

٣١ - أمانى عبد الفتاح - مرجع سابق ذكره - ص ٧٨ .

32- J with Ennew: Difficult Circumstances some reflections on street. children in-Africa, Africa Insight. Vol. 26, No.3, 1996. P.203.

33- Max A. Anyuru: Uganda's Street Children, Africa Insight. vol. 26,. No.3, 1996. pp.270, 271.

34- World Bank,African Development Indicators, Washington, D.C. 1997. P. 288.

35- Ibid., P. 289.

36- Luis Aptekker : Streetchildren in Nairobi, Africe Insight. vo1.26, No.3, 1996, P.253.

37- Neil, Price, The Changing value of children among Kikuyu, op -cit P. 42.

38- Ibid ., p. 412 .

39- Ibid. ,P. 46.

40- Akabayashi, Hideo & George, Psacharopoulo, the Trade - off between Child labour and human formation. A Tanzanian-Case Study. the journal of development studies, vol. 35, No. 5, Frank cass. London 1999, P. 120.

41- Bourdillon, M.F.C., Street Children in Harrare, Africa vol. 26, No.2, 1995.

42- L, Dube & L.Kamvura : Working with street boys in Harare, Africa Insight, vol. No. 3. 1996, P. 265.

43- Bourdillon, op-cit. PP. 520-521.

٤٤ – علا مصطفي – مرجع سابق ص ١٧ .

٤٥ – نفس المرجع السابق – ص ١٩ .

46- P. Ebigbo, Street Children. The care of child abuse and neglect in Nigeria, Africa Insight, vol 26. No. 3, 1996, P. 244.

47- World bank, African development Indicators, op-cit. P. 288.

٤٨- أنيد شيلد كروت – مرجع سابق ص ٨٨ .

49- Christiaan Grootaert & Ravi kanbur, child labour: Areview, op-cit. P. 4.

٥٠ -أنيد شيلد كورت – مرجع سابق ص ٨٩.

٥١ – علا مصطفي وعزة كريم – مرجع سابق ص ١٥ .

٥٢ – نفس المرجع السابق ١٦ .

٥٣ – نفس المرجع السابق ١٧ .

54- Isak A., Niehaus: Domestic Dynamic and Wage labour: A Case Study Among urban Residents in Qwa Qwa. African studies, Vol. 47, No. 2, 1998, P. 129.

٥٥- عادل عارز : عمالة الأطفال في إطار حقوقه الأساسية - مرجع سابق - ص ٧٦ .

٥٦ - علياء شكري وآخرون : المرآة في الريف والحضر . مرجع سابق . ص ص ٣٩٤ - ٣٩٥ .

٥٧ - إلهام عفيفي وآخرون : الطفل وأفاق القرن الحادي والعشرين - مرجع سابق ص ٢٤٩ .

٥٨ - نفس المرجع السابق ص ٢٩٤ .

٥٩ - علا مصطفي وعزة كريم : عمل الأطفال في المنشآت الصناعية الصغيرة - مرجع سابق - ص ٩٩ .

٦٠ - نفس المرجع السابق ص ١١٤ .

٦١ - نفس المرجع السابق ص ١١٥ .

٦٢ - أماني عبد الفتاح : المتغيرات الإجتماعية المتعلقة بعمالة الأطفال في الريف « دراسة إستطلاعية » معهد الدرسات العليا للطفولة - مرجع سابق - القاهرة ١٩٩٤ - ص ٧٣ .

٦٣ - سامية الهادي النقر : السودان ومستقبل التنمية والسلام - مركز الدراسات السودانية - القاهرة مارس ١٩٩٥ . ص ص ٨٤ ، ٨٥ .

٦٤ - نفس المرجع السابق ، ص ٨٥ .

٦٥ - نفس المرجع السابق ص ١٠٢ .

66- Idris, Ghannan : Harmful, Traditional, Practices. Affecting, the Health of women and children in the sudan, International conference on population and development. Cairo, 1994. PP. 97- 98.

67- Ibid., P. 102.

٦٨ - سامية الهادي النقر - مرجع سابق ص ص ٨٣ ، ٨٤ .

69- Kafi, Nur Tawir: The state, Low, Traditions and the status, Human rights of woman. Country position Paper, Egypt, 1994. P. 105 .

مجلة الدراسات الأفريقية - العدد ٢٠ (١٩٩٨) : ٥٣ - ٩٠

جهاد الحاج عمر الفوتى تال نظريا وتطبيقيا

د / الحسن يرولى*

الفصل الأول : الحاج عمر شخصيته وبيئته والسمات الغالبة عليها

المبحث الأول : شخصية الحاج عمر

أولا : البيئة والخبرة اللتان أثرتا عليها :

ولد عمر الفوتى ١٧٩٨م فى قرية هلوار الواقعة على الضفة الغربية من نهر السنغال ومن أعمال مدينة بدور الواقعة فى إقليم سينلويس . ونشأ فى بيئة دينية علمية مرموقة فى بلد عرف الحكم الشرعى للدين الإسلامى بما يزيد على قرن من الزمن باعتبار أن الجمهورية الإسلامية فى فوتا قد قامت فى نهاية القرن السادس عشر وكان رؤساء هذه الجمهورية (التى أقامتها نقباء أبناء فوتا بزعامة الشيخ سليمان بال الذى لم يتول الإمامية) كانوا يدعون بالأئمة .

تزود عمر الفوتى بعلوم الدين وبالتربية الإسلامية الصحيحة فى هذه المنطقة وترعرع فى ظل الشهامة ، الإباء والشرف والتقوى هي من الأمور التى عززت حزمه وطموحه إلى ما هو أفضل ، لأن بلاده بلاد الإسلام قد استهدفت مكافحة الغرب الذى شرع فى محاولة تلويح الصليب مصطحباً بقوة السلاح والمال والعلم الحديث وكان مما يخاف منه أن تصل هذه الأمور كلها إلى أراضى أفريقية بكرة لم ترسخ فيها بعد عقيدة

* رئيس قسم اللغة العربية فى المدرسة العليا بجامعة « شيخ أنت جوب »

الإسلام فهب للإستزداة من العلم والقوة ليجد للمسلمين عامة وللأفارقة السود خاصة كما وكيفا من الدعائم التى بها يقفون أمام الغزو الصليبى السافر الذى جاء من الغرب[١].

وعندما بلغ عامه الثالث والثلاثين ١٨٣٣م سافر نحو الشرق ومر فى كثير من القرى والأقاليم فى منطقة غرب أفريقيا ومنها إلى كل من غينيا ومالى وفولتا العليا وغانا والنيجر وليبيا والسودان ومصر والحرمين الشريفين والشام حيث لقى ملابسات عديدة تجد ذكرها فى كتب التاريخ والسير الخاصة بالحاج عمر الفوتى[٢].

لقد شارك خلال هذه الرحلة الطويلة التى استغرقت ٢٠ سنة فى عدة أمور علمية ودينية وإجتماعية كبرى وعلى سبيل المثال مروره بغينيا حيث انتسب إلى السلك التجانى بواسطة عبد الكريم جللو الذى لقنه الطريقة التجانية بعد ما سبره وعرف بأنه أهل لذلك كما أنه فى غينيا لقى رجال العلم أصحاب الأسرار الدقيقة والفقهاء وأجرى معهم مناظرات علمية . منهم جيرنو ساد دلى .

وفى ماسنا نزل ضيفا عند الأمير أحمد باب لبو فأكرمه وأحسن وفادته وأوصاه بأهله فقبل راضيا ولكن حفيده أحمد بن أحمد مع صغر سنه عبر عن رفضه للشيخ بالبكاء الذى فهمه الرجلان وسيأتى الكلام عن ذلك فى أحداث الجهاد[٣]. وفى نيجيريا صادف وصوله قيام حرب بين قبائل كانم برنو وأمير سكتو الشيخ أحمد بللو ابن الشيخ عثمان دم فوديو واستفاد الشيخ عمر بذلك الجهاد استفادة كبيرة وله مع هذه الأسر أى أسرة أحمد بللو أشرف روابط دينية وعلمية وإجتماعية .

---

(١) إبراهيم شام :تعامل تربوى ولغوى مع كتاب ((تذكرة القلوب)) للشيخ عمر الفوتي . القسم العربي بالمدرسة العليا للأساتذة . جامعة شيخ أنت جوب .١٩٩٤، المقدمة .

(٢) شكيب ارسلأن :حاضرة العالم الإسلامي . بدون تاريخ ص ٢٩٤

(٣) الشيخ موسي كمرا ، أشهي العلوم وأطيب الخبر فى تاريخ الحاج عمر مخطوطات شيخ موسي كمرا المعهد الأساسى لأفريقيا السوداء I.F.A.N جامعة شيخ أنتا جوب داكار، ص٥ .

وفى مصر مر فى وقت كانت فيه الثورات ضد الهيمنة البريطانية والتركية معا بأشد أوجها وهو الذكى العاقل العالم المهتم بمستقبل الإسلام فى أفريقيا خاصة وفى العالم عامة . استطاع أن يستلهم كل هذه الحركات والثورات والإنتفاضات ويشربها فكريا وعمليا ليسخرها فى طاقته الكامنة التى يحمل طموحاته وأهدافه الرامية إلى خدمة العقيدة الإسلامية فى غرب أفريقيا . وفى الحرمين الشريفين ، حج واعتمر وزار وجاور رسول الله ﷺ المنقذ من الضلال(١).

فكأنه فى هذه الحالة شعر ببلوغ نصف هدفه وكأنه عند ما لقى الشيخ محمد الغالى التجانى فى مكة نال المنى وفيها جرى بينهما حديث طويل نكتفى فيه بإستلامه منه نسخة من جواهر المعانى واستخلافه له برتبة خليفة من خلفاء الشيخ لا من المقدمين فحسب بل هو نائب عن الشيخ مطلقاً فى الطريقة التجانية وبتلك الحقائق عرف قيمة جواهر المعانى وأحاطها برماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم صونا لها .

قلنا إن سفره الطويل قد إستغرق حوالى ٢٠ عاما وعودة منه وإلى فوتاتور وسنتناول هنا لمحة من التعاملات التى جرت له مع من مر بهم فى طريق عودته ومما يهمنا هنا مروره بحمد الله عاصمة أمير «ماسينه» حيث نزل مرة ثانية عند الشيخ أحمد بللو الأمير الذى اختار أصغر أبنائه وحفيده أحمد بن أحمد لإجراء حوار مع الشيخ عمر الفوتى تال فغضب باقى أبنائه بحجة أنهم أبعدوا عن هذا الحوار والحال هم أكبر سنا من المختارين ولكن أمير ماسينه أجاب أولاده بقوله « أن هذا الشيخ سيملك أرضكم مستقبلا فى الوقت الذى أنا وإياكم نكون فيه كلنا فى عداد الأموات بينما سيكون هذان حاضرين ومن هنا بدأوا فى تدبير مؤامرات لاغتيال الحاج عمر وللقضاء على مهمته وشرعوا فى تتبع آثاره مرسلين إلى كل الملوك الذين سينزل عندهم أو سيمر بمالكهم بتهم الزور وبأنه يأتى لغزوهم ولذل عروشهم ليصبح ملكا عليهم فأنكروا عليه كل خصال الدين بل اتهموه بأنه طالب الدينا الأمر الذى أدى ببعض الملوك إلى تصديق هذه المزاعم الكاذبة ومنهم ملك سغو: المسمى « بشفلو» الذى ألقى عليه القبض

(١) ابراهيم تيام مرجع سابق ص هـ ، و

ووضعه فى سجن شديد ولم ينبح مته إلا بواسطة سيدة حكيمة أخت الملك التى أو عزت إلى الملك بالكف عن إيذاء الرجل الدينى وتفنيد مزاعم الماسينيين الذين[1] لو كانوا صادقين لقتلوه هم بأنفسم وذكرته بأن كلامهم هذا دسيسه يرمون من ورائها إلى إضعافه وإيقاع اللعنة عليه لا أكثر ولا أقل[2] . ويكفيه فى ذلك دليلا تورم جسم الملك وتمكن الشيخ من مداواته بسرعة مذهلة [3] . وهكذا تم إطلاق سراحة وإكرامه ثم استمر فى طريقه تتقاذفه الأحوال لسعة الوشايه التى قام بها أهل ماسين الذين يرون قتله وحيلولة دون المرام حتى وصل إلى فوتا جلون وحط رحاله فى موضع يسمى « جكنكو» فسكن هناك مدة ما جاء إليه خلالها كل من : مود محمد جم ، وألفا عباس ، ومود محمد الفكاوى وهم من وجهاء أرض فوتا جلون فبايعوه بيعه الرضوان وصاروا أكبر قواده على فصائل فوتا جلون من جيشه. ثم عزم على العودة إلى فوتا تور مارا بجلف وهكذا وصل إلى فوتا وإتجه مباشرة إلى دمت حيث لقى « المان بوبكر كن » وكان طاعنا فى السن ولما تحدث معه فى أمر الجهاد فى سبيل الله اعتذر له لكبر سنه مع حسرة فى قلبه قلنا إن الشيخ إلمان بوبكر قد أجاب الحاج عمر أسلفنا ولكنه لم يكتف بذلك ، بل قدم إليه أبنه سليمان إلمان بوبكر، ودله على رجلين من ذوى الإيمان والعلم والنفوذ كل واحد فى مكانه لكى يتشاور معهما فى أمر الجهاد فى سبيل الله وهما تفسير جابر جالو، فى قرية « جانيوم » الذى يعتبر رائد جماعة فولب جاوب « الذين بايعوه والشيخ أحمد المهدى من قرية « وورو المهدى» الذى كان يعتبر نفسه بأنه هو المهدى المنتظر وكان يعد العدة لمحاربة النصارى الغزاة الرابطين فى سان لويس وفى جلوار مسقط رأس الحاج عمر بعد إجراء محادثات مع الرجلين ، حط رجاله ودعى جميع العلماء ومشايخ أرض فوتاتو بتوجيه الرسائل إليهم

---

(١) محمد الحافظ التجاني مصر : الحاج عمر الفرتي سلطان الدولة التحانية جهادة وتاريخ حياته، ص ١٠ – ١١ . وراجع : إبراهيم تيام : مرجع سابق / نفس الصفحة ١٠-١٢ .

(٢) مقابلة مع السيد / بيد باص الذي نقل كل معلوماته من كتاب محمد علي تيام الذي صاحب الحاج عمر في كل حركاته وجهاده .

(٣) موسي كمرا ، مرجع سابق .

جميعا فاستجاب الجميع تقول كتب التاريخ ، قد بايعه تسعه وتسعون عالما بالجهاد فى سبيل الله ثم أخذ طريقه إلى فوتا جلون مارا بـ « بوندو » بعد أن بايعه أكثر أهل فوتا جلون ووصل إلى أهله فى « جكنكو » حيث كان قد ترك أسرته[1] ومال فكره إلى تنفيذ ما أمر به من بحث عن موضع يقيم فيه وهو دينغراى وهكذا وجه طلبا إلى أمير فوتاجلون ليرخص له فى أمر السكن فى هذه البقعة الجديدة دينغيراى الجديدة دينغراى[2] غير أن أمير فوتا جلون أخبره بأن تلك الأحراز ليست تابعه لأراضى بلاده بل هى من سلطة يمبا ساخو ملك تامبا ومن هنا وجه طلبا جديدا إلى هذا الأخير الذى وافق عليه بشرط منحة الجزية سنويا فقبله الحاج عمر راضيا ثم انتقل إلى المكان «دينغراى» وقسمه إلى ثلاثة أقسام القسم الشمالى الذى أسكن فيه أهل فوتا تور وسماهم بالمهاجرين كما أسكن أهل فوتا جلون فى القسم الجنوبى وسماهم الأنصار بينما بقى فى الوسط مسكنا إتخذه مصلي ومدرسة ودار الندوة[3] .

ثانيا : السمات الغالبة عليه :

إن الرجل الذى بين أيدينا يكاد أن يكون فذا فى شخصيته وفريدا فى عصره ونادراً أن يكون هناك رجلا له سمات تساوى السمات الشخصية المعروفة عند الشيخ عمر الفوتى تال .

لقد كان الحاج عمر عالما حطم الرقم القياسى فى سعة الإطلاع وعمق الفهم للمواد العلمية والفكرية والثقافية والأجنبية السائدة فى العصور التى سبقته وفى عصره بل حتى فى العصور التى لحقت عصره .

لقد كان مدرسا حريصا على تكوين أبناء جيله وفيلسوفا عرف بالحكمة الدقيقة وحسن التخلص فى ابراز فكره وكان شاعراً وخطيبا بليغا يستحوذ على القارئ عندما يكتب وعلى السامع عندما يخطب وعلى الباحث عندما يطلع هذا الأخير على آثاره الفكرية والأدبية والعلمية .

(١) الشيخ مرسي كمرا المرجع السابق ص ٦ .

(٢) مقابلة مع السيد / بيد بياض . مصدر سابق .

(٣) الشيخ موسي كمرا ، مرجع سابق ، ص ٨ - ١٠ .

كان الحاج عمر عابداً تقيا يحل وينتقل فى أحضان كتاب الله متعلما خلال السنة الصحيحة مما جعله يتخذهما مرشداً ومرجعا فى كل الأمور العملية والسلوكية والشعوذة التى كان يعيشها .

فقد تكونت شخصيته من منطلق الإيمان واعراف الشجاعة المعروفة فى بلدته الأصلية، فصقلها الكتاب الكريم وسنة النبى الحبيب ﷺ ، فكان منبع عزمه وكرمه وسخائه وصدقه وإخلاصه فى كل تصرفاته .

كان محبا للإنسانية وغيورا للإسلام ولبنى بشرته السوداء وكان مطلعا على أوضاع عصره عالميا ومحليا ، الأمر الذى حدا به إلى مناهضة الطغات والوثنيين ورد العدوان علما بأت هدفه الوحيد هو انقاذ قومه الأفارقة من عبادة الأوثان إلى نور الإيمان بالواحدانية ومن غطرسة الإقطاعية وإستعباد الملوك إلى عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد ومن حياة الإذلال والإهانة إلى حياة الحرية والكرامة والعزة التى يدعو إليها الإسلام. فدرس ووعظ وأرشد ووجه وربى بما يلائم مقتضى الكتاب والسنة وبما يوافق نور الإيمان الساطع فى الحضارة الإسلامية المتقدمة .

ولهذا حاول ملوك الكفر والوثنية فى زمانه وممثلوا البعثات الاستعمارية من طرف آخر حاولوا سد طريقه وتهديده بشن هجمات عسكرية سافرة على مواطن تواجده وفى سبيل الدفاع عن نفسه ضد هذه الهجمات الشرسة قام رضى الله عنه برد العدوان وصد الضلال وحماية العقيدة الإسلامية بكل ما أوتى من قوة فدافع عن نفسه وأعلن الجهاد إعتماداً على الكتاب والسنة . وهذه الشخصية عجيبة من عجائب الله سبحانه وتعالى.

يكاد المؤرخون يتفقون على أن الحاج عمر بدأ جهاده وعمره ثمانية وخمسون سنة شارك هو بنفسه فى ٣٠ معركة حربية أرسل إثنين وخمسين سرية فى ظرف إثنتى عشرة سنة ، إذ يقولون إنه عمر حوالى سبعين سنة كما يقولون أنه ألف العديد من المؤلفات حتى أثناء الجهاد كان يؤلف ويكتب من أجود ما يكتبه الكتاب والشعراء. ومن طرف آخر يذكر بأنه رزق من الأولاد٦٣ من البنين والبنات كما يعتبر بأنه من أكبر أهل زمانه

إطلاعا على البلدان ومعرفة أحوال المجتمعات الإسلامية وغيرها فى أفريقيا وآسيا . وهذه الأمور من النادر جدا أن تجتمع فى شخصية واحدة فى ذلك العصر الذى لا تتوفر فيه معظم المؤسسات الموجودة الآن فى كافة المجالات .

الفصل الثانى : جهاد الحاج عمر نظرياً وتطبيقاً :

المبحث الأول : نظرية الجهاد عند الحاج عمر الفوتى

وتقوم هذه النظرية على ضوء الكتاب والسنة باعتبار باب الجهاد لن يقفل إلى الأبد ما بقيت قوى الكفر تسيطر على جزء من البشرية تمارس الظلم والإعتداء وتحول دون إنتشار دين الله الحنيف . وعليه فإن نظرية الجهاد فى الإسلام تقوم أساساً علي .

١ - على رد العدوان .

٢ - لإعلاء كلمة الله .

٣ - وتأمين حرية الدعوة الإسلامية .

٤ - ورفع الظلم عن الشعوب .

وقد جعل الله القتال مأذوناً بمباشرته للمسلمين ولكن علقه على شرط أن يبدأ الكفار بالقتال[٢] فقال : ﴿ **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا** ﴾[٣] وقال: ﴿ **فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين** ﴾[٤] ﴿ **وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله** ﴾[٥] وقال أيضا ﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير** ﴾ [٦] ﴿ **وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعملوا أن الله مع المتقين** ﴾ [٧]. وفى سبيل تأمين حرية الدعوة الإسلامية يقول

---

(١) جيرنو منقي تال ، مرجع سابق ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .

(٢) د. مفتاح ، نظرية الحرب في الإسلام وفي القانون الدولي ، مكتب الإعلام والبحوث والنشر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ١ ج . ١٩٩٧ بنغازي ليبيا ص ١٥ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٩٠ .

(٤) سورة البقرة ١٩١ .

(٥) سورة الأنفال الآية ٣٩ .

(٦) سورة الحج الآية ٣٩، ولمزيد التفصيل راجع الشافعى فى كتاب الأم ج ٤، ص ٨٤ .

(٧) سورة التوبة الآية ٣٦ .

جل وعــلا " ﴿ **فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم**﴾ . وهذا دليل على أن من وقف على وجه الدعوة يجب على المسلمين أن يزيلوه عن طريقها[1]. لأنه عادة لا يقف أمام الدعوة إلا أصحاب السلطة.

وفى إطار رفع الظلم عن الشعوب يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها** ﴾[2] .

أما مبدأ عدم الأكراه فى الدين فى قوله تعالى : ﴿ **لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى** ﴾ [3].

ففيه أقوال بين كبار المفسرين قال الواحدى وابن كثير والقرطبى وأبو جعفر محمد النحاسي بالاتفاق جميعا إن الآية منسوخة بآيات القتال الثلاثة تقول ﴿ **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** ﴾ وقوله ﴿ **جاهد الكفار والمنافقين** ﴾ وقوله أيضا : ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**) .

والملاحظ أن هذا الرأى يقول بعدم الإكراه من كانوا على دين أهل الكتاب : اليهود والنصارى حيث لم ينافقوا ولم يصدوا عن سبيل الله .

وعليه فإن الحاج عمر الفوتى يرى أنه لا يكفى للإنسان أن يتقبل الخير فقط ولكن عليه أيضا أن يدافع عنه وأن يعمل على استقراره وتعميمه فى الأرض .

ومن هنا بنى دعوته إلى الجهاد وهو فرض كفاية ويسمى هذا الدفاع بجهاد الحرب وأول فضيلة يذكرها فى شأنه هى تخصيص الله البشرى للذين يمارسونه وإعتبارهم تجار لن تبور تجارتهم لأن أول من في حاجة إلى بضاعتهم هو الله الذى عاقدهم على شرائها

---

(١) سورة التوبة الآية ٣٦.

(٢) د. ضو مفتاح محمد: مرجع سابق ، ص ١١٦

(٤)سورة البقرة الآية ٢٥٦ .

بأثمان لا مثيل لها ، أثمان قابلة للإستثمار وجلب الفوائد والأرباح لأن رأس مال هذه الأثمان هو الجنة[1] .

فقد إقتبس الشيخ من الآية القرآنية التى تقول ﴿ إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل ﴾ كما تمسك أيضا إعلانا وتعبيرا عن إرادته القيام بالحرب أو الجهاد وإثباتا لشرعيته بقوله تعالي ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله نصرهم لقدير ﴾ .

والجهاد هنا عنده يكون بالنفس وتقديم المعونة المادية والمعنوية لانجاحها . وهؤلاء القائمون بهذه الحرب نفسيا وماديا ومعنويا بالإضافة رضى الله عنهم ولهم أيضا الشفاء وعقبى الدار .

ويقول عمر الفوتى فى هذا الشأن[2].

أما جهاد الحرب فأعلم أنه	فرض كفاية وأعظم شأنا
إعلم ياأخى أن الرحيم بشرا	أهل جهاد الحرب ثم اعتذرا
إذ أنبأ الله بأنه اشترى	نفوسنا ومالنا وأخيراً
إن الجنان رأس ماله لمن	يقاتل الكفار حبذا الثمن
له واحد وأثنان مع سبعين	من أهله الخاص والأقربين[3]

كما يرى الذى يمتنع عن الجهاد مع الاستطاعة يحرم عليه المواطنة لأن حكمه حكم المنافق مما يعنى أنه يصح التطبيق عليه حكم الحرمان من الانتماء لجماعة المسلمين . ويقول رضى الله عنه :

(١) د. مفتاح عمد : لمرجع سابق ص ١٢٥ .

(٢) إبزاهيم تيام مرجع سابق ص ١٢ .

(٣) الحاج عمر الفوتى : تذكرة القلوب .

خـاف منـافق من المـمـات قبل تمام أجـل الوفات

يظـن أن أجـل الإنسـان يزداد أو يكون بالنقصان

بل جعل نجاحه فى التخـالف عن المعـارك بـلا التوقف

ولكن المنافقـون بعـد إخلائهم من دار المسلمين وتمييزهم عنهـم يمكن بـل يجب إعلان الحرب ضدهم لأن بقبـول الإنفصـال عن المسـلمين يعلنـون بذلك عن نـبذ مبادىء المسـلمين والخـروج عن دائرة معـتقداتهم. وبالتـالى يشـكلون خـطرا عليهم وخصوصا بعـد أن عرقـوا أسرار عقر دارهم من قبل . ويقـول الشيخ :

رضى بالسخط والعتاب هارب يوم الزحف والعذاب

كمـا يرى أن الحرب يجب إعـلانها على الذين ينكرون المسلمين ويسعـون بالفسـاد بينهم ومن ذلك نفهم أن الجهـاد المعنى هو الجهـاد للمبـادئ إن الذين يقـفـون أمـام معتقدات المسلمين ويقومون صدا عن نشره أولئك هم المفسدون حقا وهم بالضبط موضع رماح المسلمين وسهامهم وسيوفهم وهم أصحاب السلطة الجائرة يدعون بوجود علوم أخرى يجب الاحتكام إليها دون شريعة الله ، والقيام بالحرب ضدهم واجب ومن أمتنع عـن محاربتـهم مع القدرة يكون له الويل وسخط الله ويقول الحاج عمر فى تذكرة القلوب :

تبا لمن مكن فى البلاد ولم يغير منكر العباد ما أفسد الدين سوى الملوك وعلماء السوء بلا أفوكا

ومن هنا يتبين شروط وجوب الحرب للمبادئ شروطا متواجدة فى الزمان والمكان . والجهاد للمبادئ يمكن أن يكون بالنفس أو بالمال وبالمساعى الحميدة المقصودة كالوعظ والتبشير .

أما أسباب قيامه بالجهاد فهى تعود إلى الوضع الراهن فى منطقة غرب أفريقيا حيث توجد بلدان إسلامية فى كل من فوتا تور وفوتا جلون وماسنة وتقع دول أخرى مشتركة وقوية بين هذه الدول الإسلامية المذكورة بل تسيطر على المنطقة بشكل ما .

وكان الوضع السائد فى المنطقة أن الاستعمار بدأ يكتسح المنطقة غربا وجعل يتعامل مع بعض الدول بالمعاهدات التى تهدف إلى الاستعلاء عليها والحال أن المسلمين ما كانوا والوضع الجغرافى على ما عليه اليوم أن يواجه الاستعمار بشكل مضمون ، فأصبح من الوارد محاولة ربط أجزاء الدول الإسلامية ووضع المنطقة كلها فى دولة إسلامية قوية منيعة قادرة على مواجهة الاستعمار الغربى ودمر قواته ، وإعلاء كلمة الله على أرض أفريقيا وربط هذه الأراضى إلى الإراضى الإسلامية فى الحجاز وشمال أفريقيا وغيرها . وهذا الإتجاه هو فى رأيى ورأى البعض هو الذى حمل الحاج عمر على صهر جهاده فى هذه البوتقة ودك عروش الشرك وتوحيد كلمة الشعوب الأفريقية تحت راية الإسلام الخفاقة .

المبحث الثانى : جهـــاد الحاج عمر من ناحية التطبيقية

أولاً : جهاده ضد الوثنيين

وبالجملة مكث الحاج عمر فى «ديغيراى» لمدة ثلاث سنوات فى الوعظ والإرشاد والتدريس والتربية الروحية كما تعاطى خلالها الاهتمام بالحصول على الأسلحة والعتاد لحماية جماعته والمسلمين . ذلك لان بعض جيرانه كثيراً ما يقومون بشبه غزوات والإعتداء على الآمنين العزل عن السلاح فامتثل بمعنى الآية الكريمة : ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون بها عدو الله وعدوكم**﴾ (١).

وهكذا قام الحاج عمر بجولاته فى المنطقة وصلت بة إلى كل من المستعمرات البريطانية فى غامبيا و البرتغالية فى غينيا بساو حيث أشترى عددا من البنادق والسيوف والرماح والحراب والنبال ، والذخائر الحربية ويتم شراء هذه الأسحلة المتطورة بالدفع نقدا أو بالتبادل بينهما بأنياب الفيله التى كان المستعمرون يرغبون فيها .

ولما سمعً « يمبا » ملك تمبا بوجد الأسلحة عنده طلب منه تسليمها إليه عنوة ولكنه قبل لمدارته . ثم بعث يمبا وفدا مرة ثانية يتكون من : جل مسيً وفرنتكما ومامادى

---

(١) سورة الأنفال

ملفتا » ، فهؤلاء هم الوفد الذى جاء من قبل يمبا إلى الحاج عمر ليطلب منه تسليم كافة الأسلحة وصنعها. فجمع الحاج عمر كبار مستشاريه وهم أحمد أمكل ممثلا للمجاهرين وألفا سوسف ومحمد سيد نيك ممثلان للأنصار ، رأى ممثلاً فوتاً جلون بأن لا طاقة للشيخ واتباعه وهم قلة برفض طلب الملك يمبا نظراً لتفاوت القوتين بينما رأى أهل فوتا تور بأنه على الرغم من عدم التفاوت الواضح بينهما فإن حماية النفس والأهل والمال واجب دينى وإنسانى ثابت فعليه لا يوافقون على تسليم أسلحتهم إلى من[1].يغزوهم بها فرأى الحاج عمر بأن البت فى تباين . وجهتى نظر مستشاريه يتطلب التريث والاستبصار والتدقيق وخاصة عندما أبدى أحد الأعضاء وهو « جل مسى عن عزمه فى اعتناق الإسلام حيث أوصاه الحاج عمر بالعودة مع زملائه حتي إذا أراد وهم فى طريق العودة أن يرجع إليه وحدد ليسلم سيكون ذلك أخف مما لو أعلن إسلامه وبقى هنا مباشرة ذلك خطأ ويقال بأنه هو الذى أجبر على اعتناق الإسلام ، وفى ذلك ما فيه من عواقب يجب إحتسابها .

فلما رجع الوفد إلى يمبا مع غياب حل مسى الذى قطع طريق عودته ورجع الى الحاج عمر أحدث ذلك غضباً شديداً لدى الملك يمبا مما حدى به إلى تشكيل وفد آخر أكثر عدداً وأتم عدة يتضمن الاثنين اللذين كانا مع الوفد الثانى ووكل هذ الوفد الأخير مهمة أخذ الأسلحة كلها إليه وإرجاع «حل مسى» معهم بالقوة وبعد وصول هذا الوفد إلى المجاهد الحاج عمر جمع رؤساء مستشاريه مرة أخرى ليعرض عليهم محتوى مهمة الوفد الجديد الذى أرسله يمبا إليه فأبدى أهل فوتا جلون الرأى الذى أبدو به من قبل بينما ثبت أهل فوتا تور على رأيهم كذلك مؤكدين هذه المرة على أنه لا يوجد أى دليل نقلى أو عقلى يسمح لهم بإعادة المسلم إلى الكفار ولو أدى ذلك إلى فنائهم وحينئذ دعى الحاج عمر أعضاء وفد يمبا إلى المشاركة فى جلسته الاستشارية ليسمعوا ما قاله فريقان وليصدر هو الآخر حكمه على القضية . ولماكرر الفريقان ما قالاه من قبل أخذ الحاج عمر الكلمة وأكد على رأى الفريق الرافض موقنا بأنه أنسب للموضوع ولو أنه

---

(١) الشيخ موسى كمرا مرجع سابق ص ٨

يعرف حقا أن الرسول كان فى ظروف مماثلة فقد قبل مضطرا لاعادة المسلم إلى المشركين كما ورد فى نص إتفاق صلح الحديبية[1] بيد أن الفرق بين طبيعة الخطاب فى صلح الحديبية وطبيعة الخطاب التى تأتى به بعثات يمبا هو أن الأول يتضمن نقاطا تحتوى على المصالحة والثانى لا يتضمن إلا على التهديد والإرهاب ولذلك رفض الحاج عمر وأختم كلمتة ليس بينى وبين الملك إلا الجزية .

وهكذا عاد الوفد إلى مراسلة المالك يمبا الذى بمجرد ما بلغه الخبر ثارت وتوعد الحاج عمر بالويل والثبور وأستنفر كافة مماليك الشر المجاورة إضافة إلى عملية التجنيد الإجبارى لكافة سكان مملكته القادرين على حمل السلاح .

وبهذا جهز جيشا جرارا قصد الانقضاض على « ديغيراى» وتخريبها بمن فيها .

ظل الحاج عمر فى هذه الأثناء متحليا بالصبر والصمت وكان قد بنى حصنا منيعا حول « ديغيراى» نظراً لشعوره بعدم الأمن إزاء هذه التهديدات المتكررة وهذا الإرهاب السافر. ومع ذلك كان قد أوصى أصحابة من المهاجرين والأنصار بالتغامض عن الاعتداءات والكلام السئ الذى يأتى من طرف أعدائه وذلك تجنبا لإثارة الفتنه علما بأنه أكد غير ما مرة بأنه لم يحصل على أذن خاص للجهاد ولذا عندما شنت قوات يمبا هجوما على « ديغيراى» بعد محاصرتها مدة كان يحذر هؤلاء الغزات من مغبة الأمور كما كان يوصى أصحابه بأن الصبر ولو أنه مرير فهو سيبقى دائما مفتاحا للفرج ، لما قامت قوات يمبا بقتل بعض أصحابه ضمن هجوم يوم الأربعاء الشهير الذى باغتته به قوات يمبا بعيد الفجر عام ١٢٦٨ هـ قال الحاج عمر كلمته الشهيرة : « لقد كنت دائما أقول لكم بأنى لم أحصل على أذن خاص بالجهاد ولكن بمقدورنا جميعا الاعتماد على قوله تعالى : ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ . ومن هنا أصدر الأمر على المقاومة وسد الظلم ورد الضلال فكانت معركة حامية الوطيس رجحت فيها كفة المسلمين على قلة عددهم الذى كان ٣١٣ رجلا بينما قوات يمبا كانت تفوقهم كثيرا عددا وعدة .

(١) د . . الرسول والسياسة الدولية.

ثم وضع الشيخ استراتيجة عسكرية جديدة لمواجهة غزوات يمبا المتكررة كما أرسل عدة سرايا إلى عدة مدن بما فيها مدينة سنت حيث كان مود عمد جم قائدا بتلك السرية التى انتصرت وأستولت على كافة البلدة مع استشهاد بعضهم بمن فيهم الشيخ محمد الأمين التلرى وشيخ أحمد هاير لاو اللذان نقلا إلى « ديتغيراى » حيث دفنا . ثم أرسل رضى الله عنه سرية إلى تمبا فأندحرت وأرسل ثانية هزمت قوات يمبا حيث أسر أكثر من ثمانين رجلاً . ومن هنا قام يمبا باستنجاد الممالك المجاورة بما فيها مملكة بالجوغو ملك « ففد » وأرسل إليه إمدادات عسكرية هائلة وبمقابل هذا الوضع قام الحاج عمر بنقل ميدان المعارك إلى عاصمة تمبا فجعل يعظ جيشه كعادته ويهنىء رجاله بعد ما بشرهم بأن الله تعالى قد أعطاه مدينة تمبا وأمرهم بالاستعداد والتأهب والتوجه إليها مباشرة فلما وصلوا إليها ضربوا حولها الحصار وكان الملك يمبا قد بعث إلى بالجوغو الذى تربطه به روابط أسرية مالا كثيراً كما بعث إلى غيره أمولاً كثيرة طلباً للنجدة كما أسلفنا .

وأثناء هذه التحرشات العسكرية بين جيش الحاج عمر من جهة أخرى قال الحاج عمر : « لقد علمنا الله بأن الكفار سيهاجمون جيشنا يوم الخميس فأرسلت عدة رسل إليهم ليمكثوا على أماكنهم وليثبتوا ويصبروا حتى يمضى يوم الخميس فلم يفعلوا وعلمنا الله فى ليلة الأثنين عشر ذى القعدة ١٢٦٨ هـ بعد صلاة العشاء بأنى أذنت فى الجهاد فى سبيل الله جاء هذا الإذن من هاتف ربانى يقول : « أذنت للجهاد فى سبيل الله وتكرر الهاتف ثلاث مرات »(١) . وبذلك يقول الحاج عمر : بأنه أرسل إلى الجيش الأسلحة وأمر حاملها ألا يبيتوا ليلة الخميس إلا فى الجبهة فأى مخالفة لهذه الأوامر تتحمل مسئولية مايصيب رجالنا ، والغريب أنهم خالفوا إذ لم يصلوا إلى الجبهة إلا وقت الضحى من يوم الخميس والحال أن رحى الحرب والقتال فى أشد أوجها ذلك لأن مدد الكفار قد وصل إلى يمبا وجعل يستخدمه وبالفور وصل الحاج عمر نفسه إلى الجبهة وإستلم القيادة وحرض الجيش على إحدى الحسنين إما النصر وإعلاء كلمة الله وإما الاستشهاد ودخول الجنة .

---

(١) محمد الحافظ مرجع سابق ص ١٩ .

وأستمر القتال ومعنويات رجال الحاج عمر فى أعلى رتبتها مما سبب إنتصارهم على جيوش الكفار واستسلام الملك وإعلانه عن إسلامه بين يدى الحاج عمر الذى امر صاحبه سليمان غسم البقاء معه لتلقينه أمور الدين .

هذا ويذكر المؤرخون بأن يمبا قد خان معلمه وقيده ثم فر هاربا إلى الملك بانجوغو قصد الخداعة والاستيلاء على ملكه ولكن الملك فهم نواياه فتفادى دون الوقوع على فخه ورد كيده على نحره واستقبله فى قصره وأمر بقتله .

ولما رجع المعلم سليمان غسم إلى الحاج عمر الفوتى أخبره ما جرى له ثم أرسل الشيخ عمر رسولا إلى بانجوغو يطالبه بتسليم مال وأمتعة محاربه الذى أسلم على يديه ، ويقال أن بانجوغو قتل رسل الحاج عمر وظل يهدده ويتوعده قائلا : « إنك لمطلوب فكيف ترسل إلى وتطالبنى بمال محاريك»[1] .

وفى هذه العبارة تجد نوعا من الاستخفاف والتهكم والسخرية كما تجد فيها تهديدا مكشوفا لاقناع عليه .

كان هذا وقت الخريف فشرع رضى الله عنه فى تجهيز جيشه ثم نشبت معركة شديدة بينهما أنتهت بمقتل الملك بانجوغو ومن معه من الكفار. ثم عاد الحاج عمر بجيشه إلي « ديغيراى» تهزهم مشاعر النصر وذلك فى ١٨٥٧/٥/٢٠م الموافق ١٢٦٩ هـ، فبعد خمسة أيام من وصول الحاج عمر إلى « ديغيراى» مغتبطا بهذا النصر وصل ألفا عمر جيرنو بيلا إلى نفس المدينة يقود جحافل إمدادات فوتا تور إلى الجيش العمرى. وهذه الجحافل كانت قد مرت بأهل قرية فنبنت فحاربوها إنتصرت عليهم وحازت غنائم وأسلاب كثيرة ولما وصلوا إلى « ديغيراى» عاشت المدينة فرحتين: فرحة الانتصار على بانجوغو وقدوم ألفا عمرعلى رأس أكثر من ثلاث مائه مقاتل، وهكذا طهر الله بهم الأرض بمقتل ملكين من ألد أعداء الدين وهما: « يمبا ساخو وبانجوغو». وبعد قليل من هذا قدم الإمام أحمد بوب وألفا عباس ومحمد الأمين بسمور من

---

(١) جيرنو منتقى تال، جواهر الدرر فى سيرة الحاج عمر، مرجع سابق، ص ٣١٣ .

فوتا تور فزاد هذا المقدم حالة قوة الحاج عمر عزة وقدرة وصلابة وإستمرار الحرب. ومن هنا ارتحل رضى الله عنه إلى تمبا[1] حيث ترك أسرته فى «ديغيراى» .

وفى تمبا مكث ثلاثا وعشرين يوما ثم انتقل إلى سلوج ثم إلى كونجونغ فعبر نهر غلوماج عبورا محفوفا بالعجائب حيث ألقى فرسه فيه وأمر أصحابه باتباعه فكان النهر قد توقف وغار فعبره جيشه ثم انتقل إلى برمبا فوجد أهلها قد هربوا إلى سر من وجهز جيشا بقيادة أحد قوادة مسار متجها إلى مركز مدينة سرمن وقاتل ملكها سنكم الذى رفض الإسلام فقتل .

فبانتصارهم على سنكم عم الفرح بعد معركة شديدة دامت خمسة أيام .

ثم وجه الحاج عمر عدة رسائل إلى فوتاتور حملها أمنائه يدعو الفوتيين إلى الجهاد فى سبيل الله وأثناء ذلك كان يستعد لمحاربة كنجورا ملك فربن الذى يشتهر بالسحر الأسود من تسليط الحيات على الناس وتسليط الأمراض الفتاكة عليهم فبمجرد إنتشار هذا الخبر دب القلق والرعب فى صفوف المسلمين مما جعل الحاج عمر يستعمل علم الأسرار وخواص الحروف بدلا من خوض الحروب .

ودخل الشيخ خلوة لمدة شهر كامل حتى أنقاد له الملك بنفسه وبايعه بيعة الإسلام وأخلص توبته وحسن إسلامه.

والأمر الثانى الذى حدى بالحاج عمر إلى استعمال الأسرار لإخضاع هذا الملك كنجورا هو أن قوات جيشه من أصل فوتاجلون الذين كانوا يعرفون هذا الملك أكثر وجلين من مواجهة كنجورا فلو أن الحاج عمر قد اعتمد على قواده من أهل فوتا تور ولو تم له الانتصار العسكرى فإن غيرة ما ومنافسة شديدة سوف تندلع فى صفوف جيشه مماقد يتسبب فى إختلال النظام وفقدان الانضباط العسكرى الذى هو المصدر الأساسى لقوة أى جيش فى العالم .

---

(١) مقابلة مع بيدباص ، مصدر سابق .

وهكذا دخل هذا الملك فى الإسلام وبدا يتعرف على حقيقة هذا الدين والدعاة إليه ولكن النفس البشرية كثيرا ما تحن إلى المألوف فأراد أن يعود إلى عاصمته فرينا . فقرر الحاج عمر وضعه فى موكب يتألف من أربعة مائة جندى (٤٠٠) كما أنه أمر خمسة مائة جندى (٥٠٠) للذهاب إلى فرينا قبل مجيئه هو الحاج عمر إلى فرينا إذا أنه يأتى على رأس جيش يعد أكثر من أحد عشر الف جندى (١١٠٠٠) الذين كلهم تواجدا فى عاصمة (كنجورا) وكان عدد الجنود فى هذه المناسبة ١١٩٠٠ جندى[1]. وخلال هذه المدة كان الحاج عمر فى إستعداد لمواجهة ملك يدعى (بركة سوكنقل) ملك مكن فإذا سمع نبأ ألفا عمر جيرنو بيلا ومعه إمدادات من فوتا تور وأمر الحاج عمر ألفا يعبد أن يستقبلهم فكان يشبه الحاج عمر بوصول المهاجرين عم الفرح أيضا فى أوساط الجنود وفرح الحاج عمر نفسه[2] وكانوا يتألقون من عدة ألوية: لواء فولى: سكان البدو ولواء توروبى سكان الحضر ولواء سبى المحاربون . وكان هؤلاء الجدد متحمسون فأعد الحاج عمر جيشا بقيادة مودى محمد جم إلى (الملك بركة) فهو ذو نفوذ قوى بدأ يهدد تقدم الحاج عمر فى المنطقة فأمر قائده أن يدعو بركة إلى الإسلام ولكن الملك كان عنيدا فأجابهم من هو الله وذلك عندما طلبوا منه الدخول فى دين الله بل بعث وفدا إلى ما مادى كنجا ملك انيور ويطلب منه الإمدادات عسكرية ليحارب الحاج عمر ولكن قبل مجيئ الإمدادات وقعت الحرب بينهما فقتل الملك بركة فى هذه المعركة. فلما استتب الأمر إنتقل الحاج إلى مسالا ودرمى فبايعه أهل هذه القرى جميعا وفيها التقى بجيش ما مادى كنجا ملك انيور الذى جاء لمساعدة الملك بركة الذى تم قتله من قبل فاشتبكت الجيشان فى ستكلى ونظرا لكثرة جيوش ما مادى أمر الحاج عمر أربعة الآف جندى ضدها بقيادة أحمد علو وأحمد آل جليا بعبور النهر فعبروه ووجدوا على الشاطى الثانى جيوشا تفوقهم عددا وعدة ولكن سلاح الإيمان الذى لايقدر وحده شحذ عزيمة المسلمين فكانت معركة من أشد ما خاضته جيوش المسلمين من قبل وبعد فانتشرت أشلاء القتلى من الطرفين وأحمرت مياه النهر بدماء مختلطة بين شهداء

---

(١) بيد باص مرجع سابق .

(٢) أبو بكر خالد

المسلمين وقتلى الكفار. فالجثث منتشرة من هنا وهناك بين عائمة فى المياه على غير هدى وقابعة تحت الأشجار وفى العراء على اليابس بيد أن الحرب مهما طالت فلها نهاية ولم تكن نهاية هذه الحرب كبدايتها إذا إنتهت بانهزام قوات مامادى كنجا وإنتصر المسلمون بفرار قواد جيش مامادى ومن هؤلاء إبنه ينفل ، مع قلاج ديسا .

عندما علم الحاج عمر بالأمر الواقع جاء فورا إلى ميدان المعركة وتفقد جثث الشهداء وأجرى لهم مراسم الدفن فى موضع كايل ودعى لهم بالخير كما حث على التبرك بهم لأنهم شهداء عملا بقوله تعالى ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ صدق الله العظيم .

وهكذا إتخذ سكان كاى هذا الموضع مقبرة يدفنون فيها موتاهم تبركا بأرواح الشهداء إلى هذا اليوم .

وهكذا أمر الجنود بالراحة كعادته كلما انتهوا من معركة شديدة ثم أصدر قرار لإرسال ألفا عمر جيرنو إلى الثغور للاستطلاع وذلك لتوفير أسباب الأمن فذهب ألفا عمر وعاد بمجموعة من الناس والمال فدخلوا الإسلام وأطلق الحاج عمر سراحهم وحثهم رضى الله عنه على التمسك بالدين والعمل بمقتضى الشريعة المحمدية ومن هنا إنتقل من « كاى» إلى كل من « كنم كنا » ومارى قبل فرضه الحصار على كنكار التى وجدها شبه خاوية إذ فر السكان إلى الجبال ومنهم الملك مر باسافر .

قام الحاج عمر بتعقبهم إلى الجبال ودعوتهم إلى دين الله الحنيف وافق بعضهم على إعتناق الإسلام ومنهم الملك مربا الذى أتفق معه على بناء سور كبير فى كنكار قبل مواصلة السير إلى كل من ملو وبصير وياقى حيث بايعه أهلها ، فمنهم إلى بامن حاضرة مى مربا الذى وقف أمام الحاج عمر وعزم على سد طريقه ومنعه من نشر دعوته مما أدى إلى اشتعال نيران الحرب بين الطرفين وأنتهت بمقتل الملك. ثم إتجه رضى الله عنه إلى مدينة كتا حيث واجهه ملكها صمبا بلى بإعلان الحرب ولكن أنتصر عليه الحاج عمر وإتجه بعد ذلك إلى تمينكا حيث بايعه ملكها كنكعل ولكن قومه فروا إلى

مدينة جوكا وأمر الحاج عمر الملكب إعادة قومه لكى يدخلوا فى دين الله، ولم يجدهم الملك فى هذا المكان لأنهم فروا إلى انيور عاد إلى الشيخ فأخبره ثم دعا له رضى الله عنه بالسعادة واليسر والبركة وارتحل إلى « قومك» ثم بسبقوا » وإلى « بيداج» حيث بلى جنده بعطش شديد ولكن أظهر رضى الله عنه ومضة من الكرامات الربانية بغرس عود ودعا دعاء الإستسقاء الذى ما أني إنتهى حتى نبع ماء كثير ارتوى منه الجيش واغتسلوا واستعادوا بذلك نشاطهم ويسمى هذا المكان حتى الآن « ويدو فابو» بلغة « بولار» يعنى نهر الإغاثة.

ومن « ويدو فابو» استعد الحاج عمر لمواجهة ماماد كنجا ملك انيور ولكن مع شدة هذا الملك وقوته وضربه فى أعماق ما كان يعرف بالاصالة والابان أدرك حقا بأن الشيخ استولى علي بعض أطراف مملكته وأن المرحلة القادمة سيكون عليه وأنه لا منجى له ، جمع هيئته الاستشارية وقال لهم : « تعلمون أن حملة الحاج عمر لم تقابل ملكا إلا هزمته ولا عرشا إلا دكه اللهم إلا إذا دخلنا فى دينه فما رأيكم والشيخ عمر على حدود أرضنا » أجابه مستشارية : « بأنه حقا قد وقف إلى الحق وبعبارة أخرى الحل هو الدخول فى الإسلام والاستسلام للحاج عمر لأنه هو الأمر الواقع » .

ما أكبر الفرق فى بداية الحادث والفرق فى نهايته بين هذا الملك مامادى كنجا وبين ملكة سبأ بالقيس التى سألت قومها بمجرد وصول رسالة سليمان عليه السلام يدعوهم فيها إلى الإسلام حيث أبدى قواد جنودها ميلا إلى إستعراض العضلات وإظهار القوة بقولهم ﴿ **نحن أولو قوة وأولو بأس شديد فالأمر إليك فانظري ماذا تأمرين**﴾ الآية[1]، ولشدة مايندهش الإنسان أمام مفارقتين أثنتين الأولى : مفارقة معرفتها بطبيعة الملك حيث قالت ﴿ **إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون**﴾[2] .

---

(١) سورة النمل .
(٢) سورة النمل

والمفارقة الثانية تكمن فى محارية عرض هذا الوضع فى مجهر التجربة والاختبار بقولها : ﴿ فإني مرسلة إليهم بهدية فناظره بم يرجع المرسلون﴾ الآية(١).

هذا عن بلقيس فى قصة دخولها فى الإسلام على يد نبى الله سليمان بن داود عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ودخول مامادى كنجا فى الإسلام على يد الحاج عمر الفوتي عندما وصل إلى بلدة « كرهر» الواقعة على مشارق انيور حيث خرج الملك وحشده لاستقبال الشيخ وأبدى أمام عمر الفوتى رغبته فى إعتناق الدين الإسلامى كما رحب بالمجاهد رضى الله عنه فى مملكته فوصل الضيف الكريم وأجرى للمسلم الجديد كافة مراسيم توبته ثم رجعوا معا إلى العاصمة انيور فاختار الشيخ عمر أن يكون أول من يدخل القصر لتنظيفه من الأوثان والأصنام التى كانت فيه وأمر إخواته الجدد فى الإسلام بالبقاء على حد الشريعة فى النكاح وغيرها وبذلك طلق الملك المزيد من نسائه الأربع . وفعل معظم قواده مثل ذلك ماعدا قيلا جودين فى كلمى الذى استقبل ألفا عمر جيرنو بيلا بصفته مبعوثا من الحاج عمر و مامادى معا .

وعندما ما جمع قيلاديس قواده للاستشارة أتهم المسلمين بأنهم ما جاءوا إلا لطلب النساء كما أمر الناس الذين نزل عليهم بقتل كل ضيفه وسيكون هو أول من يبدأ بالعملية وبلغ هذا الخبر ألفا عمر من طرف إمرأة ، وفورا التقى بأعضاء وفده وحثهم بأخذ الحيطة من جميع الجهات .

ولما قام قلاجو بمحاولة قتله وتسلل إليه ليلا وجده يصلى وأطلق عليه عدة طلقات ولما سلم الشيخ ألفا عمر رد عليه بالمثل فأرداه قتيلا ، ومن هنا بدأت حملة ارتداد أهل جاورا الذين أثاروا علي الحاج عمر ووضعوا دسائس من أجل اغتياله فأرسلوا رجلا وأمرأة ولكن إنكشف أمرهما فقتلا .

وبين مظاهر هذه الثورة وتلك النقمات محاولة المرتدين محاصرة الآبار ونقاط الماء لتعطيش المسلمين ولكن تم تقويض ذلك من طرف المجاهدين .

---

(١) سورة النمل

وإلى مدينة فيمن حيث كان القائد ألفا عمر جيرنو بيلا فى حصار دام شهرين. أرسل عمر قوات لفك هذا الحصار ولكن الحرب التي دارت كانت أشد وأخطر النتائج على المسلمين إذا استشهد فيها حوالى ألف شهيد بمن فيه بعض كبار القواد مثل « حمد فانى وسالف حمات ومحمد آل بوكر ومحمد كبا إلمان» كان هذا عام ١٢٧٠هـ الموافق ١٨٥٥ م حيث بعث رضى الله عنه كتيبة أخرى بقيادة تفسير مالك قرلاج هذه الكتيبة نجحت فى مهمتها ودمرت فيمى بكاملها غير أنها منيب ببليه أخرى عندما جاوزت مدينة كنجار التى كان الشيخ المجاهد حذر قائده تفسير مالك من مجاوزته وبذلك بلغت خسارة هذه الكتيبة ٥٠٠ رجل بمن فيهم المجاهد الشهير والفارس المغوار « بوتل سوهاك» .

أما القائد تفسير فإنه آل على نفسه بعدم ملاقاه الحاج عمر إلا فى الأخيرة وذلك لفرط ندامته على مخالفته أوامر قائده ولما ثبت عنده بأن الرائد لا يكذب أهله ولذا فبمجرد ما عصى فندم فجاء عبد الله حوص فهاجم على كنجار حتى أنتصر عليهم ثم عاد إلى انيور فوجد الحاج فى إستعداد إلى « بساق» حيث يوجد كرفك وأخوه فامتنع كرفك أن يترا ءى معه فولى هاربا وإتجه رضى الله عنه إلى ملك دوس ننكتو فحاربه فحول أسم المدينة إلى جنفرد (أى المدرسة) ثم إتجه إلى مدينة كريق حيث اندلعت الحرب بين الجانبين من الفجر حتى المساء فكانت لصالح المسلمين. ومن هنا سجد لله سبحانه وتعالى سجدة الشكر وقال كلمته الشهيرة : « لن أقاتل أرض انيور وضواحيه بعد اليوم» ومن ثم أخذ قسطا من الراحة والتفكير فأبصر بأن جهاده وصل إلى مرحلة دقيقة لأنه يجد نفسه أمام أقوى دولة فى المنطقة والجيب الوحيد المتبقى الذى يجب عليه إستئصاله ، ووضع دين الله فى قالب وحدوى يتمتع بالقوة والمناعة تحسبا منه على ما قد يكون من ضرورة مواجهة القوي الاستعمارية التى تدب إلية وابتلاعه .

فوجد أن هذه المهمة تحتاج إلى إيجاد قوة تتألف من أصل المنحدرين من إصلاب الإيمان ولا يتوفر له ذلك إلا بالعودة إلى فوتاتور أضف إلى ذلك كون مملكة سغو متحالفة مع عدد من الدول الكبرى والدويلات الصغرى المجاورة التابعة لها بما يحمل على أن يحسب له حساب خاص ولذا وضع خطتين استراتيجيتين قيمتين تقوم إحداهما على تنظيم المناطق التى تم فتحها واستخلاف قوات تتوفر مواصفات لديهم قيمة

والعلم والوفاء كما وضع فى مدينة انيور خليفة عامة ينوب عنه لغاية ما يرجع من رحلة الاستنجاد والتجنيد الإجبارى فى أرض تور .

أما الخطة الثانية فهى تترتب على إيجاد عيون له فى كافة الدويلات وفى مملكة سغو المتبقية مع تجنب الوقوع فى حرب ضد دولة إسلامية فى ما سن . علما بأنه عند وضعه لهاتين الخطتين كان قد أرسل إلى كافة الدول الإسلامية القائمة فى ذلك الوقت رسائل تهنئة لإنتصار الإسلام على الوثنية .

أما الدول التى وجه إليها الرسائل هى : دولة الأئمة فى فوتاتور الدولة الإسلامية فى فوتا جلون والدولة الإسلامية فى ماسن إضافة إلى الدول الإسلامية فى المغرب عند البياضين .

بيد أنه فوجئ برد من دولة ماسن يتضمن كلاما بشعاً من الشتائم والتهديدات السافرة إضافة إلى كون السرية التى تحمل هذه الرسالة تتألف بلواء كامل من الجنود المسلحين الذين اتخذوا بلدة دكن معسكرا لهم بقيادة عبد الله بن أبى بكر همصالح أستمرت هذه السرية فى الزحف نحو معاقل الجيوش العمرية وكان الحاج عمر قد سمع هذا الخبر فأرسل إلى قائده ألفا عمر جيرنو بيلا الذى كان فى سنفع بعد استيلائه على بساق وأمره بملاقات الجيوش الزاحفة إليه متحالفة مع قوات الكفار الوثنيين ضد الحملة العمرية وكان اللقاء مريرا تقاتل فيه الجيشان إنتصرت قوات الحاج عمر على القوات الماسنية المدعومة بقوات الكفار وتم فى هذه المعركة أسر عدد كبير من الماسنيين بمن فيهم قواد بعض الفصائل . القائد الأعلى للسرية إلى ماس . وكان ذلك عام ١٢٧١ هـ الموافق ١٨٥٦ م .

ويستخلص من هذه الواقعة أن الحاج عمر قد فشل بعض الشئ فى كفادى المصادمة مع قوات ماسن فى خطته الثانية ولكنه نجح فى البقاء على حد الشريعة وفى ضوء منطق المعقول لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ **فمن اعتدي عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدي عليكم** ﴾ الآية . ولتأكيد ذلك نورد ماقاله الحاج عمر عن أسباب

وقوع أحمد بن أحمد عليه وهذا ملخصها: قال «لما أعاننا الله على جهاد المشركين وأقامنا لهدم دولة المتكبرين وفتح لنا تمبا إلى فقد وسلوج وكنجا وبرنبا وسرمن إلى فرينا ويلمان ومدينة كنتا وانيور وكلمى وفمى وكريف وساكول وكرت السودان ثم أقامنا الله فى انيور ماشاء وكتبنا وثائق نبشر فيها جميع من نعلم من المسلمين وفوجئنا برسالة أحمد بن أحمد مع جيشه بقيادة عبد الله بن أبى بكر همصالح فنزل فى دكن فعسكر فيها وإتفق مع أهل باغن الكفار على محاربتنا»[1] ولو أنه أدرك تماما بأن هذه الدولة قد تعاهدت مع دولة الكفر فى سغو ضده لكانت مشاعر الأخوة الإسلامية تملئه كما أن الأحساس بضرورة عزل المشركين عن المسلمين حتى يؤمنوا وفى هذه الظروف وعلى هذه الدرجة من الفكر قرر السفر إلى فوتاتور بعد أن دخل جهاده فى عامة السابع فارتحل من تمبا تنت إلى فيسان ومنها إلى «كل قم» ثم إلى «قل قور» وإلى أرض « لوق» ومنها إلى سابو سرى وفيها وقعت الحرب بينهم وبين أهل المدينة، كما جهز حوالى ألفى جند بقيادة جيرنوجب فوقعوا على « فيل» كما وقعوا على قرية ستاج وأسروا على عدد لا يقل عن ٣٠٠ شخصا كما طلب الجنود من الحاج عمر إذنا بمحاربة مدينة «خاسو» حيث توجد القاعدة الفرنسية فأمتنع قائلا: لاقدرة لنا بمحاربة النصارى فأجابوا بأنهم من ضمن الكفار الذين يحاربون فألحوا عليه فأمر بفرض حصار على المدينة وعزلها حتى لا تصل إليها المؤن والامدادات من الخارج فعلم بذلك الحاكم الفرنسى العام «فدرب» فأنتظر مدة تمكنه الوصول اليهم، وهكذا أبحر الحاكم الفرنسى بسفينة حربية تحمل الإمدادات العسكرية فلما أقترب نظر إلى القاعدة عبر المنظار فلوح إليه « بول هول» بلواء الفرنسى. وهكذا حاول بعض جنود الحاج عمر الهجوم على المعسكر الفرنسى وعلى رأسهم «حمات كرون» المسمى بحطى ون فحاول التسلق على الجدار فأطلق علبه المدفع الثقيل فأردى قتيلا كما قتل عدد كثير من جنود الحاج عمر فى تلك المعركة[1] .

١ - محمد الحافظ التجانى مرجع سابق ص ١٥ - ١٦ .

وفى مدة إقامته رضى الله عنه فى مدينة « سابسرى » ويحارب جبهتين الوثنيين السود ، من جانب والقوة الفرنسية من جانب آخر وصلت إليه رسالة ثانية من أحمد بن أحمد تتضمن الشتائم والتهديدات كالأولى ويأمر الحاج عمر بالإرتحال عن تلك البلاد والاعتزال عنها فورا[٢] فقال الحاج عمر (فنظرت إلى الوثيقة فوجدتها كالأولى فأعرضنا عنها وكتبنا إليه جوابا يليق أن يصدر منا وملخصه « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى جعل لنا سعة فى قتال أعدائه الكافرين عن قتال أوليائه المؤمنين وعلمنا ما كملنا ولا نكمل قتال الكافرين المجرمين فأغنانا بذلك عن قتال المؤمنين » اللهم صلى على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق . . الخ .

فواصل رضى الله عنه سيره إلى فوتا تور عبر بلى بن ، سمسم ، نمرد ، برط ، وبكل ، وأنجوار وصلى فيها عيد الفطر عام ١٢٧٣ هـ الموافق ١٨٥٨م وهكذا إتجه الحاج عمر إلى لوبالى ، وهرندلد ، وسنشوبمى ، عوغو ، وبوكجوى ، وبيناج ، وإلى آنجم شطى ، وشلن ، وهورفودى سنة وبضعة أشهر ومنها إلى رضى الله : بت ، وقليا ، وبومبا ،وقلير ، وإلى هايرلاو ، وكان يحرسه حوالى مائة رجل ، ثم واصل السير حتى دطل «وألى ودباقى» وبات فيها ثم ارتحل إلى جم . وأمر أهل فوتا أن يهاجروا إلى انيور لأنهم أصبحوا تحت سيطرة النصارى . وفى مدينة « جم والو » اعتكف فى مسجدها ٤٠ يوما يبتهل ويتضرع إلى الله حتى استجيب دعاءه بامتلاك مملكة سيغوا القوية ومنها ودع أهل فوتاتور » عائدا إلى انيور . وتعتبر هذه الرحلة آخر رحلة قام بها رضى الله عنه لأرضه فوتا كما قلنا فقد ودع جم قاصدا قرية « شيلاو فأسس مسجدها ومنها إلى « جومندو و » دباغى » ثم « دطل » وهاير لاو وإلى مدينة جاجب ، وقلير ، ثم هورفودى وشيكيتى ، وجفان ، ثم إلى كنل وقجلن ، وكودل « ثم تقر » وشنبق

---

(١) مقابلة مع بيد باص .

(١) جيرنو منتقى تال ، مرجع سابق ، ص ٤٠٨ ، ٤١٦ .

(٢) أنظر كتاب الحاج عمر : السيف الحق المعتمد فيما وقع بينه وبين أحمد بن أحمد .

ثم انجوار وصلى فيها أيضا عيد الفطر ذهابا وإيابا ثم بكل وقول هاير، فأمر سيرى آدم بانتظار أهل فوتا المهاجرين إلى أتيور فى قرية « ستكلى فهاجمه الحاكم الفرنسى» فدرب » واتبع سيرى آدم حتى إلتحق بالحاج عمر وأخبرة الأمر فكان أمر مملكة «سنغو» يشغله أكثر من غيره[1] فواصل سيره قرية بقرية حتى وصل انيور[2] فكان أهل فوتا قد استجابوا لدعوته وهاجر معه عدد كبير من الرجال وعائلاتهم ، وتعتبر هذه المرة جيوشه فى أتم استعداد وعقد مؤتمرا عاما فى انيور بقيادة أحمد يربه، فوجه رضى الله عنه خطابا تاريخيا أمام جيشه وحثهم على الثبات والصبر فى مواصلة الجهاد.

وبجانب آخر استعد ملك سغو لمواجهة الحاج عمر فى مشارق عاصمته الثانية «ويتالا » فأمر أبنه «بج» أن يسحر الحاج عمر وكان بج ساحرا عليما فاستعمل كل ما أوتى من فنون السحر ولم ينجح ، فقام الملك بيديل عسكرى فوضع كافة قواته البالغة عددها مائة وخمسون ألف جندى فوزعها على أهم أنحاء المملكة ، فعسكر فى « ويتالا ٣٥ الف جندى بقيادة ابنه « تتا » كما ترابط ٣٥ آلف جندى فى «جابل» بقيادة ابنه بنتا أيضا ووزع الباقى فى برسو وتمان وموقلا . وفى جابل أرسل الحاج عمر ستة الاف جندى يقودهم كما ذكرنا يرو به فبادر عليهم الكفار باطلاق النار وهجم عليهم المسلمون حتى شتتوهم وفروا وأستولوا على القرية . ثم تهيأ رضى الله عنه إلى غزو « وتيلا» عام ١٢٧٦ هـ الموافق شهر أغسطس ١٨٦٠م وحرك جيشه حتى وصل تمن ومكث فيها أسبوعا يعظ جيشه ويحرضهم على القتال ويعلمهم ويقول لهم بأن حرب ويتالا حرب شدة لا مناص عنها ولا يطمع أحد من النجاة ومن خلال ذلك تمنى بحضور الأبطال الذين استشهدوا من قبل مثل « بوتل سوهاك وحمات كرون الخ حتى أخذتهم الغيره فأجابه الفاهم بن جيرنو مولى قائلا (ياشيخنا أولئك باعو

---

(١) أبو بكر خالد - مرجع سابق .

(٢) جيرنو منتقى تال / مرجع سابق .

أنفسهم فربحت ونحن بعنا أنفسنا فما ربحت فيلست الشهادة بأحب إليهم منا وقد طلبناها منذ وقعة « دنغيراى» وفى هذه المعركة استهد بن جيرنو مولى، واستشهد معه كثير من الناس فقد وصلوا ويتالا بعد الفجر فحاصروها فاطلقوا نيران المدافع الثقيلة عليها ونشبت بينهما الحرب ودامت المعركة ثلاثة أيام وكان « تتا » آبن الملك قائد الجيش فلما اشتد عليه أمر الشيخ رضى الله عنه نادى رؤساء قومه واستشارهم بأمرالشيخ فقالوا إنا نحن الغالبون وكان بجانبه عبد ذكى قال له أنت ياسيدى أتذكر منذ صغرى إذا نزل الضيف على مزارع قوم فقاموا بدفعه وقاتلوه ثلاثة أيام ولم ينتصروا عليه سوف يدخل دارهم فقال له « تتا » صدقت أما الباقون فما قالوا إلا مايرضينى ثم أمر بهدم الحصن ليجد الجيش مهربا وعزم هو على الانتحار فقال إنه لا يتراءا مع الحاج عمر ثم أوقد على نفسه البارود وقيل إنه قد قتل كما قتل معه (٦٠٠) جندى وأسر مثل ذلك، وأخذ من خيولهم حوالى (٥٦٠) فرسا فكان الملك - نظرا لأهمية ويتالا قد وضع فيها ٣٥ ألف جندى ومع كثرتهم فقد جعل «تتا» فى كل نقبة من نقب القلعة ثلاثين جنديا يقاتلون، والباقون يتحدثون ويلعبون ولا يبالون بما كانوا من المقاتلة فإذا تعب المقاتلة ناب عنهم آخرون وهكذا كانت إستراتيجية تتا الحربية[١] بينما قسم الحاج عمر جيشه إلى خمسة طوائف .

الأولى : طائفة قنار : تضم أهل قنار وبوصيا وكرمت وجاورو مسمه وكفروش .

الثانية : طائفة يرلابى : وتضم أهل يرلابى ولاو وهبيابى إنضم إليهم أهل كاسو وجافن وباغنة .

والثالثة : طائفة تور وتضم أهل تور ، وبندر إنضم « قدمغ» وأكثر فوتا جلون الرابعة طائفة جنفنتن» وهى تضم أهل حوض وعشيرة الشيخ ومواليه ، وعبيده وقريبوا عهد الإسلام وهم يتولون حراسته الطائفة الخامسة : طائفة مرقلاوهى قوم أتى بهم

(١) جيرنو منتقى تال مرجع سابق ص ٥٠٠ .

الفاعثمان من أرض مرقلا وإنضم إليهم بقية أهل فوتا جلون سماهم الحاج عمر طائفة مرقلا[1] . وهكذا فى اليوم التالى تواجدت جيوش الحاج عمر فى صعيد المعركة ، وأجريت الترتيبات والتشكيلات لخوض المعركة النهائية، فى ويتالا . تقدمت هذه الطوائف كلها فحاصرت المدينة وكانت تحيط بها عدة أسوار وإندلعت المعركة لتنتهى بانتصار الحاج عمر . وكان ذلك يوم الأحد الثانى والعشرين من صفر ١٢٧٦ هـ الموافق سبتمبر ١٨٦٠ ومكث رضى الله عنه ليلة فجاء إليه من خلالها وفود وبايعوه بيعة الإسلام .

وبعد إنتصار ويتالا إتجه رضى الله عنه إلى « سنيسد » فوصلها ورحب به ملكها ولكن فوجئ الحاج عمر بمجئ جيش أحمد بن أحمد مع جيش ملك سغو لتقاتل ضد الحاج عمر ، وفى نفس الوقت بعث أمير ماسن رسالة إلى الحاج عمر تضمنها عدة أحاديث ومنها : (إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فكلاهما فى النار[2] ومن هنا ندرك بأن أمير ماسن يحسن المراوغة والخدعة، وجيشه فى صعيد المعركة لمساعدة الكفار ضد الحاج عمر ، وفى نفس الوقت وجه رسالة إليه تحمل الوعظ والتهديد[3] كما أشرنا عندما وصل رضى الله عنه إلى « سنيسد » كان يأتى الناس من جميع البلدان يبايعونه حتى وصل إليهم جيش أحمد بن أحمد فحاربهم الحاج عمر حتى إنتصر عليهم ثم فروا هاربين إلى ماسن. ثم ارتحل الحاج عمر إلى عاصمة ملك « سغو » فلما وصل إليها وجد الملك قد هرب وترك قصره فى إلى ماسن فلما وصل الشيخ مكث فيها مع إبنه أحمد المدنى أياما ثم أمر بإحضار أهل فوتا وجميع المسلمين ودعى إبنه أحمد فشاور أهل فوتا باستخلافه فوافقوا جميعا فبايعه الناس وأمر الناس باتباعه. وفوجئ رضى الله عنه بقدوم جيش أحمد بن أحمد أيضا مع ملك سغو بقيادة عم أمير ماسنة « بالب» رئيسا لذلك الجيش وأمرهم بالقدوم إلى حرب ضد الحاج عمر فى سغو

---

(١) جيرنو منتقى تال / مرجع سابق ٥٠٠ .

(٢) راجع نص الرسالة والجواب فى كتاب الجواهر لجيرنو منتقى تال ص ٥٠٥-٥١٦ .

(٣) راجع الشيخ موسى كمرا مرجع سابق ص ٣٣.

وتقدم بهم حتى وصلوا قرية جفرابى ولما سمع الحاج عمر بذلك أمر الفا عمر جيرنو بيلا بلقائهم وتقدم بجيش فحاربهم وإشتد بينهم الطعنات حتى إنتصر عليهم الفاعمر[1] .

ثانيا جهاده ضد المسلمين المتحالفين مع الوثنية .

وبانتهاء تصفية المقاومة فى سغو كان وقوع المعركة بين القوتين المجاهدتين بقيادة الحاج عمر والماسنيين بقيادة أميرهم أحمد بن أحمد أمرا لا مفر منه لذا فقد جمع أمير ماسنا حشدا كبيرا من الجنود فى شايول يبلغ عددهم حوالى ستين الف مقاتل ، كما أحضر الحاج عمر حوالى أربعين ألف مقاتل فى نفس المكان (ششايول) والتقى الجمعان فى معركة شديدة وإنتهت بانتصار الماسين على المجاهدين وفى اليوم التالى أجرى الحاج عمر ترتيبات فى جيشه بعد ما أوصاه حمد جم فلدى المحارب من ماسنة أوصاهم بضرب الخيول فإن البطل الفارس منهم إذا مات عنه جواده لن يحارب وواجهتهم ماسنة بحشد كبير من الجنود وأكثرهم خياله على صهوات الجياد دخلوا المعركة مستخدمين نفس الأسلوب السابق ودارت المعركة وصوب المجاهدين أسلحتهم على الخيول وقبل انسحاب الماسنيين كانت أرض المعركة مليئة بجثث الخيول وقتل وجرح كثير منهم .

وهكذا إنهزم الأمير أحمد وجيوشه ومعهم جيوش الكفار كما جرح فى هذا القتال وأبى الهرب حتى حمله عبيده إلى السفينة لينجوا به وسأل الحاج عمر أين الأمير فقيل إن عبيده حملوه فى سفينة لينجوا به فأتبعه بمائة جواد حتى أدركوه فى قرية «مويتى» وممن أدركه الفا عمر جيرنو بيلا فوجده قد فارق الحياة فأخبر الشيخ بذلك فترحم عليه ثم أستولى الحاج عمر على العاصمة (حمد الله) فبايعه أهل ماسنة فأعلن لجيشه أن نساءهم وأولادهم لاتسبى ، وأن أموالهم لا تغنم ولاحق للمجاهدين فيه فإنهم مسلمون .

---

(١) الشيخ مويئ كمرا، مرجع سابق ٣٣ ، ٣٤ .

ثم جـمع رضى الله عنه جميع المسلمين وقام من مجلسه وأجلس عليه أبنه أحمد شيخ وبايعه وخلفه على فتح من البلدان وقال أرجع إلى سغو لأنهم حديثو عهد فى الإسلام فرجع بأكثر الجيوش[1] وأمر بإعادة بناء حمد الله وأحاطها بسور عظيم ؛ فلما رأى بعض الماسنيين بقلة جيش الحاج عمر لأن معظمهم عادوا إلى سغو ، فكاتبوا البكاى كنتا ووعده بأن يؤمروه عليهم فجاء بجيش عظيم وأنضم إليه أهل الأمير أحمد بن أحمد وبقايا الوثنيين وحاصروا الشيخ عمر فأرسل التجانى ابن أخيه ليأتى بالجيش لنجدته ومكث الشيخ فى الحصار ثلاثة أشهر ثم أمر أصحابة بالخروج من الحصار فخرج الجيش حتى وصل جبل « دغيرى » ودارت المعركة بين المجاهدين وأعدائهم حتى قتل بين الفريقين عدد كبير وظن أن الحاج عمر قد قتل ، فإذا هو دخل فى غار هو وبعض أبنائه وقد اشتد بهم التعب ينتظرون قدوم التجانى ابن أخيه فقام الأعداء بإشعال النار على فم الغار حتى توفى كل من فيه ثم طالب البكاى أهل ماسنا أن يبابعوه كما وعدوه فأبوا فاختلفوا فيما بينهم حتى وصل التجانى بجيشه فنشب بينهم القتال ولما علم لما وقع للحاج عمر أقسم أن لايضع جنبه على الأرض حتى ينتصر على الأعداء جميعا فواصل الجهاد حتى غلبهم وأخضعهم واستتب له الأمر فقام بالخلافة وأقام الحدود وبذل المال ورحم الفقراء والضعفاء ورتب الدروس وأكرم العلماء[2] .

الفصل الثالث : جهاد الحاج عمر على ضوء الشريعة والقانون الدولى .

المبحث الأول: على ضوء الشريعة .

لايختلف أثنان على أن الجهاد واجب إسلامى مقدس تحدث عنه القرآن الكريم وشرحته السنة النبوية الشريفة وقال فى حقه الإمام على - كرم الله وجهه (إن الجهاد

---

(١) أبو بكر خالد. مرجع سابق ص ٦٦ .

(٢) محمد الحافظ التجانى ، مرجع سابق ص ١٨ .

باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه ، فهو لباس التقوى وجنته المنيعة ودرعة الحصين)[١] فالقرآن الكريم يقول: ﴿ وقتلوا في سبيل الله الذين يقالتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾[٢] ﴿ وقاتلوهم حتي لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان إنتهوا فلا عدوان إلا علي الظالمين ﴾[٣] من معانى هذه الآيات، أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يبدأ دعوته بالقوة ، ولم يحارب أحد أبدا إلا إذا كان هذا الأخير هو البادئ، كما أن أى مجاهد نسج على منواله لا يستحق إلا الاقتداء به وهذا ما فهمه المجاهد الحاج عمر فى كافة حروبه فإذا نظرنا إلى بداية جهاده وهو آنذاك فى بلدة «دنغيراى» يتخذها مقرا ومسجدا ومدرسة يعلم فيها ويربى فيها تلاميذة وأتباعه بما يوافق مقتضى الكتاب والسنة، هجم عليه قوات الكفار بعد تهديدات متكررة وقتلوا من أتباعه مالا يستطيع أن يسكت عليه ومن هنا توكل على الله وقاوم مدافعا عن النفس أمتثالا لقوله تعالى ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله علي نصرهم لقدير﴾[٤] وطاعة لقوله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان[٥] ليس هناك فساد أكبر من قتل النفس وهدر الدم البرئ وهذا ما فعله الكفار عندما قاما يمبا ساخو بشن هجوم على « دنغيراى» والحروب التى تلت هذه الواقعة كلها تسجت على هذا المنوال، وليس أدل على ذلك من إرسال الملك بالجوغو قوات لناصرة يمبا ساخو[٦] وكذلك الملك ماماد كانجا الذى تحالف عسكريا مع الملك « برك» ضد الحاج عمر حيث اشتركت قواته فى معركة هاجموا فيها الحاج عمر[٧] كما أن الدعم العسكرى الفعلى لعلى دامنسو ملك سغو من طرف أحمد أمير ماسنا عبارة عن تحالف كامل ضد الحاج عمر[٨] فالشيخ عمر الفوتى

---

(١) خطبة الجهاد فى نهج البلاغة ص
(٢) سورة البقرة آية ١٩٠
(٣) سورة البقرة آية ١٩٣
(٤) سورة الحج آية ٣٩
(٥) السيوطى الجامع الصغير ج ٢ ص ٨٦٨٧.
(٦) أنظر صفحة من هذا المبث
(٧) أنظر صفحة من هذا المبحث
(٨) أنظر صفحة من هذا المبحث

المجاهد لم يشن أى هجوم مباغت على أى بلد أو شخص فى المنطقة إلا بعد ما برهن على ذلك وأصر على محاربته بصده عن سبيل الله وظلم الدعوة الإسلامية المشروعة، فلم ينتقم الشيخ عمر الفوتى من أى أحد لنفسه وإنما ينتقم لله تعالى على حد الشريعة وبناء على السنة النبوية السمحاء ، فقد وعظ وأحسن وأنذر وبشر فوجه وأوعى ولكن أكثر ممن يستحق عليهم وقول القائل لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى

ثانيا: على ضوء القانون الدولى

ورد فى المادة الواحدة والخمسين من ميثاق الأمم المتحدة ما يلى:

يعتبر الدفاع الشرعى « من أقدم أسباب الاباحة التى عرفتها القوانين عبر العصور وبذلك فقد نصت عليه جميع التشريعات الداخلية للدول المتمدنة[1] وفى هذا السياق يمكن القول إن من أهم مظاهر البقاء حق الدولة فى الدفاع عن نفسها عند الإعتداء عليها من جهة، وعند ارتكاب أفعال تهدد أمنها السياسى والأقتصادى وذلك بكافة الوسائل المتاحة لرد العدوان .

ونص المادة ٥١ تعتبر حق الدفاع الشرعى بمثابة حق يقرره القانون الدولى لدولة أو لمجموعة دول باستخدام القوة لصد عدوان مسلح يرتكب ضد سلامة إقليمها أو إستقلالها السياسى شريطة أن يكون إستخدام القوة هو الوسيلة الوحيدة لدرع ذلك العدوان[1] والذى يمكن ملاحظته من التعرف السالف الذكر هو أن حق الدفاع الشرعى يثبت للدول وذلك كنتيجة لحقهما فى البقاء بنفس الشروط التى يثبتها للأفراد وفقا للقوانين والأنظمة الداخلية . ومن هنا ندرك درجة الوعى عند الحاج عمر سواء فيما يخص الشريعة الإسلامية أو ما يتعلق بما عليه القانون الدولى فيما بعد ، فقد أثبتت التجارب واتفقت آراء المؤرخين الواعين كما أثبتت الوثائق المختلفة عن

(١) د. مأمون سلامة ، قانون العقوبات (القسم العام الجريمة) ط١ القاهرة ١٩٧٥م ص ١٨٤ .

(٢) د . محمد خلف الدفاع الشرعى فى القانون الدولى الجنائى ط ٢ بنغازى عام ص ١٤١.

جهاد الحاج عمر على أنه لم يبدأ بالعدوان أبدا، بل سار على طريقه معلما ومرشدا ولقى فى سبيله كافة أنواع الظلم والاضطهاد فمن حبسه وأستولى على أمواله بناء على شائعات كاذبة أثيرت حوله من طرف جماعة ممن عادوه من ماسنا حتى إنتشرت أمام طريقه ووصلت إلى بعض الملوك الظالمين ومن بينهم الملك « شغل » فى سغو الذى سجنه أثناء طريق عودته من الشرق، كما تعرض المجاهد الحاج عمر إهانات ومضايقات من الصعوبة بمكان التعاضى عنها ولكن ثبت على الحق وأوصى أتباعه بالصبر والثبات والتسليم لإرادة الله وأنتظار أوامره إلى أن هجم عليه الملك « يمبا » بعد حصار محكم دامت مدة من الزمن ذاق الحاج عمر خلاله مراره شديدة.

ولما سفكت الدماء وهدرت الحقوق وانتشر الظلم وأصبح الاعتداء سافرا توكل على الله وأستعمل معانى أسلفناها من أى الذكر الحكيم ونصوص السنة المطهرة فقاوم وانتصر وكان انبعاثا للشرارة التى استطارت لتعم نورا وبهجة وضياء واستمر طريقه حتى جاءه إذن صريح من الهاتف الربانى وزادت به ، وقويت عزائمه فصدق الله به وعده ونصره .

وفى جهاده ضد الماسنيين نرى إن حياة الحاج عمر وجهاده مجموعة من الدروس والعبر فقد تناولنا جزءآ من حياته وجهاده بشكل موجز ، وتعرضنا لشرعية هذا الجهاد سواء فيما تقضيه الشريعة الإسلامية أو ما تقضيه القوانين الدولية بما فيها ميثاق الأمم المتحدة ذلك لأن الجهاد موجه إلى كل من الكفار والمنافقين بقوله تعالى ﴿**يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم**﴾ [1] والذى سنتعرض له هنا هو ما كثر فيه الكلام وخاض فيه الخائضون ، حاول فيه المغرضون مؤاخذة الحاج عمر الفوتى لمحاربته مع أمير ماسنة باعتبار أن هذا الأمير مسلم ، لكن نود أن نلفت أنظار هؤلاء المغرضين سوء منهم المتأثرين بكتابات الإستعمار ، أو الذين تحركهم الحمية العرفية التى لا محل لها فى مثل هذه الموقف . نعم نشبت حروب طاحنة بين الفريقين ،

---

(١) سورة الطلاق .

وكثرت أثناءها الضحايا من الطرفين وانتصر الحاج عمر بجدارة انتصار الحجة قبل السيف والذى يمكن ملاحظته من التعريف السالف الذكر هو أن حق الدفاع الشرعى يثبت للدول وذلك كنتيجة لحقها فى البقاء بنفس الشروط التى يثبتها للأفراد وفقاً للقوانين والأنظمة الداخلية . وهذا يعنى ضرورة توافر الآتى فى الاعتداء أن يكون حالا وغير مشروع ولا يمكن دفعه إلا باللجوء إلى القوة [1].

من هذه الحجج الدامغة ما أوردناه فى مقالنا هذا من تحالفه الظاهر مع ملك سغو عسكريا ضد الحاج عمر والقوات الإسلامية التى يقودها . وكذلك ما تتضمنه رسائله الخمسة من التهديدات والشتائم والكلام الذى يمجه الذوق السليم ، فلو أنه توقف عند هذا الحد لما دارت أية معركة بينه وبين الحاج عمر ولكنه تعداه واعتدى عليه والرد القرآنى عن هذا الأمر واضح جداً إذ يقول جل من قائل : ﴿ **فمن اعتدي عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدي** .. ﴾[1] الآية . إضافة إلى قوله تعالى وهو العليم الخبير يعلم ما جرى وما سيجرى إلى يوم الدين قال فى محكم تنزيله : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما علي الأخري فقاتلوا التي تبغي حتي تفييء إلي أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين** ﴾[2]. إستخدم الحاج عمر معانى هذه الآية وطبقها أحسن تطبيق فعلى الرغم من التحرشات العسكرية المتكررة والتهديدات السافرة من قبل الحليفين على دامنسو ملك سغو الوثنى وأحمد بن أحمد أمير ماسنا المسلم أنتظر الحاج عمر ما يزيد على أربعة أشهر أوقف خلالها كل تحركاته العسكرية وحاول غير ما مرة إقناع الأمير أحمد بأنه لا يريد محاربته كمسلم ولا يريد محاربة على دامنسو نفسه لأنه مشرك بل يحارب على دامنسو لأنه على صحة كفره قد اعتدى عليه وشارك فى عدة معارك كان يخوضها ضد الكفار الظالمين ، ولكن أمير ماسنا أبدى

---

(١) د . على صادق أبو هيف : القانون الدولى العام . ط ٢ منشأة المعارف ، الأسكندرية ، ص : ٣٤ - ٣٥ .

(٢) سـورة . .. . .

كراهيته له ولجهاده وقام بعمليات عسكرية متكررة ضد جيشه كما أنه أظهر تعنتاً شديداً بحيث سد به طرق الحوار والمفاوضات بل بكلام ظهر فيما بعد بأنه غير صحيح ألا وهو قوله : « بأن ملك سغو تاب على يده واعتنق الإسلام والواقع أن شيئاً من هذا لم يقع أبداً » .

فبعد نفاذ الصبر وسكون كل شئ أمام الحاج عمر إلا باب واحد مفتوح هو مقاومة ملك سغو وفتح حرب ضده وهذا ما يحدث . فلما نصره الله تعالى بمنه وكرمه على قاعدة الكفر في سغو فر ملكها هارباً واختفى قبل أن يلتجئ نهائياً إلى حمد الله عاصمة حليفه الأمير أحمد ، والذي أظهر عدم صحة مزاعم أمير ماسنا عن إسلام هذا الملك هو أن قوات الجيش الإسلامي عندما فتحت سيغور وجدت في قصر الملك أصناما عديدة يعرف المؤرخون أسماءها . فقد عبدها الملك المشرك إلى آخر الحظة من فراره . وتأكيد على بطلان الإدعاء القائل بأنه أعتنق الإسلام ، أصدر الحاج عمر أمرا لجمع هذه الأصنام وعدم تدميرها لتكون حجة على أمير ماسنا[1] علماً بأن عادته هو كسر الأصنام بيده كلما فتح الله به معقل كفر ووثنية . يضاف إلى ذلك أن الحاج عمر يدافع الأخوة الإسلامية قد وجه إلى أمير ماسنا وثيقة يطالبه فيها بإرجاء الملك أليه كي يستيتد به في ماسنا فأمام هذا الباب المفتوح للمصالحة على الرغم من السوابق الغامشه التي صدرت من أمير ماسينا فإنه لم يملك من الرد على هذا العرض السخي الذي يحق دماء المسلمين من الطرفين ويستتب فيه الأمن والسلام ليحل محل الخلافات والعداوة ، خاصة وأن مما أبطل دعوى إسلام ملك سغو الحوار الذي دار بينه وبين أمير ماسنا عندما التجأ إليه واليك نص الحوار : «سأل الملك أحمد : هل ربكما واحد أو لك رب وللحاج عمر رب ؟ فأجابه الأمير أحمد : بل ربنا واحد . فقال له الملك : إني حاربت كثيراً من الجيوش فلم يستطيع أحد التغلب على إلا الحاج عمر ،

(١) سورة الحجرات .

(٢) أنظر . . . . من هذا البحث .

إسمع يا أحمد : إن كان لك رب وللحاج عمر رب فرب الحاج عمر أقوى من ربك ، وإن كان ربكما واحد . فهو يحب الحاج عمر أكثر مما يحبكم» وهذا يدل على أن ملك سيغو ما عرف الإسلام[1] .

ومن جانب آخر بعد انتظار الحاج عمر على ماسنا أصدر قرار يدل على الشريعة الإسلامية ووقوفة عند حدها وحرصه على تطبيقها.

فعندما جاءه خبر وفاة الأمير ترحم على روحه وقال موجها كلامه لقوات المسلمين البواسل الذين استولوا على ماسنا بأنه لا يحق لهم سبى نساء ماسنا ولا إغتنام أموال الماسنين لأنهم مسلمون .

الدروس المستفادة فى هذا الجهاد :

يستفاد من دروس جهاد الحاج عمر بأنه رمز حى يمثل عدة عناصر يحتاج أبناء الأمة الإسلامية إلى تواصيها على الصعيد الفكرى والعلمى كنتيجة حتمية لإثبات ما كان القرآن الكريم والسنة النبوية السمحاء يرميان إليه .

فقد كان من دروس جهاد الحاج عمر رد مقنع على سؤال كثيراً ما تردد على شفاه الكثيرين ، ألا وهو : هل انتهى فعلا الجهاد فى سبيل الله ؟ فجاء الرد صريحاً ليقول لنا إنه مادام البغى والشرك والكفر والطغيان والظلم باقية فإن الجهاد سيبقى قائماً إلى الأبد .

كما أن حركة الحاج عمر تبدى شيئاً آخر يكاد المقصرون والمحجوبون لا يدركون ألا وهو: أن التفوق الحقيقى أمر واجب عل كل من كفقة وأنه كله داخل فى صميم الشريعة وأعماق الحقيقة الأمر الذى مثله جهاد الحاج عمر بما فى كلمة التمثيل من معنى .

وأمر آخر يعتبر درساً قيماً أيضاً من الدروس التى أملاها جهاد الحاج عمر على العالم هو أن قيمة القيادة تكتمل بوجود القائد ويتوفر كافة المواصفات التى تتطلبها

---

(١) محمد الحافظ التجانى : الحاج عمر الفوتى سلطان الدولة التجانية ، مرجع سابق ص ٢٤ .

القيادة وعلى شخصية الحاج عمر وأفكاره وكتاباته وحياته الخاصة وشخصيته الاجتماعية وترامى رجلاته واتساع خبراته وسعته ما يكفى أن يجعل منه ذلك القائد المنشور الذى يلم به الشمل وتتم به الوحدة .

أما الدرس الآخر الذى يمكن استخلاصه من جهاد الحاج عمر فيتمثل فى تحقيق الوحدة وحدة بنى جلدته تحت راية الإسلام بناء على مبادئه ومعتقداته فكما أن كل بطل ينطلق من إيمانه بمبادئه الأساسية التى يعتمد بها ويتخذها ركيزة لكل مخططاته العلمية والسياسية والثقافية والدينية أو الاجتماعية أو قل حتى الأقتصادية . بهذا أبرز الحاج عمر ليضع كافة هذه العناصر على ركيزة الدين وليعمل ليحقق كافة المكاسب التى رأيناها بناء عليه ، فالدين عنده هو الحياة وما عكس الحياة إلا الموت والحياة عنده عبادة أولا ثم جهد فى إسعاد النفس وإسعاد الغير ولذا كانت أفقه واسعة جداً يمكن القول بأنه سبق زمانه بأكثر من قرن . لقد عمل فى توحيد القارة الأفريقية وخصوصاً غرب القارة أولا ليوحدها فيما بعد إلى الأجزاء الأخرى من شمال القارة وشرقها اللتين تعرفان الإسلام قبل الزحف إلى جنوب القارة حيث يندر المسلمون فى وقته وكان ينوى وضع دولة مثل التى كانت فى عهد الراشدين والأمويين إلى العباسيين حيث كان هارون الرشيد يقول لغيمة (السحابة) : « ياغيمة أمطرى حيث تشائين فإن خراجك لآت إلى » . فبالنسبة لا للحاج عمر فليس الملك هو الذى يهمه قدر ما كان نشر الإسلام وتحرير عباد الله من الأفارقة من نيران الاستبداد وظلم الوثنيين وطغيان الإقطاعيين إلى وضعهم فى ظل عدالة الإسلام وحريته من ناحية ومن ناحية أخرى كان يصبو إلى تحقيق مجموعة بشرية قوية تستطيع تسخير وسائل الإنتاج كما تستطيع بحكم النظام الاجتماعى والاقتصادى والعلمى الذى كان يتصوره أن تقف أمام أى تهديد أجنبى عن القارة سواء منهم الاستعمار الفرنسى الذى يعرفه أو الاستعمار الانجليزى أو البرتغالى أو الألمانى أو الإيطالى التى كانت قد درسها دروساً متفاوته حسب تواجده فى مناطق احتلالها بالقارة الأفريقية أو آسيا .

ففكرته فكرة دولة ثيوقراطية أى مبينة على الدين تجمع كافة الأقطار الإفريقية كما أسلفنا ونفس الدعوة جاءت الى أفريقيا من طرف أبطال أفارقة آخرين فيما بعد سعوا إلى تحقيق وحدة أفريقيا مع اعتماد كل منهم على لون الثقافة التى تشبع بها ولا تزال أطروحة تحقيق وحدة أفريقيا قائمة مطروحة على بساط البحث ، وهكذا يمكن أن أعود وأقول إذ بعد الحربين العظيمين هبت رياح الحرية والاستقلال فكان مندبو هذه البلدان المستعمرة فى أفريقيا منقسمين بين من يرى ضرورة توحيد أفريقيا مرة واحدة ومن يرى ضرورة مجموعات إقليمية متناغمة مع ارتباطها بالمجمرعات الأخرى حال ما يتم النضج ويكون تحقيق الوحدة الكاملة متاحاً .

ولهذا الهدف انشأت منظمة الوحدة الأفريقية التى تجمع كافة أقطار القارة وفى ظلها نشأت منظمات إقليمية ذات أهداف اقتصادية محددة ، بينما نرى بعض الدول الأفريقية تضع فى تشكيل حكوماتها حقيبة وزارية خاصة للاندماج الأفريقى وجمهورية السنغال أرض الحاج عمر الأصلى مثال حى عن هذا الدرس عن جهاد الحاج عمر وأهدافه قيم جداً لو كان للمسلمين الأفارقة آذان صاغية ولو كان لقلوبهم وعى ولعقولهم ادراك تام بأن الأمر بالأمر يذكر . فالحاج عمر الفوتى مرجع حقيقى يمكن الإعتماد عليه وتقليده لتحقيق هذه الأمور كلها من إحياء السنة ونشر الإسلام وتحقيق الوحدة وإقامة مجتمع مبنى على الإيمان ذى قوة ومناعة وعزة وكرامة . فقد أسس دولة إسلامية امتدت حدودها من تمبكتو شمالا إلى بلاد الحوص (الهوسا) شرقاً وإلى المحيط الأطلسى غرباً .

قائمة المراجــــع

١ - ابراهيم اتيام : تعامل تربوى ولغوى مع كتاب « تذكرة القلوب » للحاج عمر الفوتى تال ، قسم اللغة العربية بالمدرسة العليا بجامعة شيخ أنت جوب .

٢ - إجلال محمود رأفت : صراع القوى السياسية فى السنغال بعد الاستقلال وسياسة فرنسا تجاه (الصراع ومعهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة).

٣ - ابن خلدون : المقدمة

٤ - الشيخ موسى كمرا : أشهى العلوم وأطيب الخبر فى تاريخ الحاج عمر ، المعهد الإسلامى لأفريقيا السوداء جامعة شيخ أنت جوب .

٥ - الشيخ تقى الدين أبو الفتح : أحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام .

٦ - السيد / بيد باص : مقابلة منقولة من كتاب / محمد على اتيام ، الذى صاحب الحاج عمر في كل تنقلاته وحركاته الجهادية .

٧ - جيرنو منتقى تال : جواهر الدرر فى مسيرة الحاج عمر .

٨ - عمر أحمد سعيد : دور حركات التجديد الإسلامى فى غرب أفريقيا ، المركز الإسلامى الأفريقى فى الخرطوم - السودان .

٩ - ضوء مفتاح عمد : نظرية الحرب فى الإسلام وأثرها فى القانون الد ولى العام ، دار المكتبة الوطنية بنغازى - ليبيا .

١٠ - محمد الحافظ النجاتى المصرى : الحاج عمر الفوتى سلطان الدولة التجانية جهادة وتاريخ حياته .

التـاريخ السياسى لمصر
فى عهد مسلمة بن مخلد الأنصارى
من سنة ٤٧هـ إلى ٦٢هـ

د. عبد المنعم أحمد الدسوقى

مقدمـــة

مسلمة بن مخلد الأنصارى تولى مصر فترة إمتدت خمسة عشر عاما ما بين ٤٧-٦٢هـ كانت مصر خلالها مركزا لنشاط سياسى وحربى إما للدفاع عنها ضد أطماع الروم، أو لتحقيق رغبة الخلافة فى التوسع فى بلاد المغرب العربى ، وقد نجح هذا الرجل قبل ولايته على مصر فى أن يضبط إيقاع السياسة فيها ، فهو لم يكن مخالفا للخليفة على بن ابى طالب، وفى نفس الوقت لم يكن منحازاً لمعاوية بن ابى سفيان لأن غضبه كان لمقتل الخليفة عثمان بن عفان ، لذلك تصدى لولاة مصر الذين أرادوها دموية، وتقسيم البلد إلى شيع وأحزاب، وإستطاع أن يؤلف حزباً عثمانياً، وساعد بكل الوسائل على إنتقال السلطة فى مصر إلى الدولة الأموية .

ويعد مسلمة بن مخلد الأنصارى الوالى العاشر فى سلسلة الولاة الذين تولوا مصر منذ الفتح الاسلامى ، وكان له دوره البارز فى التأكيد على الانتماء الاسلامى، وتحقيق سياسة داخلية وخارجية متوائمة مع واقع الدولة الاسلامية، وقد نجح الى حد بعيد فى تحقيق سياسة بنى أمية فى مصر وفتح الطريق أمام المسلمين للتوغل فى بلاد المغرب .

وقد رأيت عمل بحث عن سياسة مصر الداخلية والخارجية فى عهده واضعا أمامى الاعتبارات الآتية:

* كلية التربية – جامعة المنصورة .

أولا: خصوصية إنتماء مسلمة بن مخلد للأمويين مع كونه أنصاريا ، فقد كان دوره موجها منذ البداية لصالح المعسكر الأموى، وهى خصوصية لم تجتمع إلا فى نفر قليل من الأنصار، إذ المعروف أن معظمهم كان منحاز لبنى هاشم .

ثانيا: اختصاصة لأول مرة بالجمع بين ولايتى مصر وبلاد المغرب كولاية عامة وهى لم تجتمع لوال من قبله، وإطلاق يده فى حماية الجبهة الغربية للدولة الأموية، وتدعيم الوجود الأموى جنوب البحر المتوسط .

ثالثا: بلاؤه المزدوج فى مجال السياسة الخارجية حيث أنه بدأ فى فتح المغرب الأوسط وبعض جزر البحر المتوسط ، ومساندة الدولة الأموية فى حربها ضد الدولة البيزنطية، وفى ميدان السياسة الداخلية فرض الاستقرار فى مصر والأقاليم التابعة لها ، فقد تولى مصر بعد فترة اضطراب ثم عادت الى الإضطراب مرة أخرى بعد وفاته .

رابعا: أهمية القاء الضوء على تاريخ مصر وبلاد المغرب من خلال ولاية مسلمة بن مخلد على الرغم من قلة المعلومات التى وردت عنه فقد جمعت المعلومات من متفرقات فى ثنايا المصادر التاريخية. كما أن المصادر المتخصصة لم تعرض له إلا فى شذرات لا تكاد تفى بالغرض، أما باقى المصادر فقد اكتفت بإشارات تاريخية فقط ، وذلك على الرغم من أهمية الدور الذى قام به مسلمة بن مخلد الأنصارى ، خلال ولايته .

والله ولى التوفيق

مقومات شخصية مسلمة وآثرها فى سياسته الداخلية والخارجية :

مسلمة بن مخلد[1]، أحد القادة العرب الأربعة الذين أرسلهم الخليفة عمر بن الخطاب على رأس المدد الحربى لمساعدة القائد العام عمرو بن العاص لفتح مصر، وقد أطلق المؤرخون على هذا المدد الطليعة الثانية[2]، وبذلك يرجع الفضل الى الخليفة الراشد الثانى فى الدفع بمسلمة الى المعترك السياسى وهو لم يتجاوز العشرين من عمره[3]، وقد ثار جدل بين مؤرخى فترة الفتح الإسلامى لمصر حول كون مسلمة أحد القادة الأربعة ، فبعضهم ذكر خارجة بن حذافة العدوى بدلا منه، إلا أن أحداث الفتح تؤكد وجود مسلمة وحذيفة مع اختلاف الدور الذى قام به كل منهما، فقد استمر دور مسلمة فى مصر إلى أن تولى عليها هى وأفريقية ، وهو الوحيد من بين القادة الأربعة الذى ولى مصر بقصد تحقيق سياسة بنى أمية، بينما قتل خارجة على يد أحد الخوارج الذى وصل الى مصر لاغتيال عمرو بن العاص ضمن خطة خارجية للتخلص من على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان[4].

---

(١) هو من بنى ساعده بن كعب الخزرجيين أبوه مخلد بن الصامت بن لوذان بن عبد بن ثعلبة، قتل أبوه فى حرب بعاث التى وقعت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة بثلاثة أعوام وهو ابن عم ابى دجانة سماك بن خرشة بطل موقعة القادسية، أى أنه من اسرة لها دور بارز فى الفتوحات الإسلامية، وإن كان الغموض يكتنف فترة شبابه قبل اشتراكه فى فتح مصر .

ابن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة، دار أحياء التراث العربى، لبنان، جـ ٥ ، ص٣٦٤
ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، طبعة دار المعارف، تحقيق عبد السلام هارون ٣٤٥. ٣٦٦ .

(٢) نقل ابن عبد الحكم عن جماعة رواته أنه لما أبطا فتح حصن بابليون على عمرو بن العاص كتب إلى الخليفة عنر بن الخطاب يستمده ويعلمه ذلك، فأمده باربعة الآف رجل على كل الف رجل مقام الألف هم الزبير بن العوام الأسدى، والمقداد بن عمرو ، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد، وقيل خارجة بن خذافة العدوى، فى حين لا يذكر الدكتور حسن إبراهيم اسم خارجة . فتوح مصر وأخبارها، طبع مؤسسة دار التعاون ١٩٧٤، ص ٥٠ .

أنظر أيضا Watterson: The Egyptians “Islamic Egypt” .

(٣) ذكر مسلمة لاصحابة أنه ولد فى العام الذى هاجر فية الرسول عليه السلام إلى المدينة، ابن الاثير: أسد الغابة جـ٤ ، ص ٣٦٥ .

(٤)وردت هذه القصة فى كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، لأبى المحاسن ، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومى جـ١ ، ١١٤.

قام مسلمة بن مخلد الأنصارى بدور فاعل فى عملية فتح مصر منذ أن وطئت قدماه أرضها فلم يترك أى موقف سياسى إلا وساهم فيه، فيذكر أنه لما استعصى حصن بابليون على المسلمين أقترح الزبير بن العوام على عمرو تشكيل كتيبة لاقتحام الحصن تحت قيادته، وفعلا اختار مجموعة للاقتحام كان مسلمة من بين أفرادها، وكان ضمن الذين صعدوا الحصن وتمكنوا من فتحة للمسلمين وهذا يؤكد أخلاصه وما كان له من أثر فى أعجاب القادة به، الأمر الذى جعل المقوقس يسعى لطلب الصلح من عمرو بن العاص(٥).

بعد أن تم فتح وإقرار الأمور فيها أقام عمرو بن العاص مدة، وكتب إلى الخليفة يستأذنه فى المضى لاستكمال الفتوح، وكان الروم البيزنطنين بعد هزيمتهم فى مصر قد تحالفوا مع من تبعهم من قبط مصر على الاجتماع فى الاسكندرية ومحاربة المسلمين لوقف إمتداد الفتح الاسلامى(٦).

وصل أمر الخليفة الى قائده فى مصر بالتوجه الى الاسكندرية على رأس جيش، ففعل عمرو بن العاص ذلك واستخلف على مصر خارجة بن حذافة ، وخرج مسلمة مع جيش الفتح مما يؤكد دوره الفاعل فى عملية الفتح، وحاصر المسلمون الإسكندرية ، وحدثت أثناء الحصار مناوشات من بعض رجال الروم والمسلمين كان ابرزها أن رجلا من الروم بارز مسلمة بن مخلد الأنصارى، فصرعة الرومى والقاه عن فرسه وكاد يقتله لولا أن رجلا من المسلمين أنقذه ، فغضب عمرو من موقف مسلمة واعتقد أنه تخاذل، وأسمعه من الكلام ما أساءه، ولكن الامر كان على غير ما اعتقد عمرو، فقد أظهر مسلمة ضروبا من البطولة فيما بعد، فعندما هجمت الروم على العرب واخرجوهم من الحصن تخلف أربعة من قادة العرب عن الخروج منهم عمرو ومسلمة، ووقعوا أسرى إلا

---

(٤) وردت هذه القصة فى كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، لابى المحاسن طبعة وزارة الثقافة والارشاد القومى جـ١، ١١٤.

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها، ص ٥٢، ١١٩.

(٦) البلاذرى : فتوح البلدان مكتبة الهلال بيروت سنة ١٩٨٣ ص ٢١٨ ويذكر ابن عبد الحكم أن ملك الروم قال لئن ظفرت العرب على الاسكندرية أن فى ذلك إنقطاع ملك الروم وهلاكهم، وخرج مع الروم إلى الاسكندرية، فتوح مصر وأخبارها، ص ٥٩ .

أنهم رغم قتلهم استطاعوا هزيمة البيزنطيين بفضل موقف مسلمة ، فقد فاوض قادة الروم الأسرى المسلمين علي أن يبادلوهم بأسري من الروم، ولا يعرفون أن الاسرى هم قادة المسلمين، فأبى عمرو بن العاص، ومن معه إلا القتال أو الحرية، وأخرج الروم رجلا معروفاً عنه الشدة لمنازلة عمرو بن العاص، فتقدم مسلمة لفداء قائده وبذل نفسه بدلا منه مخافة أن يقتل فيفت ذلك فى عضد المسلمين، وتقدم للمنازلة واستطاع الظهور على القائد البيزنطى وقتله، هذا العمل من مسلمة كان محل إعجاب عمرو وتقديره، وجعل عمرو يضعه فى طائفة مستشاريه، وإنتهى الأمر بإطلاق سراح قادة المسلمين، ففتح لهم الروم باب الحصن وخرجوا دون أن يدرى قادتهم أنهم أمراء القوم(٧).

قرر عمرو بن العاص فرض الحصار على حصن الإسكندرية مرة أخرى بناء على كتاب وصله من أمير المؤمنين ، فجمع قادته واستشارهم فيما يجب القيام به، وخص مسلمة بن مخلد بالمشورة لما كان يتميز به من رجاحة عقل وحسن تدبير، ولم تكن هذه الخصوصية الا لمسلمة وهذا يؤكد حرصه على الوجود الإسلامى فى مصر ، فأشار عليه مسلمة بمشورة تدل على أنه رجل سياسة من الطراز الأول، وهي أن يعقد لرجل من قادة المسلمين على جيش ليباشر الفتح وطرح عليه أسم عبادة بن الصامت الأنصارى، فعقد له عمرو ، وظل عبادة على الحرب حتى تم فتح الإسكندرية فى المحرم من سنة ٢٠ هـ/٦٤١م(٨)، وهذا لاشك يؤكد الخبرة الحربية عند مسلمة ومقدرته على معرفة الرجال، وهو على ذلك لم يتجاوز الحادية و العشرين من عمره، وأنتهى الأمر بعقد هدنة أكدت الوجود الاسلامى فى مصر(٩).

لم يستقر المسلمون فى الإسكندرية بل عادوا إلى مصر بناء على أمر الخليفة عمر بن الخطاب، فترك عمرو بها حامية من قبله، وداوم على إرسال قوة عسكرية ترابط فى

---

(٧) ذكرا بن عبد الحكم أن عمرو قد أساء الى مسلمة حين صرعه رجل من الروم أثناء الالتحام فى الحصن، ثم اعترف لمسلمه بسداد موقفه واستحيا من إساءته إليه وطلب منه الصفح قائلا: ما أفحشت الا ثلاث مرات ، مرتين فى الجاهلية وهذه الثالثة : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٦٠ .

(٨) المقريزى : المواعظ والاعتبار (الخطط) ، مكتبة الحلبى ، جـ ١، ص ١٦٥ .

(٩) ابن الاثير: الكامل فى التاريخ، دار الكتب العلمية بيروت، جـ ٢ ، ص ٤٠٨ .

الإسكندرية على فترات كل عام حتى لا يفكر الروم فى العودة إلى احتلالها ، ثم عاد إلى مصر لبناء مدينة للعرب القادمين للاستقرار كما حدث للمحاربين الذين استقروا فى العراق سواء فى الكوفة أو البصرة، وخط عمرو الفسطاط وأنزل الناس حسب قبائلهم ، فكان مسلمة بن مخلد ضمن الخطة التى ضمت الأنصار إلى جانب قبائل قريش وأسلم ومزينة وغيرهم(١٠).

وقد اشترك مسلمة بن مخلد فى العمل الإدارى فى مصر منذ أن نزلها ، فبعد أن استقر المسلمون . عمل عمرو بن العاص على استخلاص جماعة من أبرز الصحابة لمساعدتة في إدارة شئون الدولة، وكان مسلمة من ضمن الذين استعان بهم ، فقد قدر عمرو الدور الذى قام به مسلمة على صعيد الفتح العربى لمصر فاحب أن يكافأه فولاه عملية الإشراف على الطواحين بعد أن رفض القيام بجمع الضرائب والمكوس (١١).

عبقرية مسلمة بن مخلد الأنصارى فى تأكيد الوجود الأموى فى مصر :

لم يشترك مسلمة فى الأحداث التى جرت بالمدينة المنورة إبان عهد الخليفة عثمان بن عفان ، حيث لم يثبت أنه ترك مصر منذ أن دخلها(١٢)، إلا أنه نجح فى تكوين جبهه فى مصر مناصرة لبنى أمية أنطلاقا من حزنه على مقتل الخليفة ، وقد وضح ذلك فى الماضى عندما استغل محمد بن ابى حذيفة(١٣) ، فرصة خروج عبد الله بن

(١٠) يذكر المقريزى أن عمراً اختط لنفسه دارا بجوار المسجد، وشيد لكبار الصحابة خططا إلى جواره منهم قادة الفتح، وكانت تسمى خطة أهل الراية أو خطة الرؤساء ، الخطط ، جـ١، ص ٢٩٧.

(١١) ذكر ابن عبد الحكم أن عمراً ولى شر حبيل بن حسنة على المكس ومسلمة على الطواحين. وهذه الوظيفة تعني الإشراف على تجهيز الغلال والدقيق لسد حاجة الناس فتوح مصر وأخبارها، ص ١٥٢ .

(١٢) المعروف أن الزبير بن العوام عاد الى الحجاز وظل إلى أن قتل فى موقعة الجمل سنة ٣٥هـ، وعبادة بن الصامت تولى قضاء فلسطين ومات به سنة ٣٤هـ. وعاد المقداد بن عمرو الى المدينة ومات فى خلافة عثمان بن عفان، ابن الاثير : أسد الغابة، جـ٣ ، ص ١٠٦، جـ ٤ ،ص.٤١٠ .

(١٣) أبوه ابى حذيفة بن عتبة بن ابى ربيعة من المسلمين الأوائل استشهد يوم اليمامة فى حروب الردة وترك ابنه محمدا فكفله عثمان واحسن تربيته، واقبل محمد على العبادة بعد أن حده الخليفة في الشراب، وطلب إلى الخليفة إن يأذن له فى السفر إلى مصر، فأذن له وإجتمع اليه الناس، =

سعد بن ابى السرح والى مصر للقاء الخليفة، وطرد نائبه عقبة بن عامر الجهنى الفسطاط فى شوال سنة ٣٥ هـ/٦٥٥م، واستولى على الأمور فيها من غير ولاية، ثم دعا إلى خلع الخليفة عثمان، وحرض أهل مصر على الثورة ضده حتى انقسم أهل مصر بين مؤيد للخليفة ومعارض له [١٤]، فاعتزلته شيعة عثمان تحت قيادة مسلمة بن مخلد الأنصارى ومعة خارجة بن حذافة، ومعاوية بن حديج، وبسربن ارطأة،وأرسلوا كتابا الى الخليفة بما أحدثة ابن ابى حذيفة[١٥] .

وكان تحرك الحزب الاموى فى مصر أكثر تنظيما وأبلغ تأثيراً من غيره، ويرجع ذلك إلى مسلمة[١٦]. وهذا لا يعنى أن مسلمة كان من رجال معاوية بن أبى سفيان أو من خواصه كما أشرنا، وإنما التجأ اليه لتأكيد الصلة مع بني أمية، فالمعروف أن معاوية أتخذ من مقتل الخليفة عثمان وسيلة للوصول الى سدة الخلافة ، ونجح فى تأليف أنصاره فقد كان ولاءه كما ذكرنا للخليفة ، وثار لمقتله وتصدى هو ومن معه لابن ابى حذيفة حتى أطلق المؤرخون عليه وعلى من سار على دربه لقب « لقب العثمانية »، ولم تولى محمد بن ابى بكر مصر من قبل الخليفة على بن ابى طالب خلفاً لقيس بن سعد بن عباده الأنصارى[١٧]، وطمع معاوية بن ابى سفيان فى مصر بعد موقعة صفين ٣٧هـ/٦٥٧م راسل العثمانية الموجودين فى مصر من أجل ذلك الغرض وكانوا قد

ثم حدث خلاف بينه وبين واليها ابن ابى السرج ، وتحالف معه محمد بن أبى بكر واظهرا الخلاف ضد الخليفة . تلخيص عن البلاذرى، أنساب الاشراف، مؤسسة الاعلمى، بيروت، تحقيق محمد باقر المحمودى ، جـ٢، ص ٣٨٧، ٣٨٨ .

(١٤) ضمت جهة المعارضة كلا من عمرو بن العاص وعمار بن ياسر ومحمد بن أبى حذيفة، ومحمد بن أبى بكر ومن أنضم اليهم . يوسف العش : الدولة الأموية دار الفكر ، بدمشق، ١٩٨٥، ص ٦٩.

(١٥) محمد بن يوسف الكندى : ولاة مصر، طبعة دار صادر ، ٣٨، ٣٩.

(١٦) يذكر أبن عبد الحكم أن ثمة علاقة بين مسلمة بن مخلد ومعاوية بن حديج السكونى حيث اشتركا معا فى جيش أرسله عبد الله بن سعد ابى السرج لفتح بلاد المغرب سنة ٣٤ هـ ، فتوح مصر واخبارها، ١٣١ .

(١٧)وكان على بن ابى طالب عزل قيس عنها بعدما نجح معاوية بن ابى سفيان فى إيقاع فى الفتنة بينهما وكان محمد بن ابى بكر قليل الخبرة، فثار العثمانية ضده وناصبوه العداء.

اعتصموا تحت قيادة مسلمة بن مخلد الأنصارى ومعاوية بن حديج فى عشرة الالف رجل فى مدينة خربتا[١٨].

يرجع الفضل الى مسلمة بن مخلد فى إنتقال مصر من حكم على بن ابى طالب الى بنى أمية وقد سعى إلى ذلك منذ مقتل الخليفة عثمان ، فاستغل أضطراب الأحوال السياسة فى مصر، وانشغال الخلافة بقتال الخوارج، وذلك عندما كتب كتابا إلى معاوية يطلب إليه إرسال جيش لدخول مصر قائلا: أما بعد فعجل علينا بخيلك ورجالك، إن عدونا أصبحو لنا هائبين، فإن أتانا المدد من قبلك يفتح الله علينا، فأسرع معاوية بتجهيز جيش من فلسطين وأرسله تحت قيادة عمرو بن العاص، ولما نزل مصر إنضم إلية مسلمة ومن معه وتعاونوا فى القضاء على محمد بن أبى بكر، وإنهاء عهد الخلفاء الراشدين وبذلك أنتقل الحكم إلى معاوية[١٩].

وهناك خبر إنفرد به خليفة بن خياط ذكر فيه أن مسلمة بن مخلد اشترك مع معاوية فى موقعة صفين حيث يذكر معاوية كان يتكون من مجموعة الألوية أحدهم لواء يضم أهل فلسطين كان تحت قيادة مسلمة فى مسيرة الجيش[٢٠]، إلا أننا لا نؤيد هذه المقولة لأن مسلمة كان فى وقت معركة صفين يتولى قيادة العثمانية فى مصر فى صراعهم مع واليها محمد بن أبى حذيفة ومن بعده محمد بن أبى بكر، وقد ثبت أنه اعتصم بمن معه فى خربتا من رمضان ٣٦ هـ حتي مقتل محمد بن أبى بكر فى صفر سنة ٣٨ هـ/ ٦٥٨م[٢١].

---

(١٨) خربتا : كورة من كور مصر فى الجوف الغربى قرب الإسكندرية . ياقوت : معجم البلدان، طبعة دار صادر، جـ٢، ص ٣٥٥ .

(١٩) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة ، طبعة وزارة الثقافة، جـ١، ص ١٠٨ وما بعدها .

(٢٠) تاريخ خليفة بن خياط، دار صادر ، ص ١٩٥.

(٢١) يبدو أن خليفة بن خياط التبس عليه الأمر فذكر مسلمة بن مخلد قائدا على ميسرة معاوية بدلا من حبيب بن مسلمة ، أنظر تاريخ الطبرى جـ ٥ ، ١١ ومابعدها عن أحداث سنة ٣٧ هـ، وقعة صفين تحت عنوان تكتيب الكتائب وتعبئتها رواية ابى مخنف لوط بن يحيى الأزدي .

مسلمة بن مخلد واليا على مصر وبلاد المغرب :

إنتقلت السيادة في مصر إلى البيت الأموي قبل نهاية عصر الخلافة الراشدة وذلك عندما وليها عمرو بن العاص في ربيع الأول سنة ٣٨ هـ / ٦٥٨ م من قبل معاوية بعد مقتل محمد بن أبي بكر إلى أن مات سنة ٤٣ هـ / ٦٦٣م، ثم عتبة بن أبي سفيان، ثم عقبة بن عامر الجهني، وكان قد تولى الصلاة والخراج بها [٢٢]، وفي شهر ربيع الأول سنة ٤٧ هـ / ٦٧م وفد مسلمة بم مخلد إلى دمشق والتقى مع الخليفة معاوية، وكتب له عهدا بولاية مصر، المعروف أن الأنصار كانوا جميعهم في معسكر الأمام على بن ابي طالب، ولم يشذ عنهم إلا مسلمة بن مخلد والنعمان بن بشير فكافأهم معاوية بأن والى مسلمة على مصر والنعمان على حمص ببلاد الشام ، وأمر معاوية أن يكتم خبر الولاية عن عقبة بن عامر الوالي السابق، وكتب إلى عقبة يعقد له الإمارة على البحر وأمره بالخروج في حملة عبر البحر المتوسط لفتح جزيرة رودس [٢٤].

كانت ولاية مسلمة على مصر صلاة وخراجا بالاضافة إلى بلاد المغرب أشبة ما تكون بالولاية العامة، فهي خصوصية لم تجتمع لوال قبله منذ الفتح الإسلامي لمصر، وبناء على ذلك أصبح مسلمة مسئولا عن شئون الإدارة والفتح في مصر الشمال الأفريقي للخليفة الأموي، واستمر على ولايته دون أن ينازعة أحد لمدة خمس عشرة سنة ، ويعد مسلمة الخليفة العاشر من بين الولاة الذين تولوا شئون مصر منذ الفتح الإسلامي [٢٥].

---

(٢٢) عقبة بن عامر الجهني من أصحاب رسول الله ، صحب معاوية بن أبي سفيان وشهد معه صفين ، وشهد قبلها حروب الشام ، ولي مصر من قبل معاوية وسكنها ، ومات سنة ٥٨ هـ . ابن الأثير : ، أسد الغابة، جـ ٣ ، ص ٤١٧ .

(٢٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢، ص ٢٣٤ .

(٢٤) الكندي، ولاه مصر، ٦٠، وقد حدث هناك خلاف بين المؤرخين حول السنة التي تولى فيها مسلمة وقد اعتمدنا على رواية الكندي لأنه تخصص في الحديث هن ولاة مصر ،

(٢٥) الكندي ، ولاة مصر، ص ٦١ .

كانت مصر مقبلة على مرحلة جديدة من الإنطلاق نحو الفتوحات الخارجية بعد أن أنتهى الصراع السياسى لمصلحة بنى أمية ، فقد سعى الخليفة معاوية بن أبى سفيان نحو تفريغ مصر من أنصار الخليفة على بن أبى طالب [٢٦]، ومن ثم سلم المصريون بالأمر الواقع إلى أمية ولم يعد هناك من ينازعهم السلطة .

يرجع اختيار معاوية لمسلمة بن مخلد قائد لمصر وبلاد المغرب إلى عدة أمور منها ، **أولاً :** اعترافاً منه بفضل مسلمة فى تهيئة الأمور فى مصر لصالح بنى أمية ، فهو الذى أتصل بمعاوية وطلب اليه ارسال جيش أموى ، **ثانيا :** موقف مسلمة الرافض لمقتل الخليفة عثمان بن عفان وقيادة الثورة المضادة فى مصر ، **ثالثا :** تمسك مسلمة بالبقاء فى مصر ورفضة مغادرة كما فعل كثير من الصحابة إلى أن تولى أمرها ، مع أن هناك من المؤرخين من يرى أن مسلمة أنضم الى جانب معاوية فى موقعة صفين سنة ٣٧ هـ / ٦٥٧م وقد أوضحا ذلك سابقا [٢٧].

ويمكن القول بأن مسلمة بن مخلد الأنصارى قد إجتمع بمعاوية بعد المعركة، ولم يحضرها، وذلك أعتماداً على ما بين أيدينا من مصادر، وبناء على ما جاء فى سرد أحداث المعركة، فحينما لجأ الحزب الأموى إلى رفع المصاحف على أسنة الرماح لوقف تقدم جيش الخليفة فطن على بن أبى طالب إلى الحيلة التى لجأ اليهاء معاوية وعرف أنها خدعة وحذر من القائمين عليها وذكر أسماؤهم ولم يذكر فيهم مسلمة، وإذا كان مسلمة قد أشترك فى الحرب فلابد أن يكون مكانة معلوم وتأثيره ظاهر للأمام على [٢٨].

---

(٢٦) وقد حدث عندما جاهد هو وعمرو بن العاص على أن يخرجا قيس بن سعد بن عبادة والى على بن أبى طالب من مصر ليغلبا عليها، لأن قيسا نجح فى أقرار الأمور فيها لصالح الخليفة . أنظر الطبرى، تاريخ الطبرى، أحداث سنة ٣٦، جـ٤، ص ٥٥٢ ، ٥٥٣ ،

(٢٧) يذكر ابن الأعثم الكوفى أن معاوية حينما رأى تجمع الأنصار فى جيش على استدعى النعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد ولم يكن معه من الأنصار غيرهما، وأغلظ لهما فى القول، كتاب الفتوح، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت ، جـ ١ ، ص ٣٣٩ .

(٢٨) روى الطبرى عن أبى مخنف راوية العراق أن عليا قال لأصحابة: عباد الله ، أمضوا على حقكم وصدقكم وقتال عدوكم، فان معاوية وعمرو بن العاص، عقبة بن أبى معيط، وحبيب بن مسلمة، وابن أبى سرح، والضحاك بن قيس ليسوا أصحاب دين ولا قرآن، وما رفعوا المصاحف الا خديعة ودهنا تاريخ الطبرى جـ ٥ ٤٨ ، ٤٩.

الحق أن معاوية بن أبى سفيان ما كان يأتى بأمر الا لتحقيق المصلحة السياسية لا تغلبه عليها العواطف، والدليل أنه عندما عزل عقبة بن عامر الجهنى عن مصر انتدبه للخروج للحرب، لأن المرحلة المقبلة تتطلب وجود قائداً لمصر له مالمسلمة بن مخلد من مواصفات أبرزها : *أولاً* ميله إلى الخليفة عثمان بن عفان وبنى أميه وتحقيق تطلعات معاوية، *ثانيا* : معرفته بطبيعة الشعب المصرى وقدرته على السيطرة السياسية عليه ذلك لانه ظل مقيما فى مصر ما يقرب من ربع قرن من الزمان[٢٩]. *ثالثا* أن طبيعة معاوية فى أختيار معاونية تؤكد ما ذهبنا اليه، وهذا ما حدث عندما أختار المغيرة بن شعبة لما له من خبرة فى قيادة العراق لوقف المد الشيعى والخارجي فيها ، ومن بعده زياد بن أبية، وبالمثل جاء أختياره لمسلمة لقيادة مصر ، والمعروف أن معاوية رفض تولية عبد الله بن عمرو بن العاص على مصر بعد وفاة أبية على الرغم من أنه كان من جند معاوية المخلصين فى موقعة صفين ، وذلك لأنه ليس الرجل الذى يناسب المرحلة التى ينشدها معاوية، وإن كان هناك خبر يقول بأن معاوية كان يسعى لتوليه ابن أخته عبد الرحمن بن عبدالله بن عثمان بن ربيعة الثقفى ـ ابن أم الحكم ـ بعدما أساء السيرة فى أهل الكوفة وأخرجوه منها ، فلما سار متوجها إلى مصر تلقاه معاوية بن حديج قبل دخول مصر وقال له : أرجع إلى خالك معاوية ، فلعمرى لا ندعك تدخلها فتسير فيها وفنيا سيرتك فى إخواننا من أهل الكوفة ، وتحدث معاوية بن حديج بحديث مماثل أمام معاوية، فعدل معاوية عن توليته [٣٠]، وأن صح ذلك يمكن أن نضيف سببا *رابعا* لاختياره لمسلمة هو أن معاوية أحتوم حق رجاله فى أختيار واليهم .

علاقات مصر الخارجية إبان ولاية مسلمة :

تحرك مسلمة نحو الشمال الإفريقى على أنه جزء من ولايته فالواضح أن معاوية ترك له حرية التصرف في الفتوح وأصبحت من حق الوالى بعد أن كان الخليفة هو الذى يشرف عليها ، فقد كان إرسال الجيوش وتعيين القادة من قبل الخليفة مباشرة[٣١] نجح

(٢٩) المعروف أن مسلمة قدم إلى مصر فى الطليعة العربيج الثانية سنة ١٩ هـ وظل بها إلى أن تولى عليها سنة ٤٧ هـ .

(٣٠) ابن كثير : البداية والنهاية ، دار الفكر العربى ، جـ ٨ ، ص ٨٨ .

(٣١) يفهم من النص الذى أورده الكندى أن معاوية بن أبى سفيان ولى مسلمة أمر مصر ونزع عنها عقبة بن عامر ، وتفرغ للحرب فى أفريقية ورودس، فخرج مسلمة مع عقبة إلى الإسكندرية وذلك فى سنة ٤٧ هـ ولاة مصر ، ص ٦٠ ،

مسلمة بن مخلد فى استغلال إمكانات مصر الاقتصادية والبشرية لتحقيق أهداف الدولة الأموية فى الشمال الأفريقى ، فكون جيشا كبيراً ومدربا وأختار له القائد الكفء، ويؤكد ذلك أنه انتهج سياسة جديد تجاه المغرب أنه قام بعزل عقبة بن نافع عن الحرب فيها بعد أن قضى ثمانى سنوات فاتحا فى الشمال الافريقى (٣٢)وولى عليها رجل من مواليه يدعى أبو المهاجر دينار(٣٣) ولابد يكون لدى مسلمة اسبابا لعزل عقبة بن نافع منها **أولا** : أنه كان ينزع إلى التصرف فى عملية الفتح من تلقاء نفسة دون الرجوع اليه، **ثانيا** السياسة العنيقة التى كان يتبعها عقبة فى المغرب لم يرض عنها مسلمة ، والدليل على ذلك أن واليه الجديد أبو المهاجر دينار سار على عكس سياسية عقبة ، وعمل بما أشار به مسلمة، **ثالثا** التنافس الذى كان بين عقبة ومسلمة، فقد كانا من كبار رجال الدولة ورأى مسلمة أن ذلك قد يكون عائقا أمامه لاتمام عملية الفتح كما يراها(٣٤)، والرأى عندنا أن التغير كان من قبل تجديد الدماء وتعديل خطة الفتح .

ولأول مرة يتم اختيار قائد الجيش بمعرفة الوالى مباشرة دون الرجوع الى الخلفية، وهذه خصوصية أخرى لم تعط إلا لمسلمة لثقة معاوية فية ، وعلى هذا الأساس جاء أختيار مسلمة بن مخلد لقائد أبى المهاجر دينار ، وقد أكدنا على أن مسلمة لم يختر أبى المهاجر عن قرابة كما ذهبت بعض المصادر ، لأن مسلمة اراد تنفيذ خطة فى بلاد المغرب قوامها نشر الإسلام السلمى ورأى أن أبا المهاجر هو أقدر على تحقيقها بصرف النظر عن درجة القرابة وإن كانت موجوده فهى ليست قرابة نسب ، فمع عدم الوقوف على تكمله اسم هذا الرجل إلا أنه كان من موالى مسلمة ، وكان مسلمة يقول :

---

(٣٢) شارك عقبة بن نافع فى حملة معاوية بن حديج على أفريقية سنة ٤٥ هـ، فاتجه معاوية إلى سوسة وبنزرت ، بينما أتجه عقبة لفتح الصحراوات الجنوبية كما كان يفعل مع عمرو بن العاص ، ثم كانت حملة الثانية سنة ٥٠ هـ التى بنى منها مدينة القيروان د/ سعد زعلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربى ، جـ١ ، ص ١٧٨ .

(٣٣) أبو المهاجر دينار فاتح كان مولى لبنى مخزوم ثم الأنصار، خير الدين الزركلى ، الأعلام، جـ٣، ٢٥ .

(٣٤) سعد زغلول، تاريخ المغرب العربى، جـ ١، ص ١٨٨، ١٨٩.

« أبو المهاجر واحد منا »[٣٥]، ولم نجد للخليفة أى دور فى أختياره ، وقد اختلفت الروايات حول السنة التى تولى فيها أبو المهاجر على جيش المغرب فقد ذكر ابن عبد الحكم أن مسلمة عزل عقبة بن نافع وولى أبى المهاجر سنة ٥١هـ / ٦٧١م [٣٦]، فى حين يذكر ابن الاثير أن توليته تمت سنة ٥٥ هـ / ٦٧٥ م[٣٧] أما خليفة بن خياط فيذكر أن توليته كانت فى سنة ٥٤ هـ / ٦٧٤ م [٣٨]ونحن نميل إلى رأى ابن الأثير لأنه يذكر الأحداث حسب وقوعها حوليا، وهو أقرب المؤرخين إلى الصواب فى ذكر تواريخ الأحداث. وقد كان لتولية أبى المهاجر دينار على الحرب فى بلاد المغرب أثر فى أستقر الفتوح بدليل أنه ظل قائما على شئون الحرب سبع سنوات هى بقية عهد مسلمة بن مخلد وكان عزلة عنها سنة ٦٢ هـ / ٦٨١ م بعد وفاة مسلمة حينما عزله الخليفة يزيد بن معاوية وأعاد عقبة بن نافع مرة أخرى .

بنى مسلمة سياسته على أن يستكمل أبو المهاجر ما بدأه عقبة ولا يبدأ من جديد، لذلك أوصاه أن يصحب معه عقبة للاستفادة من تجربته السابقة ومعرفته بأحوال البربر حيث سبق له العمل فى بلاد المغرب منذ سنة ٤٦ هـ / ٦٦٩ م حتى ٥٥ هـ ، واعترافا من مسلمة بفضل عقبة أوصى أبا المهاجر أن يعامله بالحسنى ويستشيره فى أموره، غير أن أبا المهاجر خالف ما أمره به الوالى وأساء عزله ، وأوقره حديدا ، وظل على ذلك فترة لم تحددها المصادر إلى أن أتصل عقبة بالخليفة معاوية رأسا ، فكتب معاوية إلى أبى المهاجر للأسباب التى ذكرنها كتابا بتخليه سبيله وإيفاده إليه [٣٩].

---

(٣٥) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها، ص ١٣٤ .

(٣٦) فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٤.

(٣٧) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ، أحداث سنة ٥٥، جـ ٣ ، ص ٣٢٠.

(٣٨) يذكر خليفة بن خياط أن أبا المهاجر كان مع خالد بن ثابت الفهرى فى بلاد المغرب فأمر مسلمة خالدا بالعودة إلى مصر على أن يخلفة أبو المهاجر، وكان ذلك فى سنة ٥٤ هـ ولايمكن القطع بصحة التوقيت لانه الوحيد الذى ذكر هذه الرواية إلى جانب نزوعه أحيانا إلي خلط الأحداث .تاريخ خليفة، ٢٢٣ ويذكر عبيد الله بن سلام فى كتاب الأموال ١٦٧ أن أسمه خالد بن ثابت الفهمى وليس الفهرى .

(٣٩) ابن عبد الحكم فتوح مصر، ص ١٤٣ .

رفض مسلمة ماأشار به معاوية باقرار عقبة على الجيش لماله من حسن السابقة وفضل بقاء أبى المهاجر لذلك قال لمعاوية : أن أبا المهاجر صبر علينا فى غير ولاية ، ولا كبير نيل ، ونحن نحب أن نكافأه [٤٠].

لم يتول عقبة عملا حربيا على الساحة الإفريقية إلا بعد وفاة مسلمة بن مخلد الأنصارى على خلاف ما خرجت به الروايات ، فقد ذكرت إحداها إن عقبة بن نافع غزا أفريقية سنة ٥٨ هـ من قبل مسلمة بن مخلد ، واختط مدينة القيروان وابتناها[٤١] إذ المعروف حسب إجماع الرويات التاريخية أن عقبة بدأ فى بناء مدينة القيروان سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م واستكملها فى سنة ٥٥ هـ / ٦٧٤ م وسكنها الناس وذلك قبل عزله عن بلاد المغرب بأبي المهاجر دينار [٤٢].

جهز مسلمة الجيش وبعث به من مصر سنة ٥٥ هـ / ٦٧٤ م وكان يتألف من أهل الشام ومصر يقوده ابى المهاجر دينار ، وقد بني سياسته علي أن يقوم بعملية المزج والتقريب بين العرب والبربر حسب التعليمات التي تلقاها من مسلمة بن مخلد ، وقد وضح ذلك في أنه لم بنزل القيروان التي بناها عقبه ، وفضل النزول في منطقة خاصة به تسمي دكرور قرب القيروان ، كما تضمنت سياسته الحرص علي الاستقرار في أفريقيا لمتابعة عملية الفتح ، حيث كان المتبع فيما سبق أن يغزو الجيش ثم يعود إلي الفسطاط ليتجهز لغزوة أخري ، لذلك اتخذ للجيش معسكراً لتخرج منه الحملات صيفاً وشتاء[٤٣].

نجحت سياسة أبي المهاجر دينار في مواجهة الخطط الحربية للإمبراطورية البيزنطية صاحبة السيادة على افريقية في ذلك الوقت ، وكانت تقوم على إثارة البربر ضذ العرب

---

(٤٠) ابن عبد الحكم فتوح مصر وأخبارها ١٣٣ ، ١٣٤ ويذكر ابن الأثير أن عقبة سار إلي الشام ، وعاتب معاوية علي ما فعلة به أبو المهاجر دينار ، فاعتذر اليه معاوية ووعده بأن يرده إلي عمله إلا أن ذلك لم يتحقق في ولايته حيث لم يعد إلي بلاد المغرب إلا في عهد يزيد بن معاوية٦٢هـ المامل في التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٣٢١ .

(٤١) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة جـ ١ ، ص ١٥٠ .

(٤٢) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٢٠ .

(٤٣) ابن عبد الحكم فتوح مصر واخبارها ، ص ١٣٤ .

بقصد منع المسلمين من التقدم من القيروان للزحف علي الشمال الأفريقى ، وقد أدرك أبو المهاجر ما كان يرمي إليه البيزنطيون ، وسعي لافساد خططهم ونجح في ذلك إلي حد بعيد ، فسعي لاكتساب البربر إليه لأول مرة بالسياسة قبل الحرب ، وقد وضح ذلك في مهادنته كسيلة بن لمزم زعيم قبيلة أوربة ، ونجح في أقناعه باعتناق الإسلام وكان لهذا العمل عظيم الأثر في تعبيد الطريق إلي الإسلام ونشره بين البربر ، وكذلك اقناع البربر بأهمية الفتح الإسلامي لبلادهم (٤٤).

استغرق توطئة الأمر للإسلام في الشمال الأفريقى نحو أربعة أعوام ، فقد بدأ أبو المهاجر نشاطه العسكري جديا سنة ٥٩ هـ / ٦٧٨ م بعدما هيأ الامور للمسلمين ، ونشر الألفة بينهم وبين البربر ، فالمعروف أن أبا المهاجر (٤٥) أخذ يوجه السريا إلي المناطق التى لم يفتحها المسلمون ، فنزل مدينة قرطاجنة (٤٦)وضرب عليها الحصار ، فخرج البيزنطيون لحربهم وحدثت معركة بين الفريقين لم يستطيع أحد من الفريقين حسمها لصالحه حيث تفشت الجراح بينهما ، فلجاء أبو المهاجر إلي الانحياز بجيشه فترك قرطاجنة ونزل فى بلدة قبلة بولس (٤٧).

أعاد أبو المهاجر تنظيم جيشه قبل أن يتمكن البيزنطيون من طلب المدد ، فهاجم وتمكن من الظهور عليهم حتى الجأهم إلى طلب الصلح ، تم بمقتضاه أن يخلى البيزنطيون للعرب جزيرة شريك أو باشو على ساحل البحر(٤٧). ثم واصل تقدمه فاتحا حتى أنتهى إلى عيون أبو المهاجر كما افتتح ميلة (٤٩).ثم قام أبو المهاجر

---

(٤٤) إبراهيم العدوي التاريخ الإسلامي طبعة الإنجلو ١٩٧٦،ص ٢٣٦

Jamil M. Abun - Nasr, A History of the Maghrib P .68(٤٥)

(٤٦) قرطاجنة ، مدينة علي البحر المتوسط بينها وبين تونس أثني عشر ميلاً كانت إحدي المدن التي يتمركز فيها البيزنطين

ياقوت : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص ٣٢٣

(٤٧) يذكر ياقوت ابن تغري بردي أن المكان الذى نزل المسلمون يسمي قبلة بولس ، ولم يذكر غيره النجوم الزاهرة جـ١ ، ص ١٥٢

(٤٨) سميت جزيرة شريك نسبة إلي شريك بن سمي أول من فتحها في الإسلام سنة ٤٠ هـ في ولاية عمرو بن العاص المقريزي الخطط جـ ١ ٣٠ ، حسين مؤنس ، تاريخ المغرب وحضارته ، ص ٩٠

(٤٩)ميلة : مدينة صغيرة باقصي إفريقة بينها وبين بجاية ثلاثة أيام ياقوت معجم البلدان ، جـ٥ ، ص٢٤٤

بتوزيع الغنائم على الجنود بعد أن استصفى الخمس وبعثة إلى مسلمة بن مخلد فى مصر[٥٠].

تقدم أبو المهاجر دينار فاتحاً نحو المغرب الأوسط بعد أن استكمل فتح أفريقية – تونس – ولم تطالعنا المصادر هل أمده مسلمة بن مخلد الإنصارى بجيش آخر أم أنه اعتمد على البربر الذين اعتنقوا الإسلام . المهم أنه تقدم من ميلة التى كان قد اتخذها قاعدة لة إلى الغرب فاتحاً حتى دخل مدينة تلمسان ، وهزم البربر وأدخل قبيلة أوربه فى الإسلام ، وأصبح زعيمها كسيلة من رجال أبى المهاجر وعاد معه إلى القيروان سنة ٦١هـ / ٦٨٠م وقد نجح أبو المهاجر فيما لم ينجح فيه عقبة بن نافع بعد ذلك، حينما عجز عن استئلاف البربر فارتد كسيلة ، وقاد البربر فى موقعة تهودة واسترد مدينة القيروان بعد أن قتل عقبة بن نافع وأبى المهاجر دينار[٥١].

مما سبق يتبين لنا أن فتوحات أبو المهاجر دينار استمرت طوال فترة حكم مسلمة بن مخلد حتى سنة ٦٢ هـ ، وقد أكسبه حرصه على تنفيذ خطة الفتح ثقة الوالى فلم يعزله ، كما أن الخليفة كان على قناعة بعمله ، وهذا ما جعله يؤجل عودة عقبة إلى قيادة الجيش على الرغم من إلحاح عقبة، وظل عقبة يترقب صدور الأمر بتوليه إلي أن تم ذلك فى عهد يزيد بن معاوية ، وبعد وفاة مسلمة بشهور قليلة ،[٥٢].وقد اتبع يزيد سياسة مخالفة لأبيه تجاه بلاد المغرب ، ففصلها عن مصر وولاها عقبة بن نافع ، ويؤكد ذلك أن العهد الذى كتبه لسعيد بن زيد الأزى الذى خلف مسلمة بن مخلد كان ينص على أنه على صلاة مصر دون المغرب[٥٣].

لم تنسب المصادر إلى إبى المهاجر دينار قيامة بأعمال حضارية على الرغم من طول الفترة التى قضاها فاتحاً فى أفريقية ، وقد لاحظنا أن ما قام به من أعمال حضارية

---

(٥٠) سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي ، جـ ١ ، ص١٩٠

(٥١) أبن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٣٤

(٥٢) توفي معاوية في رجب سنة ٦٠ هـ وتوفي مسلمة أبن مخلد في ذالقعدة سنة ٦٢ هـ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص١٩٨ ، ٢١٠ وأبن كثير البداية والنهاية جـ ٨ ص ٢٣٤

(٥٣) نص ولاية العهد عند الكندي يقول ثم وليهما بن زيد الأزدى – مصر – علي صلاتها ، ثم ركز انه كان والياً علي جند مصر فى مكان آخر وولاه مصر، ٦٣

لا تقل بحال من الأحوال عما قدمه فى الميدان السياسى ، فهو قد أفتتح بلاداً نسبت اليه مثل عيون أبى المهاجر ، وجزيرة شريك ، واستمر فاتحاً حتى وصل إلى أبواب تلمسان[٥٤]. ونجح في نشر الإسلام فى البلاد التى فتحها، كما استطاع إستمالة كسيلة إليه حتى أسلم وحسن إسلامه هو وقبيلته ، ولو استمع عقبة بن نافع لرأى أبى المهاجر لكان للمسلمين فى المغرب شأن آخر [٥٥]، وكانت سياسة دينار فى عمومها متوائمة، فقد استمال البربر والعجم، وارضى جنده فكان يوزع عليهم الأرزاق والغنائم وهو فى نفس الوقت يواظب على إرسال الأموال المستحقة إلى والى مصر، فساعدت هذه السياسة على توطيد أركان الإسلام فى بلاد المغرب.

كما نجح الجيش المصرى فى الوصول إلي المغرب الأوسط، ونشر الإسلام ، وبناء المجتمعات الإسلامية فى الشمال الأفريقى ، وأصبحت مصر مركز إنطلاق فى الجناح الغربى للدولة الأموية وكونت احتياطياً إستراتيجياً للدولة الأموية، فقد حدث أن أمد مسلمة الخليفة بقوة بحرية سنة ٤٩هـ ساعدت الدولة الأموية فى حربها لفتح القسطنطينية يقودها عابس بن سعيد المرادى ، وخرج من مصر جيش أخر وجهة مسلمة لفتح جزيرة رودس، وكان هذا أول قرار حربى أتخذه مسلمة وجعل على قيادته عقبة بن عامر الجهنى بناء على طلب الخليفة بغرض فرض سيطرة مصر على البحر المتوسط[٥٧].

سياسة مصر الداخلية ونظمها الحضارية فى عهد مسلمة بن مخلد :

أحكم مسلمة قبضته على سياسة مصر الداخلية منذأن وليها ، وقد ذكرنا أن عمرو بن العاص كان قد اسند إليه الإشراف على بعض الأعمال[٥٨] ، كما أنه من كان

(٥٤) تلمسان مدينة بالمغرب كانت تسمي أقادير كانت مثل الفسطاط من أرض مصر ، ياقوت : معجم البلدان جـ٢ ، ٤٤ .

(٥٥) يذكر ابن تغري بردي أن أبا المهاجر عرف عقبة بن نافع محل كسيلة ، وأمره أن يحفظ عهده ، فلم يقبل وأستخف به ، فاضمر كسيلة الغدر وراسلته الروم وحارب المسلمين النجوم ، جـ ١ ، ص ١٥٨

(٥٦) أبن الأثير : الكامل فيي التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٣١٤

(٥٧) الكندي : ولاة ، ص ٦٠

(٥٨) يذكر أبن عبد الحكم أن عمرو بن العاص ولي شرحبيل به حُسنة علي المكس وولي مسلمة بن مخلد على الطواحين ، فتوح مصر ، ص ١٥٢

أصحاب الشورى المقربين ، يضاف إلى ما سبق أن دوره غير منكور فى إقرار الأمور فى مصر لبنى أمية ، وان على يديه انتهى عصر الخلفاء الراشدين بها ، وذلك عندما تصدى لمحمد بن أبى حذيفة الذى تولى مصر بغير ولاية من خليفة كما ذكرنا سابقاً، وتحالف ضده على اعتبار أنه وال غير شرعى ، وهو الذى ترأس العثمانية بمصر وتزعم قتال ابن أبى حذيفة سنه ٣٦هـ/٦٥٦ (٥٩). م ثم طلب إلى معاوية أن يرسل جيشاً لإستعادة مصر، وكان لمسلمة دوره البارز فى جمع أهل مصر على البيعة ليزيد بن معاوية خلفاً لأبية .

أولاً : الدواوين

ديوان الشرطة : ذكرنا أن مسلمة تولى مصر صلاة وخراجاً وأضيفت إليه بلاد المغرب ، فبدأ بتنظيم إدارة مصر وترتيب الوظائف الإدارية بأن ولى على الشرطة السائب بن هشام بن عمرو أحد بنى مالك بن حسل (٦٠)، وظل السائب على شرطة مصر لمدة عامين إلى أن عزله مسلمة وولى مكانه عابس بن سعيد المرادى، وكان السبب فى عزل السائب أنه تقاعس فى اتمام البيعة ليزيد بن معاوية (٦١)، فعزلة مسلمة وولى عابس بن سعيد فنجح فى إرغام عبد الله ابن عمرو على البيعة بعد أن هدده بإحراق قصره (٦٢) وذلك لحرص مسلمة على أقرار الأمور فى مصر لصالح بن أمية .

---

(٥٩) أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ ١ ، ص ٩٤

(٦٠) السائب بن هشام بن عمرو بن العاص كنانه قام أبوه بتمزيق صحيفة المقاطعة التي كتبتها قريش ضد بني هاشم في مكة بعد بعثة الرسول ، شهد فتح مصر ، وتولي الشرطة فيها لعمرو بن العاص ومن بعده المصعب الزبير : نسب قريش ، تحقيق ليفي بروفينسال ، ص ٤٣١

(٦١) فيذكر أبن عبد الحكم أن معاوية بعث لمسلمة يأمره بأخذ البيعة لأبنه ، وكان السائب علي شرطتة فكافه بإتمام البيعة غير أنه لم يتمكن من إتمامها إستحياء من عبد الله بن عمرو بن العاص الذي رفض أن يبايع وطلب البيعة لنفسه ، أبن عبد الحكم فتوح مصر ، ص ١٥٤

(٦٢) يذكر أبن الحكم أن عابس بن سعيد ذهب إلي عبدالله بن عمرو ومعه كريب بن أبرهه الأصبحي وهو من شيعة بني أمية ، وسليم بن عتر القاضي ، وأرغموه علي البيعة وهددوه حتي بايع ليزيد ، فتوح مصر ص ١٥٤

ظل عابس على الشرطة عدة أشهر ثم استدعاه الأمير مسلمة وكلفه بالخروج على رأس حملة بحرية إلي القسطنطينية، والمعروف أن هذه الحملة كانت سنه ٤٩هـ [٦٣]، ومن ثم أعاد السائب بن هشام مرة أخرى، وبقى على الشرطة هذه المرةسبع سنوات[٦٤]وأخيراً عاد عابس بن سعيد إلي الشرطة وظل عليها إلى أن مات مسلمة بن مخلد سنه ٦٢هـ/ ٦٨١م، وهكذا كانت ولاية الشرطة بين السائب وعابس بالتبادل وكان عباس ينوب عن مسلمة فى ولاية مصر أثناء خروجه إلى الإسكندرية، وقد أخلص عابس فى عملة فكافأه مسلمة بأن جمع له بين الشرطة والقضاء وذلك فى عام ٦١هـ / ٦٨٠ وبعد عودته من الإسكندرية[٦٥].

أما ديوان الجند : فكانت مهمة صاحب الجند أنه ينوب عن الوالى فى تدبير أمور الجند والإثباتهم فى الديوان بعد استيفاء الشروط[٦٦].وتقدير العطاء اللازم لهم ، والمعروف أن الجيش الذى حرج لغزو شمال أفريقية كان يتألف من المصرين والعرب، وكذلك الجيش الذى خرج للإشتراك فى فتح القسطنطينية كان أفراده من الجند النظاميين الذين يتقاضون رواتب لقاء إنتظامهم فى سلك الجندية، وكان ديوان الجند فى مصر يضم أربعين ألفاً متفرغين للجندية ، وذلك تبعاً لسياسة الدولة الإسلامية [٦٧].

كان عامل الجند بمصر فى ولاية مسلمة بن مخلد يسمى أنتيناس، جمع له مسلمة الجند والخراج بعد مقتل وردان فى البرلس سنة ٥٣هـ ، وكان مسلمة قد كتب إلي

(٦٣) تروى كتب السير أن غزو القسطنطينية حدث في سنة ٤٩ هـ وعلي ذلك يمكن القول بأن معاوية أستمد ولاة الأمصار فأرسل له مسلمة بن مخلد قوة بحرية يقودها عابس بن سعيد أبن الأثير الكامل في التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٣١٤

(٦٤) يذكر السيوطى أن مسلمة ولاة الشرطة وأضاف اليه القضاء ، وربما حدث ذلك في غياب قاضيها سليم بن عتر التجيبي

حس المحاضرة ، ص٩٧

(٦٥) الكندي ، ولاة مصر ، ص ٦٢

(٦٦)حدد الماوردي الشروط الواجبة لإثبات الجند في الديون منها البلوغ والحرية والإسلام والشجاعة والسلامة من الآفات

الأحكام السلطانية ، ص ، ٢٠٣ ، ٢٠٤

(٦٧)يذكر بن عبد الحكم أن الخليفة عمرو بن الخطاب كتب إلي عمرو بن العاص أن عطاء الجند قائم ورزق عيالهم سائر فلا يزرعون ولا يزارعون .

فتوح مصر ، ص ١١١

الخليفة معاوية أن يخصص داراً لأنتيناس، فأمره معاوية أن يشترى له داز وردان مولى عمرو بن العاص[٦٨]. لأنها قريبة من المسجد ودار الإمارة ، على أن يخطط لوردان أى دار شاء، فأعطى مسلمة الدار لإنتيناس، واختط لوردان داراً اخرى[٦٩].

ولاشك أن الجيش لعب دورا رائداً سواء فى الفتوحات الخارجية أو فى تأمين حدود مصر، فعلى الصعيد الخارجى ساهم الجيش الذى قاده أبو المهاجر ديناراً فى التوغل فى إفريقية وفتح بلاد المغرب الأوسط، كما ساهم فرع آخر من الجيش فى الحملة التى أرسلها معاوية بن أبى سفيان إلي القسطنطينية كما سبق أن أشرنا، وعلى الصعيد الداخلى فقد إستطاع عمرو بن العاص أن يطارد الروم ويحول دون إحتلالهم الدلتا[٧٠]. وقد تتابعت هجمات الروم على السواحل المصرية ، ففى سنة ٥٣هـ/ ٦٧٢ نزل الروم البرلس ، فأخرج لهم مسلمة بن مخلد جيشاً هزمهم وطاردهم واستشهد وردان قائد الجيش[٧٠] .

ديوان القضاء: وظيفة القاضى من الوظائف المرموقه ، وكان لصاحبها نفوذ كبير يتفق مع العمل الذى يقوم به ، وكان القاضى يتبع الخليفة مباشرة، وربما يجمع الوالى بين الولاية والقضاء ، وقد لوحظ أن القاضى كان أكثر إستقراراً من الولى فى منصبة ضماناً لإستقرار العدالة، وقد تقلد القضاء فى مصر فى ولاية مسلمة بن مخلد القاضى سليم بن عتر التجيبى ، وكان قد تقلده مدة عشرين سنه من ٤٠-٦٠ هـ [٧٢].

---

(٦٨) وردان مولي عمرو بن العاص كان علي علم بلغة القبط وسائر اللغات ، فكان عمرو يرسله إلي الملوك برسائله ، تولي خراج مصر في فترات كثيرة منذ الفتح حتي كان زمن مسلمة بن مخلد الواقدي ، فتوح الشام ، جـ ٢ ، ص ٥٣

(٦٩) أبن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٧٣

(٧٠) سيدة إسماعيل الكاشف ، مصر في فخر الإسلام ، ص ٨٨

(٧١) الكندي ، ولاة مصر ، ص ٦١

(٧٢) ذكر أبن عبد الحكم أن سليم بن عتر أدرك زمن عمرو بن الخطاب وحضر مؤتمر الجابية وولاة عمر القضاءعلي مصر ، وهو من الصحابة الزاهدين ، صاحب أبو هريرة الدوسي وقد أورده السيوطى ضمن مشاهير التابعين ورواه الأحاديث نزلو مصر فتوح مصر ١٥٢ ، حسن المحاضرة جـ ١ ، ص ١٠٥

وكان مسلمة بن مخلد يعول على القاضى سليم بن عتر فى القيام بالأعمال التى تخص أمن مصر فيروى أنه حينما امتنع عبد الله بن عمرو بن العاص عن البيعة ليزيد بن معاوية ، أرسل مسلمة له قائد الشرطة عابس بن سعيد ومعه القاضى سليم ، وكريب بن ابرهة الصباح من أشراف أهل مصر(٧٣) وأجبروه على البيعة(٧٤)، هذا وقد بلغ راتب القاضى فى مصر مائتى دينار فى السنه وكان يأخذها من بيت المال .

ديوان الخراج في مصر والأقاليم التابعة لها :

يعد جمع الخراج في مصر وارساله للخليفة من أهم وظائف الوالي ، وكان الخليفة عمر بن الخطاب يرسل إلي عمرو بن العاص ليبعث إليه الخراج عينا ونقدا ، وذلك لمواجه الشدة التي كان عليها الحجاز في عام المجاعة ، فأرسل عمر إليه الطعام والزيت والحنطة والعسل والخل والثياب والجبب والعمائم ، ثم إنقطع ذلك أيام الفتنة التى إنتهت بمقتل الخليفة عثمان بن عفان ، ثم إستؤنف إرسالها فى عهد معاوية ابن أبى سفيان وابنه يزيد ، وكان الخراج يحمل إلى مدينة الرسول عبر خليج أمير المؤمنين ، ثم إنتقل إلى دمشق فى عهد بنى أمية(٧٥) .

رفض وردان رغبة الخليفة معاوية فى زيادة الخراج على المصريين(٧٦). فقد كانت هناك نظم تحكم عملية الخراج ، فقد روى أن الخليفة عمر بن الخطاب أرسل الى عمرو بن العاص ليستشير البطريق بنيامين زعيم القبط حول أفضل وسيلة لجباية خراج مصر، فأشار عليه البطريق بأن يستخرج الخراج فى وقت واحد عند فراغ الناس من زروعهم ، وأن يرفعه فى آن واحد عند فراغ أهلها من عصر كرومهم ، وان يحفر خلجانها ،

---

(٧٣) يذكر بعض المؤرخين أن له صحبة مع النبى عليه السلام ، وينكرها البعض الآخر روى عن بعض الصحابة مثل حذيفة من اليمان ، وأبي الدرواء وغيرهما ، وروي عنه كبار التابعين في مصر .

أبن الأثير ، أسد الغابة ، جـ ٤ ، ص ٢٣٨

(٧٤) أبن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ١٥٤ وقد أورد وكيع القصة التي ذكرها أبن عبد الحكم وإلاأنه حرف في الأسماء فذكر عابس بن سعيد ، وسليم بن ذكره سليمان بن عنزر

أخبار القضاة ، جـ ٣ ، ص ٢٢٤

(٧٥) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢١٤

(٧٦) كتب معاوية إلى وردان أن يزيد على كل رجل من القبط فى الخراج مقدار قيراط، فرفض وردان لأن العهد الذى بين العرب والقبط يشترط إلا يزيد عليهم شئ ، المقريزى ، الخطط ، جـ ١ ، ص ٧٩ .

ويصلح جسورها، ويسد ترعها ، وأن لا يختار عامل ظالم ليلى أمور الناس[٧٧]، هذا وقد استمر وردان عاملا على الخراج حتى أستشهد فى معركة البرلس سنة ٥٣ هـ .

وقد كان رويفع بن ثابت الانصارى من صحابة رسول الله يتولى برقة من قبل مسلمة بن مخلد وجعل مقر اقامته فى قرية تسمى جربة قرب قابس ، وينسب الى هذا الرجل أنه أقر أموراً الزم بها أهل برقة نقلها عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) منها أنه لا يحل لرجل أن يأتى الحبالى من الفيىء ، ولا يصيب امرأة من السبى حتى يستبرئها ، ولا يبيع مغنما حتى يقسم ، ولا يركب دابة من فيىء المسلمين حتى إذا أعجفها ردها ، وأن لا يلبس ثوباً من الفيء حتى إذا أخرقه رده[٧٨] ، ويفهم من سير الأحداث أن أهل برقة كانوا على علاقة طيبة بعاملهم ، فقد ورد أنه كان يحصل الخراج منهم دون حادث أو مستحث ، ويقوم بارسالة إلي والي مصر ، وهذا يدل علي أن مسلمة لم يجد صعوبة في حكم برقة ولم تدخلها فتنة[٧٩].

بلغت جملة ما كان مايرسلة مسلمة بن مخلد من الخراج الي دار الخلآفة يتألف من جملة خراج مصر مضافا الية ما يرسلة عاملة علي برقة ، وما يرسلة أبو المهاجر دينار عاملة علي بلاد المغرب ، وقد اشارت بعض النصوص الي ان مقدار الخراج الذي كان يرسلة نقدا طوال فترة ولايته ستمائة ألف دينار[٨٠] صافى ، بعد ان يستخلص المصروفات الادارية التي كان ينفقها علي الجند والإدارة وأهل الديوان وأولادهم ، ونوائب البلاد من الجسور ، وأرزاق الكتبة ، ومصاريف حمل القمح إلي الحجاز ، ويمكن تقدير جمله الانفاق السنوي في مصر بنحو مائتي الف دينار[٨١]. وقد حرص مسلمة بن مخلد علي مداومة الاشراف علي الدواوين ، لذلك وافق علي تخصيص دار وردان القريبة من الديوان لانتيناس صاحب ديوان الجند ، واستقطع لوردان داراً غيرها[٨٢].

---

(٧٧) الفريد بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٤٧٠ .
(٧٨) ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ ٢ ، ص ١٩١.
(٧٩) البلاذرى ، فتوح البلدان، ص ٢٢٢.
(٨٠) M. A. Shaban, Ialamic History, part (1) P. 81
(٨١) المقريزى ، الخطط ، جـ ١ ، ص ٧٩ .
(٨٢) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٧٣ .

وترجع نشأة الدواوين في الدولة الإسلامية إلي الخليفة عمر بن الخطاب الذي بذل جهداً كبيراً في اتمامها ، وكان الغرض من إنشائها ضبط الأموال الواردة إلي الدولة ، وتقدير العطاء المفروض للأجناد وأسرهم ، وتقدير الانفاق علي ما تتطلبه أمور الدولة ، وفيما يخص ديوان الجند في مصر فقد أنشأه عمرو بن العاص بناء علي تعليمات الخليفة عمر ، وكان قريب الشبة بديوان الجند في المدينة ، فقد روعي فيه إثبات الجند علي حسب قبائلهم ، والمعروف أن الخطط التي أقامها عمرو وكانت تقوم علي نظام القبائل ، وكانت كل قبيلة تختط لنفسها خطة مستقلة عن القبائل الأخري ، وقد انتظم في ديوان مصر في ولاية مسلمة نحو أربعين الفا ، وكان عطاء كل واحد منهم مائتي دينار(٨٣) .

اتبع مسلمة نظاما دقيقا في تنظيم السجلات والمواليد والغاء الوفيات من الديوان فقدجعل علي كل قبيلة رجل منهم يدور علي القبيلة يسأل عن المواليد ويثبتها في الديوان ، وحرصا منه علي الرعية لم يركن الي أحد في توزيع العطاء بل تولاه بنفسه(٨٤) ، هذا وقد ظلت الدواوين في مصر تكتب باللغة القبطية(٨٥) .

وكانت الاقاليم التي تتضمنها ولايه مصرتحت سلطة واشراف مسلمة بن مخلد مباشرة ، ولم يعط لعمالة علي الاقاليم مرونه فى التصرف إلا فى حدود ما يأمر به حتى لا يتمكن أحد منهم ويستقل عن الولاية ، وهذا يدل علي ان حكمه كان مركزيا ، وكان الوالي وهو الأخر تحت سيطرة الخليفة فى دمشق ، وقد استأثر الخليفة لنفسه بتولية بعض العمال دون الرجوع إلى الوالى مثل القضاة ، وكان للخليفة صاحب بريد يكتب له أولاً بأول عن سيرة الولاة ، وبالمثل كان لمسلمة بن مخلد الأنصارى بريد يكتب له بأخبار عمال الأقاليم الواقعة فى دائرة نفوذه(٨٦) ، وهذا لا ينفى أن مسلمة

---

(٨٣) المقريزى ، الخطط، جـ ١ ، ص ٩٤ .

(٨٤) المصدر السابق والصفحة ، السيوطى حسن المحاضرة جـ ١ ، ص ٦٥، ٦٦ .

(٨٥) ظلت الدواوين تكتب باللغة القبطية إلى أن تحولت الى العربية فى ولاية عبد الله ابن عبد الملك والى مصر من قبل أخيه عبد الملك بن مروان ،ابنه الوليد ، أنظر عبد الرحمن فهمى ، النقود العربية ماضيها وحاضرها، طبعة وزارة الثقافة ١٩٦٤ ، ص ٣٤ .

(٨٦) د/ سيدة الكاشف ، مصر فى فجر الإسلام ، ص ٣٩ .

بن مخلد قد تمتع بقسط من الحرية من قبل الخليفة وسيادة التفاهم بينهما ويؤكد هذا إمتداد فترة ولايته على مصر لأكثر من خمسة عشرا عاماً قام خلالها بأداء أعمال بارزة داخلياً سواء الناحية الإدارية أو العمرانية .

الاقتصاد المصرى فى ولاية مسلمة بن مخلد :

هيأ توافر الظروف لمصر مركزاً إقتصادياً مرموقاً ، فلم نسمع بأن مصر تعرضت لجفاف أو نقص فى مياه النيل طول فترة حكم مسلمة ، وذلك بمتابعة مقياس النيل الذى دأب ابن تغرى بردى على ذكره ضمن أحداث كل سنة(٨٧) ، هذا إلى جانب السياسة الزراعية التى أقرها الخليفة عمر بن الخطاب حينما رفض توزيع الأراضى فى البلاد المفتوحة على الجند وتركها لأهلها على أن يؤدوا عنها الخراج ، وقد عرف مسلمة واجبه نحو طبقة المزراعين فى مصر ويقوم على توفير أسباب النهوض بالزراعة ، والاشراف على وسائل الرى ، والاهتمام بالجسور ، وحفر الترع ، وتوفير الأموال التى تلزم للإنفاق على عملية الإصلاح ، وقد ذكرنا أن البطريق بنيامين زعيم قبط مصر بحث مع عمرو بن العاص سبل توفير الخدمات للفلاحين من حفر الخلجان ، وإصلاح الجسور وسد الترع (٨٨)، حتى يضمن قيام الفلاحين بدفع الخراج المقدر على أراضيهم ، وقد اتخذ مسلمة بن مخلد خطوات كان من شأنها النهوض بالزراعة ، فكان إذا عجز أحد أو شكا ضعفاً فى أرضه نزع ما عجز عنه عن الاحتمال ، وإذا كان منهم من يريد الزيادة أعطى ما عجز عنه أهل الضعف ، وكانت قسمة الأرض على الفدان والقيراط(٨٩) .

وقد أولى مسلمة بن مخلد الأنصارى نيل مصر جانباً كبيراً من اهتمامه ، وكان حريصاً على معرفة مقدار الزيادة والنقص فيه وتابع خطة من سبقه من الولاة فى بناء مقاييس للنيل ، فالمعروف أن عمرو بن العاص بنى مقاييس للنيل فى مدينتى حلوان

---

(٨٧) يذكر ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة أن النيل كان دائما فى الزيادة طول فترة حكم مسلمة فلم يقل ارتفاعة عن أربعة عشر ذراعا ، وقد وصل فى بعض السنين إلى واحد وعشرين ذراعاً جـ ١ ، ص ١٣٧ وما بعدها .

(٨٨) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٤٧٠ .

(٨٩) السيوطى حسن المحاضرة ، ص ٦٢ .

ودندرة ، فزاد عليهما مسلمة بن مخلد مقياساً فى مدينة أنصنا من نواحى الصعيد شرقى النيل[٩٠] .

والمعروف أن المصريين اهتموا بالزراعة منذ القدم وقسموا السنة إلى مواسم زراعية على مدار السنة ، وقد ظل افتتاح الخراج فى النيروز الفارسى الموافق شهر توت والشهر العربى رجب[٩١] .

أدى النشاط الزراعى ووفرة الغلات الزراعية إلى إزدهار الصناعة وتنوع المصنوعات ، فإرتبطت صناعة السكر بإنتشار زراعة القصب ، وصناعة الحرير من دودة القز التى تكثر فى شهر برمهات[٩٢] وصناعة النسيج من الصوف والكتان وعصر الزيوت والصبغة والجلود والأوانى الخزفية ، كما انتشرت صناعة قطع الأخشاب للإستهلاك المحلى وصناعة السفن[٩٣] وصناعة الخل .

إزداد النشاط التجارى فى مصر فى ولاية مسلمة بن مخلد الأنصارى ، وحدث تبادل تجارى بين مصر وكل من السودان وأواسط أفريقية ، وقد ظلت مصر تستورد الرقيق من بلاد النوبة وتصدر إليها الحبوب مثل القمح والعدس ، وذكر بعض مشايخ أهل مصر أن الذى صولح عليه أهل النوبة[٩٤] أن يؤدوا إلى المسلمين أربعمائة رأس كل سنة ، منها ثلاثمائة وستين رأساً لفىء المسلمين ، ولوالى البلد أربعين رأساً[٩٥] ، وكانت التجارة من وإلى البلدين عن طريق الملاحة سواء فى البحر الأحمر أو النيل عند أسوان ، كما كانت مصر تتاجر مع دول وسط أفريقية عن طريق ميناء عيذاب ، هذا إلى جانب ما كانت تقوم به مصر كوسيط تجارى بين الشرق والغرب ، وقد تاجرت مع

---

(٩٠) ذكر ابن عبد الحكم أن أول من قام بقياس النيل هو نبى الله يوسف عليه السلام ، ثم وضعت العجوز دلوكه ابنه زباء ملكة تدمر صاحبه حائط العجوز مقياسا صغيرا بأنصنا وهى مسقط رأس السيدة مارية بنت شمعون زوج الرسول ( ) فتوح مصر ص ٢٣، ٤٢

(٩١) المقريزى الخطط جـ ١ ص ٢٧٠ ، ٢٧١

(٩٢) المصدر السابق ، ص ٢٧١ .

(٩٣) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ٦٧ ، ٨٤

(٩٤) يذكر البلاذرى إن عبد الله بن سعد ابى استحاب لطلب أهل النوبة بالصلح والموادعة سنة ٣١ هـ على هدية ثلاثمائة رأى فى كل سنة من غير جزية على أن يهدى المسلمين اليهم طعاما بقدر ذلك فتوح البلدان، ص ٢٣٤ السيوطى ، حسن المحاضرة ص ٦٢ .

(٩٥) ابن عبد الحكم ، فتوح ص ١٢٨ .

الدول المجاورة فكانت تصدر إليها القمح والكتان وتستورد الأنواع الجيدة من الأخشاب لصناعة السفن(٩٦)، هذا وقد حرص الولاة على إقامة الأسواق الداخلية ، وكان أشهر هذه الأسواق سوق وردان الذى كان بجوار دار الإمارة والمسجد(٩٧) وكان السوق عبارة عن مجموعة من الحوانيت تطل على مساحة مكشوفة فى الوسط وظهرها إلى الخارج(٩٨) ، وقد أقر مسلمة الموازين والمكاييل البيزنطية التى كانت سائدة بمصر(٩٩) .

أولي مسلمة بن مخلد الإسكندرية جانبا كبيرا من اهتمامه ، فهي إلي جانب أهميتها السياسية كانت أكبر منفذ لمصر تحمل منه صادرات مصر ، وقد اهتم الولاه بأمر الإسكندرية لأنها كانت عاصمة الروم وكانوا دائما يحلمون بالعودة إليها ، لذلك حرص مسلمة علي الإقامة فيها فترات كثيرة ، وهذا يفسره إقامته فيها منذ أن خرج إليها سنة ٦٠هـ/ ٦٨٠م وحينما توفي معاوية كتب مسلمة إلي نائبه علي مصر عابس بن سعيد يأخذ البيعة ليزيد بن معاوية وظل هو بالإسكنتدرية حتي نهاية سنة ٦١/هـ٦٨١م(١٠٠).

مسلمة بن مخلد والنهضة العمرانية:

اهتم مسلمة بن مخلد الأنصاري بالنهضة العمرانية في مصر ، وتابع مابدأه عمرو ابن العاص ، وكانت حركة الإصلاح قد توقفت أثناء الفتنة التي حدثت بالحجاز وإنتهت بمقتل الخليفة عثمان بن عفان والنزاع الذي حدث بمصر بين محمد بن ابي حذيفة ومحمد بن أبي بكر وبين شيعة عثمان بن عفان شغل الولاه عن الإصلاح ، واستمر ذلك إلي أن انتقل الحكم في مصر إلي بني أمية ، ولعل أول مظاهر اهتمام مسلمة بن مخلد بالعمارة هي قيامه باعادة بناء وتطوير المسجد الجامع الذي بناه عمرو بن العاص ، فقد كان المسجد في أول أمره بناء بدائيا يبلغ مساحة ألفا وخمسمائة ذراع طوله خمسون

---

(٩٦) د/ سيدة الكاشف مصر فى فجر الإسلام ، ٢٩٨ .

(٩٧) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٨٣ .

(٩٨) محمد عبد الستار عثمان، المدينة الاسلامية ، عالم المعرفة سنة ٨٨ ، ص ٢٥٧ .

(٩٩) يذكر الدكتور عبد الرحمن فهمى أن أول ظهور المكاييل والموازين العربية كان فى عهد الوالى قرة بن شريك (٩٠ - ٩٦هـ)

(١٠٠) الكندى ، ولاة مصر، ص ٦٢ .

ذراعاً وعرضه ثلاثون ، وكان سقفه مطأطأ غير مستقيم بالإضافة إلي عدم وجود صحن له ، فأصبح مع مرور الزمن غير قادر علي تحقيق الغرض الذي بني من أجله ، فضاق بالمصلين ، حتي أصبحوا يصطفون للصلاة في الفضاء الموجود أمامه ، وفي الطريق الممتد حوله ، فأدي ذلك إلي إغلاق الأبواب الخاصة به ، كما أن قبلة المسجد كانت منحرفة إلي جهة الشرق(١٠١) .

تقدم أهل مصر إلي مسلمة بن مخلد يشكون ضيق المسجد، فكتب مسلمة بدوره إلى الخليفة معاوية يطلب منه الإذن فى إعادة عمارة المسجد(١٠٢) فأذن له، وكان ذلك سنة ٥٣ هـ/ ٦٧٢م وتعد هذه أول زيادة في المسجد فقام مسلمة بضم المساحة الموجودة حول المسجد من جهتى الشرق والشمال، وجعل للمسجد رحبة من جهة الشرق، ثم قام بطلاء المسجد بالجص ونقش جدرانه وسقوفه بزخارف إسلامية، وأعاد إصلاح منبره علي ما أمر به الخليفة عمر بن الخطاب(١٠٣).

أضاف مسلمة إلي المسجد مناراً ـ أي مئذنة ـ وجعل له أربع صوامع في أركانه الأربعة، وجعل فوق كل صومعه مئذنة نقش عليها اسمه، ومنع المؤذنيين من الصعود علي سطح المسجد للآذان حتي لا يكشفون عورات الناس في البيوت المجاورة للمسجد، وأعاد وضع القبلة تجاه مكة، كما رسم المحراب علي الحائط لأن المحراب لم يأخذ شكله الحالي إلا في سنة ٩٢ هـ/٧١٢م(١٠٤)، كما أعاد فرش المسجد بالحصير بعد أن كان مفروشاً بالحصباء، واهتم بأمر إقامة الشعائر فزاد في عدد المؤذنين وأمرهم بالآذان لصلاة الفجر علي أن يلتزموا بتوحيد وقت إقامة الصلاة في مدينة الفسطاط(١٠٥)، وكلف مسلمة بن مخلد القاضي سليم بن عتر بالإمامة في مسجد عمرو بن العاص(١٠٦).

---

(١٠١) بتلر، فتح العرب لمصر ، ص ٣٦٤ .

(١٠٢) يذكر السيوطى أن مسلمة أول من أدخل الزيادة فى المسجد على بنيان عمرو بن العاص حسن المحاضرة ، ص ٥٨٠ .

(١٠٣) السيوطى ، حسن المحاضرة، ص ٥٨٠ .

(١٠٤) بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٣٦٤

.Barbara Watterson: The Egyptians (Ialamic Egypt) p. 277

(١٠٥) الكندى ، ولاة مصر ، ص ٦٢

(١٠٦) ابن حجر ، رفع الإصر عن قضاة مصر ، القاهرة ١٩٥٦، جـ ١ ، ص ٢٥٥.

وتأكيداً لمشاركة السلطة الحاكمة في مصر لأهل الذمة باعتبارهم جزءاً من المجتمع، فقد حرص مسلمة بن مخلد علي الإهتمام بالعمارة الدينية لهم فأمر النصاري ببناء كنيسة، وكانت هذه أول كنيسة تقام في مصر منذ الفتح الإسلامي، وقد قوبل هذا العمل بالمعارضة من بعض رجال الدين حيث نافره بعضهم حتى كاد أن يقع بينه وبينهم قتال، إلا أن ذلك لم يثنه عن إتمام العمل، وقد اختار للكنيسة مكاناً مناسباً بعيداً عن خطط المسلمين وقريباً من أرض القبط[١٠٧].

وقد عاش القبط في أمان ولم يتعرضوا للعسف فقد أعان مسلمة الأب أغاتو الذي خلف الأب بنيامين ضد تسلط مقدم الأرثوذكس في الإسكندرية ومريوط، كما يذكر أنه كان بسخا قوماً من النصارى يستعرضون الناس ويقتلونهم ويحرقونهم، فجمع مسلمة سبعة أساقفة وأرسلهم إلى سخا، فأجتمعوا مع واليها وأعادوا إليها الأمان[١٠٨].

لما تعددت المصالح دعت الحاجة إلي تجميع مراكز الخدمات فى مكان واحد حتي يسهل على الوالى متابعة الأعمال والإتصال بالعمال، من أجل ذلك كتب مسلمة بن مخلد الأنصارى إلى أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان يستأذنه فى شراء دار وردان مولى عمرو بن العاص التى تسمى بدار النحاس ليجعلها ديواناً، وأعطى وردان داراً عوضاً عنها بجوار سوق وردان[١٠٩]، كما أوضحنا سابقاً.

توفي مسلمة بن مخلد فى شهر رجب سنة ٦٢هـ/ ٦٨١م وترك ابنة تسمى أم سهل تزوجها أبو بكر بن عبد العزيز بن مروان ولم يعقب غيرها، وبوفاة مسلمة إنقسمت ولاية مصر وبلاد المغرب إلى ولايتين، وشهدت بلاد المغرب عهداً جديداً من الفتوحات الإسلامية التى بدأت فى عهد مسلمة حيث أن واليه على المغرب أبو المهاجر دينار هو أول مسلم وطئت خيله المغرب الأوسط. وفى نفس الوقت دخلت مصر طرفاً فى النزاع الذى قام بين عبد الله بن الزبير وبنى أمية.

---

(١٠٧) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٩٤ .
(١٠٨) ساويرس: سير الآباء البطارقة ، جمعية الآثار القبطية جـ ١ ، ص ١٢٢ ، ١٢٤ .
(١٠٩) المقريزى ، الخطط، جـ ١ ، ص ٣٤٦ .

خاتمــة

عالج البحث تاريخ مصر في فترة من أخصب فترات الحكم الأموي ، فقد أستطاع مسلمة بن مخلد أن يقر أمور الدولة في مصر طوال خمسة عشرا عاماً ، تعد أطول فترة يقضيها والي في مصر في العصر الأموي من بين اثنين وثلاثين واليا باستثناء الوالي عبد العزيز بن مروان .

ولا شك أن طول فترة حكم مسلمة لمصر مكنته من تحقيق سياسة الدولة الأموية داخليا وخارجيا ، وفرض الآمان ، وتطوير الإقتصاد ، فقد نجح مسلمة في إقرار الآمان بالتصدي لمحاولات الروم للنيل من مصر ، كما ساند الدولة بجيش مصري في فتوحاتها الخارجية ، وغير من استراتيجية الفتح الإسلامي في بلاد المغرب ، فاصبح منظماً بعد أن كان العرب يقومون بغارات خاطفة ثم يعودون إلي مصر ، ونجح أي حد بعيد في نشر الإسلام في المغرب الأوسط .

يضاف إلي ماسبق أنه اطلق يده في الإصلاح الداخلي ، فاهتم باختيار الهيئة المعاونة له ، وأكد النظم الحضارية في مصر ، وعمل علي إنعاش الإقتصاد المصري بمتابعة إصلاح الزراعة والتجارة وإنشاء جيش قوي ، وإقرار التوأمة بين عنصري الأمة من المسلمين والأقباط ، كما تابع أعمال العمارة الإسلامية والقبطية علي حد سواء .

ونتيجة لما سبق راج الآمان في مصر طول فترة حكم مسلمة ، فلم يشهد ثورة أو عصيانا مثلما حدث فيها قبل توليته أو بعد وفاته ، ويرجع ذلك إلي قوة شخصيته وبراعته في الهيمنة علي الأمور في مصر .

قائمة المصادر والمراجع

ابن الأثير : علي ابن المكرم الشيباني ت : ٦٣٠ هـ.

١ - أسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار احياء التراث العربي ، لبنان

٢ - الكامل في التاريخ ، تحقيق عبد الله القاضي دار الكتب العلمية بيرون

أودلف جروهمان :

٣ - أوراق البردي العربية ترجمة د/ حسن إبراهيم حسن طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٤م

البلاذري : يحي بن جابر (من اعيان ق ٣هـ)

٤ - فتوح البلدان مكتبة الهلال بيروت ١٩٨٣ م

ابن تغري بردي : يوسف ت ٨٧٤ هـ.

٥ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة وزارة الثقافة جـ ١

ابن حجر : أحمد بن علي العسقلاني .

٦ - رفع الإصر عن قضاة مصر ، تحقيق حامد عبد المجيد وآخرين ،و القاهرة سنة ١٩٥٦ .

ابن حزم : علي بن أحمد بن سعيد ت ٤٥٦هـ .

٧ - جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف .

دكتور / حسين مؤنس :

٨ - فتح العرب للمغرب نشر دار الثقافة الدينية

ابن خياط : خليفة

٩ - تاريخ خليفة بن خياط دار صادر الرياض ١٩٨٥

ساورس بن المقفع :

١٠ - سير الآباء البطارقة نشر جمعية الآثار القبطية القاهرة ١٩٤٣ .

دكتور / سعد زغلول عبد الحميد

١١ - تحقيق كتاب (الاستبصار في عجائب الامصار) دار الشئون الثقافية الكويت ١٩٨٥

١٢ - تاريخ المغرب العربي دار منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٧٩ .

دكتورة / سيدة إسماعيل الكاشف :

١٣ - مصر في فجر الإسلام دار الرائد العربي بيروت ١٩٨٦

السيوطي : جمال الدين : ت ٩١١ هـ

١٤ - تاريخ الخلفاء - المكتبة التجارية الكبري ، ط ١٩٦٩

١٥ - حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة

الطبري : محمد بن جرير ت ٣١٠هـ

١٦ - تاريخ الأمم والملوك تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف جـ ٦، ٧ .

ابن عبد الحكم : عبد الرحمن بن عبد الله .

١٧ - فتوح مصر وأخبارها تحقيق محمد صبيح مؤسسة دار التعاون ، عبد الرحمن فهمي محمد :

١٨ - النقود العربية ماضيها وحاضرها ، وزارة الثقافة ، ١٩٦٤.

١٩ - صنج السكة في فجر الإسلام ، دار الكتب ، ١٩٥٧

الفريد بتلر :

٢٠ - فتح العرب لمصر ، ترجمة محمد فريد أبو حديد ، مكتبة مدبولي سنة ١٩٩٦ .

ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦ هـ

٢١ - المعارف تحقيق د. ثروت عكاشة دار المعارف ط ٤

الكندي : محمد بن يوسف

٢٢ - ولاة مصر ، تحقيق د/ حسين نصار دار صار بيروت

المقريزي : أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ

٢٣ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، نشر مؤسسة الحلبي جـ ١ .

٢٤ - تاريخ اليعقوبي دار صادر بيروت ١٩٦٠ .

يوسف العش :

٢٥ - الدولة الأموية دار الفكر للنشر بدمشق طبعة ثانية ١٩٨٥

Barbara watterson:

26- The Egyptians (Islamic Egypt).

Jamil, M. A Bun-nasr

27- A History of Maghrib, London 1975.

Lane Poole (s);

28- A History of Egypt in middle ages, London 1936.

M.A. Shaban

29- Islamic History, cambridge 1971.

مجلة الدراسات الأفريقية - العدد ٢٠ (١٩٩٨) : ١٢٣ - ١٦٦

السياسة الأثيوبية تجاه أفريقيا بالتركيز على منطقتى حوض النيل والقرن الأفريقى

د / محمود أبو العينين*

تعتبر أثيوبيا من الدول الأفريقية الأكثر أهمية لمصر ، سواء بالنسبة لمكانتها الأفريقية بشكل عام ، أو بالنسبة لدورها الإقليمى ، فى منطقة القرن الأفريقى وحوض النيل ، ومن هنا تأتى أهمية دراسة السياسة الخارجية الأثيوبية على هذه المستويات .

وبوجه عام ، لا تعدو السياسية الخارجية للدولة سوى أن تكون محصلة لعوامل داخلية ، نابعة من البيئة الداخلية فى الدولة المعنية (كالعامل الجغرافى والأهمية الجيوبوليتيكية والقدرات الإقتصادية والخصائص العرقية والثقافية والدينية وطبيعة النظام السياسى . . الخ) ومحصلة ، كذلك ، لعوامل خارجية أى نابعة من البيئة الخارجية ، كالتغيرات فى طبيعة النظم الدولية وحركة التفاعلات الإقليمية وغيرها .

وفى أثيوبيا ، تتجه هذه العوامل الحاكمة عموماً ، أما إلى تقوية دور الدولة الإقليمية وفاعلية سياستها الخارجية عموماً ، أو على العكس ، إضعاف دورها والتأثير سلباً على مكانتها الإقليمية والدولية فى بعض الأحيان والمواقف ، بل وجعلها عرضة للتأثير باعتبارها مفعولا به أكثر من كونها فاعلاً فى العلاقات الدولية .

وسوف يتبين ذلك ، من خلال هذه الدراسة ، وذلك من خلال التركيز على المحاور الآتية : -

---

* قسم النظم السياسية والإقتصادية معهد البحوث والدراسات الأفريقية .

أولاً : محددات السياسة الأثيوبية تجاه أفريقيا والمنطقة - الثوابت والمتغيرات.

ثانياً : تطور السياسة الأثيوبية تجاه قضايا أفريقيا ودول حوض النيل والقرن الأفريقى فى التسعينيات .

ثالثاً : السياسة الأثيوبية والتجمعات الإقليمية فى المنطقة .

أولاً : محددات السياسة الأثيوبية تجاه أفريقيا والمنطقة - الثوابت والمتغيرات

إذا أخذنا فى الإعتبار أبرز العوامل الحاكمة لسياسة أثيوبيا الخارجية ، كما يحددها دارسوا السياسة الخارجية ، فإننا سنجد أن الوضع الجيوبوليتيكى والإعتبارات التاريخية والدينية والخصائص العرقية والثقافية والقدرات الإقتصادية وطبيعية النظام السياسى، والضغوط الإقليمية والدولية المصاحبة لتغير النظام الدولى، تعتبر من أهم العوامل والمحددات المؤثرة فى سياسة أثيوبيا الخارجية . حيث مارست هذه العوامل ، وما زالت ، رغم حدوث متغيرات عديدة على بعضها ، مارست تأثيراً واضحاً على السياسة الخارجية الأثيوبية بصفة عامة ، وعلى سياستها الأفريقية وتجاه منطقة حوض النيل والقرن الأفريقى بصفة خاصة . وفيما يلى شرح موجز لدور هذه العوامل ؟

١ - الوضع الجيوبوليتيكى - بين الثبات والتغير:

تأثر الوضع الجيوبوليتيكى لإثيوبيا ، التى تبلغ مساحتها ١٦ر١ مليون كم^{2}، بشكل حاد من فترة لأخرى ، خاصة وأنها تعد أكثر دول حوض النيل الأعلى أهمية كما أنها تعد دولة رئيسية بل مركزية – فى منطقة القرن الأفريقى وشرق أفريقيا ، كما كانت تعد إلى أن استقلت إريتريا عام ٩٣ ، أحد دول جنوب البحر الأحمر الهامة والمتحكمة فى مضيق باب المندب وجوارها البحرى لدول الخليج كالسعودية ، وكذلك

اليمن ، ومن ثم كان وضعها الجيوبولتيكى ، بهذا الوصف يؤهلها لأن تكون أكثر البلاد الأفريقية أهمية بعد مصر مباشرة ومن هنا كانت تحظى بثل دولى له اعتباره من قبل الدول الكبرى ، خاصة فى فترات الصراع بين الشرق والغرب إبان الحرب الباردة ، كما كانت تستأثر بمكانة إقليمية يعتد بها على مستوى أفريقيا والقرن الأفريقى هذا إضافة لمكانتها فى إطار الدائرة النيلية بطبيعة الحال .

ولعل أكبر عامل مؤثر فى أهمية الوضع الجيوبولتيكى لاثيوبيا يتلخص فى ضم الإمبراطورية الإثيوية لارتيريا عام ١٩٥٢ ، ثم خروجها مستقلة بعد حروب تحرير طويلة عام ١٩٩٣ . فقبل هذا التاريخ ، أى قبل ١٩٥٢ كانت أثيوبيا دولة حبيسة ، ورغم الحرب الطويلة التى خاضتها أثيوبيا مع حركات التحرير الاريترية منذ أوائل الستينيات ، إلا أنها تمتعت بالسيطرة على جزء من ساحل البحر الأحمر يناهز الألف كيلو متر ، وانتفعت بالجزر الكثيفة والموانى الهامة على هذا الساحل (عصب ومصوع) و جزر (وهلك ، حالب وفاطمة .. الخ) مما جعلها محوراً هاماً فى معادلة الصراع العربى الأسرائيلى من جهة ، وعاملاً أساسياً فى الإستقرار فى جنوب البحر الأحمر وشرق أفريقيا ، فضلاً عن أهميتها بالنسبة لاستقرار وتأمين تجارة البترول عبر البحر الأحمر . تلك الأهمية ، بالتحديد ، فقدتها أثيوبيا ، على الأرجح ، حيث تحولت لصالح إريتريا المستقلة فى التسعينيات ، هذا مع أن أثيوبيا لها حق فى استخدام الموانى البحرية الإريترية طبقاً للاتفاقيات المبرمة بين الجانبين قبيل الإستقلال .

لكن تظل لاثيوبيا مكانتها الجيوبوليتيكية النابعة من كونها تشغل الحيز الإقليمى الذى يتدفق منه الجزء الأعظم من مياه النيل الواردة لكل من مصر والسودان، حيث تصل مصر نسبة ٨٥٪ من حصتها المائية من مياه الهضبة الإثيوبية، ومن ثم تمثل اثيوبيا مكانة خاصةلدى دولتى وادى النيل .

ومن جهة أخرى ، أدت التطورات المعاصرة إلى أن أصبحت أثيوبيا دولة داخلية تقع فى قلب منطقة حوض النيل ، وفى قلب منطقة القرن الافريقى (بالمفهوم الواسع)

حيث تحيط بها ٥ وحدات سياسية من جميع الجهات ، إذ يحدها السودان من الغرب والشمال الغربى بحدود تصل إلى ١٣٨٨ كيلو متر (بعد استقلال اريتريا) ، تحدها كينيا من الجنوب بحدود تبلغ نحو ٧٨٠كم ، الصومال من الجنوب الشرقى بطول حدود يبلغ ١٦٠٠ كم ، جيبوتى من الشرق بحدود تبلغ ٣٣٧كم ، إريتريا من الشمال الشرقى بحدود تبلغ نحو ٩١٢كم ، بهذا تبلغ حدود اثيوبيا الدولية أكثر من ٦ آلاف كيلو مترا من الحدود الدولية ، كما يلاحظ إنقسام دول المحيط الاثيوبى بين أطراف عربية (السودان والصومال وجيبوتى) بطول حدود يبلغ ٤٢٨٠كم ، أى أكثر من ٦٥٪ من الطول الإجمالى للبلاد ، وأطراف أفريقية نيلية (اريتريا - كينيا) تستحوذ على النسبة الباقية[١].

ولعل هذه المعادلة الحدودية تظهر مدى تداخل الإقليم الإثيوبى أساساً مع مناطق وأقاليم عربية ، ومن ثم تأثره بالتفاعلات التى تجرى فى المنطقة العربية ، ربما أكثر مما يجرى داخل المنطقة الأفريقية ومن جهة أخرى ، تميز الإقليم الأثيوبى جغرافيا بميزة الحصون الجبلية المرتفعة حيث الهضبة الاثيوبية ، ذات الجبال الوعرة والمنخفضات الشديدة والأودية والأخاديد السحيقة ، كل ذلك وغيره ساهم فى الحماية الطبيعية للجماعات الاثيوبية ضد محاولات الغزو الخارجى لحقب طويلة من التاريخ ، وساهم من ناحية أخرى فى استحالة قيام حكومة مركزية أو دولة موحدة تستطيع بسط سيطرتها وحكمها على جميع أقاليم الدولة ، الا فى أحوال نادرة .

٢ - الإعتبارات التاريخية والدينية

يشعر الأثيوبيون بأن لهم تاريخ عريق وأنهم من أقدم شعوب منطقة القرن الأفريقى، والمرجح أن أصولهم ترجع إلى الجنس الحامى « النيلوتى » حيث أقاموا مع المصريين القدماء علاقات تجارية فى فترات قديمة تعود الى ما قبل الميلاد بقرون عديدة. وقد بدأ تاريخ المنطقة بدايته شبه المعروف مع هجرة قبائل مختلفة من جنوب شبه الجزيرة العربية قبل القرن الأول الميلادى[٢]. ، حيث اختلطت بالسكان الأصليين ،

وكان من نتيجة الإختلاط ظهور اللغة الجعزية من جهة ، وتأسيس أول مملكة ذات شأن فى أقصى شمال الهضبة ، تعرف باسم « مملكة اكسوم » والتى استمرت بسكانها الساميون والحاميون نحو سبعة قرون ونيف فى المنطقة التى تسكنها الآن تقريباً جماعة التجراى فى اريتريا واثيوبيا . وقد دخلتها الديانة المسيحية فى القرن الرابع الميلادى . وفى مرحلة أخرى عرفت المنطقة باسم « الحبشة » فى العصور الوسطى خاصة ، حيث أطلق العرب عليها هذه التسمية، وشاعت خاصة بعد اكسوم ، وتشير التسمية الى العلاقة الوثيقة بين الاسم وبين بعض القبائل العربية ، « قبيلة حبشات » ، والتى هاجرت من جنوب الجزيرة العربية الى المنطقة بعد الجعزيين والحميريين(٣) . أما لفظ أثيوبيا ، فمع وجود إشارات قديمة لاستخدامه، فقط أطلقه ملوك الأسرة السليمانية (منذ يكونو أملاك ١٢٧٠م) ليضفى على المملكة شرعية دينية ، استناداً الى القصة الأسطورية التى تنسب الإثيوبيين الى اثيوبيس بن حام بن نوح . ورغم وجود وثائق تاريخية تثبت استخدام الاسم فى المراسلات الرسمية خاصة بين مينليك الثانى مؤسس الدولة الحديثة وبين ملوك أوربا ، إلا ان التسمية «أثيوبيا » أصبحت معروفة فى القرن العشرين ، واستخدمت بشكل رسمى منذ تحرير البلاد من الإحتلال الإيطالى ، وعودة الإمبراطور هيلاسلاسي من منفاه عام ١٩٤١(٤).

وقد أسفر هذا التاريخ الطويل للكيان الأثيوبى ، بمسمياته وجماعاته المختلفة عن بعدين رئيسيين لهما تأثيرهما فى السياسة الخارجية الأثيوبية بوجه عام ، وتجاه المنطقة بوجه خاص :

البعد الأول : يتمثل فيما تركته الخبرة التاريخية والإنطباع الذى أخذه الأثيوبيون عن أنفسهم وعن أعدائهم باعتبارهم شعب مسيحى محاصر تحيط به دول وشعوب معادية وأنهم يعيشون على أطراف منطقة مضطربة بشكل دائم ، وأنهم هم وجيرانهم الأفارقة يشعرون بحساسية شديدة ، سواء بالنسبة للجانب الأمنى لدولتهم

علي وجه العموم ووحدتهم الوطنية بصفة خاصة ، وقد عبر الأمبراطور هيلاسلان عن ذلك بالنص فى احدى زياراته لواشنطن(٥). أما البعد الثانى فيتمثل فى العامل الدينى ، الذى بدأ يترك أثاره السلبية على السلوك السياسى ، الداخلى والخارجى ، لأثيوبيا منذ انتشار الإسلام فى شرق أفريقيا والمواجهات العسكرية بين المسلمين والمسيحيين فى بعض الفترات ، خاصة محاولات الإمام أحمد بن إبراهيم جران فى القرن الـ ١٩ ، لذلك لا تنس ذاكرة الاثيوبيين الخطورة التى قد يمثلها الإسلام على مستقبل أثيوبيا(٦). ، كدولة مسيحية ، أو معروف عنها أنها مسيحية، رغم ما فى هذه الحقيقة من مبالغة . وقد أثبت استقلال اريتريا كدولة علمانية ، لم يفرض عليها العرب أى قدر من الضغوط لإملاء اختياراتها فى المفاصلة بين العروبة أو الأفريقانية ، أثبت مدى المبالغة الأثيوبية فى المخاوف من الحيط العرب الإسلامى ، لكن أن الخبرة التاريخية تلعب دوراً مهما فى هذا الصدد .

٣ - التعددية العرقية والثقافية :-

تتميز اثيوبيا بتعددية عرقية وثقافية بشكل واضح، بل أنها من أبرز دول القارة التى تنتشر فيها التعددية انتشارا واسع النطاق ، الى الدرجة التى يصفها البعض بأنها بمثابة « متحف للقوميات والأعراق والثقافات ، وهو الأمر الذى كان له تأثيره البالغ على كافة جوانب الحياة السياسية الداخلية والخارجية ففي أثيوبيا نحوي من الجماعات العرقية التي تتحدث من اللغات واللهجات ماينا هز ١٤٠ لغة ولهجة ، لكن الجماعات العرقية تختلف فى عددها ومكانتها وأماكن انتشارها ووزنها السياسى داخل الدولة والنظام(٧).

وتعتبر كل من جماعة الأمهرا (٢٥٪ من جملة السكان ، ٨٢٪ ميسحين ، ١٨٪ مسلمين) والأورومو (٤٠ - ٥٠٪ من جملة السكان ، ٧٠٪ مسلمين ، ٢٠٪ الباقى ديانات أخرى) والتيجراى (نحو ٨٪ من السكان - ١٦٪ مسلمين - ٨٤٪ ميسحين) هؤلاء من أبرز وأهم الجماعات الأثيوبية أضلاع المثلث البارز ، غير المتساوى بطبيعة الحال .

وقد تحددت خريطة الحياة السياسية فى أغلب فترات الأثيوبى الحديث ، وما زالت، وفقا لنتائج الصراع بين هذه الجماعات الثلاثة الرئيسية .

وهناك ، الى جانب ذلك ، تأتى جماعات لها وزن ثانوى الأهمية ، كالصوماليين (فى إقليم الأوجادين حوالى ٢٪ من السكان كلهم مسلمون)، والعفر الإثيوبيين نصف فى المائة ، كلهم مسلمون، والجوارج ، والسيداما ، وولايتا ، هاديا وغيرها (٥٥ - ٦٠) مسلمون ، والباقى مسيحيون ونسبة قليلة ديانات تقليدية(٨) .

وقد أدت الخصائص العرقية ، من تعدية دينية وثقافية وتداخلات وتركزات سكانية إلى غير ذلك ، إلى صراعات داخلية حقيقية مستمرة ، وكامنة ، وجعل من الممكن تعريض كيان الدولة للتفكك ، ووحدتها الوطنية للتجزئة ، ونظامها السياسى للإنهيار ، وقد حدث هذا بالفعل أكثر من مرة ، فقد كانت الصراعات العرقية وراء انهيار النظام السياسى فى العهد الإمبراطورى ١٩٧٤ ، والعهد الماركسى اللينينى ١٩٩١(٩).ومن الممكن أن يحدث نفس الشىء فى أى وقت طالما اختلت التوازنات الداخلية بين الجماعات خاصة فى إطار النظام الديمقراطى الفيدرالى الجديد وتسلطت إحداها على الثروة والسلطة ، ووجدت الجماعات عونا خارجياً مؤثراً .

٤ - القدرات والإمكانات الإقتصادية : -

تعتبر أثيوبيا من الدول الأقل نموا « فى العالم من الناحية الإقتصادية ، وذلك بسبب التخلف وعدم الإستقرار السياسى والحروب الأهلية واحتكار الدولة لملكية الأراضى الزراعية والمشروعات خاصة فى ظل الحكم الإمبراطورى السابق ، أو في ظل الحكم الشمولى أبان النظام الماركسى الذى إنهار عام ١٩٩١ . وفى بداية التسعينيات كانت إحصاءات البنك الدولى تضع أثيوبيا ضمن القائمة التى تضم تنزانيا والصومال من حيث مستوى المعيشة ، سواء الخدمات الطبية (حيث طبيب لكل ٧٩ ألف مواطن) أو من حيث معدلات المواليد والوفيات أو من حيث السعرات الحرارية المتاحة لكل فرد ، أو كذلك من حيث المواد الأولية فى الصادرات الإجمالية .. ألخ.

أما ، مع تقدم سنوات التسعينيات فقد بدأت تظهر منذ عام ٩٢ فصاعدا بعض الملامح الإيجابية على النشاط الإقتصادى الإثيوبي ، حيث اتبعت أثيوبيا برنامجا للإصلاح الإقتصادى مع كل من صندوق النقد الدولى والبنك الدولى ترتب عليه إتخاذ إجراءات للحد من التضخم، وتخفيض قيمة العملة (البر) إلى الحد الذى أصبحت فيه قيمة العملة تساوى قيمتها الحقيقية فى السوق (٦ر٢ بر لكل دولار عام ١٩٩٤)، كما أستطاعت أثيوبيا تخفيض العجز فى الموازنة العامة للدولة ، وإستفادت من الدول المانحة التى قامت بإلغاء بعض الديون والتعامل معها على أساس خطة للتنمية ذات أولويات محددة تركز على قطاع الزراعة والتصنيع الزراعى ، بعد أن كانت تتعامل معها على أساس تقديم المعونات الإنسانية فقط(١٠).

ومن هنا، بدأت تبدو نتيجة لهذا الإصلاحات، بعض الآثار الإيجابية على القدرة الإقتصادية الأثيوبية بصفة عامة . فاثيوبيا التى يبلغ عدد سكانها ما يربو على ٥٠ مليون نسمة (بعض المصادر تصل بالرقم نحو ٥٧ مليون عام ١٩٩٥، أو ٦٠ مليون عام ٢٠٠٠) وإجمالى الناتج المحلى بها عام ١٩٩٢ نحو ٦ر٦ مليار دولار ، ومتوسط نصيب الفرد من الدخل سنويا يبلغ ١٣٠ دولارا ، بدأت تحقق معدلات نمو تترواح ما بين ٨ر٥ ٪ - ٥ر٧ ٪ فى السنوات الأخيرة(١١). غير أن الإشارة واجبة أيضا إلى أن هذه الملامح الإيجابية النسبية المحققة، يحد منها دائما معدلات النمو السكانى المرتفعة (حتى بالمقاييس الأفريقية) إذ تصل فى أثيوبيا إلى نحو ٣ر٣ ٪، وهذا معناه أنه إذا أستمر المعدل ثابتا، سيبلغ سكان أثيوبيا نحو ١٣٠ مليون نسمة عام ٢٠٢٥ م(١٢)، مما يشكل ضغطا كبيرا على الموارد المحدودة ، ويخلق فرصا أكبر للأزمات الداخلية ، وطلب أكبر على الموارد المائية لأغراض الزراعة والتنمية مما يولد إمكانيات متزايدة للتنافس على موارد المياه من نهر النيل مع الدول المجاورة وخاصة مصر والسوادن.

٥ - طبيعة النظام السياسى الأثيوبى:

فى ظل النظام الإمبراطورى السابق ، تمتع الإمبراطور بوضعية الشخص المحورى فى صنع السياسة الخارجية الأثيوبية، وساهمت شخصيته فى بناء علاقات قوية مع

الدول الكبرى ، والولايات المتحدة بصفة خاصة ، وكذلك مع الدول الأفريقية بشكل عام وبدون تمييز بينها على أساس طبيعة النظام الحاكم .

كما أدى وجود الأمبراطور فى السلطة والحياة العامة الأثيوبية لمدة تربو على ٥٠ عاما إلى جعله شخصية أفريقية لها إحترامها على الصعيد الداخلى والخارجى . وقد إستفادت أثيوبيا حتى فى ظل النظام الماركسى بهذه المكانة التى أسسها الإمبراطور ، رغم تصفية النفوذ الأمريكى فى أثيوبيا والإتجاه نحو الإتحاد السوفيتى (سابقاً) كحليف إستراتيجى للنظام(١٣).

أما الحكم الجديد ، الذي أعقب إنهيار النظام الماركسي ١٩٩١، فقد تبين فكراً جديداً ونظاماً جديدا للحكم ، يعتبر إلى حد كبير بمثابة قفزة فى نزعته الليبرالية وتوجهاته الديمقراطية ، الأمر الذى يترك أثرا لا شك فيه على السياسة الخارجية للنظام.

فقد تبنى الدستور الأثيوبى الجديد (الصادر فى ٨ ديسمبر ١٩٩٤) نظاما سياسيا برلمانيا يتولى فيه رئيس الوزراء السلطة التنفيذية ، ويتم إختياره من حزب الأغلبية ، كما يتولى أيضا منصب القائد الأعلى للقوات المسلحة . كما أخذ الدستور الجديد بالنظام الفيدرالى ـ على أساس عرقى ـ حيث قسمت الدولة إلى ٩ ولايات على هذا النحو العرقى كالآتى:

ولاية التيجراى ، العفر ، الأمهرة ، الأورومو ، الصومال ، بنى شنجول ، شعب الجنوب ، شعب جامبيلا ، وهرر ، وتعتبر أديس أبابا العاصمة ذات وضع إدارى خاص . وقد تبنى الدستور مفهوم حق تقرير المصير للقوميات والجماعات والشعوب ، بما فيها الحق فى الإنفصال وفقا لإجراءات دستورية وقانونية معينة ، الأمر الذى أثار جدلا واسعا بخصوص إمكانية تقويض أركان الدولة . كما نص الدستور على مبدأ علمانية الدولة ، بحيث تم الفصل بين الدين والدولة وإقرار عدم وجود دين رسمى فى أثيوبيا والفصل بين الدين والسياسة فيها ، هذا مع ملاحظة الإبقاء على الاعتراف بالمحاكم

الشرعية الإسلامية القائمة . وفضلا عن ذلك ، تبنى الدستور نظام المجلسين النيابيين، حيث هناك مجلس لممثلى الشعب ، ويتم إنتخاب أعضائه كل ٥ سنوات إنتخابا مباشرا، ويتمتع المجلس بصلاحيات السلطة التشريعية ، أما المجلس الآخر فهو المجلس الفيدرالى الذى يضم ممثلين عن كل ولاية تتمثل صلاحياته الأساسية فى مجال تفسير الدستور والتحكيم بين الولايات(١٤) وتتشكل الساحة السياسية فى أثيوبيا من الجبهة الحاكمة وهى «الجبهة الثورية الديمقراطية للشعوب الأثيوبية» EPRDF، التى تتألف من عدة أحزاب أهمها الجبهة الشعبية لتحرير تيجراى TPLE التى ينتمى إليها رئيس الوزراء ميليس زيناوى ، ووزير الخارجية ميسفين، وقد حصلت الجهة فى آخر إنتخابات ديسمبر ٩٥ على أغلبية ساحقة فى البرلمان (٤٩٣ صوتا من إجمالى المقاعد وقدره ٥٤٧ فقط) ، كما حصلت على ٨ حقائب وزارية من ضمن ١٧ حقيبة ، منها حقيبة رئيس الوزراء(١٥).

وفى مواجهة هذه الجبهة تقف قوى معارضة كثيرة ، سواء من يعمل منها داخل الإطار السياسى القائم ، الذى وضعته الجبهة ، ومنها من يعمل خارج هذا الإطار ويرفض التعاون ، مثل جبهة الأورومو OLF وحزب عموم شعب الأمهرة AAPO ومجلس القوى البديلة للسلام والديمقراطية وحزب الخلاص MEDHSN ، وجميعها يطالب بتعديل الدستور وتشكيل جيش وطنى وتعيين مجلس انتقالى جديد ، وهى مطالب لم تستجب لها الجبهة . وهناك كذلك معارضة قوية من جانب الجبهة الوطنية لتحرير الأوجادين ONLF التى تطالب بالانفصال عن اثيوبيا بتأثير من جماعات إسلامية متشددة أعضاء فى حزب الاتحاد الإسلامى الصومالى ، غير أن د. عبد المجيد حسين ، وهو وزير التعاون الاقتصادى الخارجى (من أصل صومالى) قام بتكوين رابطة تجمع التنظيمات السياسية فى الإقليم الخامس الذى يضم الأوجادين ، وذلك فى محاولة لعزل جهة الـ ONLF .(١٦)

هكذا ، وفى ظل نظام بهذه الخصائص ، يصبح الإجماع على مبادئ عامة ، أو الاجماع حول اتخاذ القرارات فى الشئون الخارجية ، أمرا أكثر صعوبة عما كان عليه الحال فى الأنظمة السابقة ، كما تستحوذ المشاحنات والمنافسات الداخلية على الجهد

الأكبر للحكومة فى أغلب الأحوال ، الأمر الذى يؤثر على امكانيات قيام اثيوبيا بدور بارز فى النطاق الإقليمى أو الكارى كما كان الحال إبان حكم الإمبراطور مثلا . ومع هذا ، سيظل النظام قادرا على الاستمرار طالما ظلت الجهة الحاكمة قادرة على التماسك ومواجهة الأزمات الداخلية ، وفى هذه الحالة يصبح النموذج الاثيوبى فى الحكم نموذجا بارزا لادارة الصراعات العرقية ، وتعميق المشاركة السياسية بالنسبة للدول الافريقية ، وخاصة فى منطقة القرن الأفريقى ، وهو ما يعنى إمكانيات أكبر وفرصي أعظم فى تنمية الروابط والعلاقات مع قوى التغيير فى أفريقيا ، والقوى الغربية الكبرى فى عالم ما بعد الحرب الباردة .

٦ - التغير فى النظام الدولى والبيئة الإقليمية :-

يعتبر النظام الدولى ، والعالم الخارجى عموما ، أحد أهم المحددات الرئيسية للسياسة الخارجية الأثيوبية ، ومصدرا مهما اعتمدت عليه أثيوبيا فى العصر الحديث لتعزيز استقلالها وحمايتها من الاعتداءات الخارجية والحفاظ على وحدة وسلامة أراضيها وتنمية اقتصادها ومواردها . وقد تلاقت هذه الرغبة عادة مع مصالح القوى الكبرى غالبا . فأثيوبيا اعتبرت نفسها ، بحكم موقعها وخصائصها الثقافية والدينية ، محل ضغوط إقليمية ودولية ، وموضوعا للهجوم من قبل الفاعلين المختلفين خاصة أولئك المحيطين بها ، أو أى منهم بما فيهم مصر وتركيا وإيطاليا وبريطانيا والسودان والدول العربية كالصومال وليبيا وغيرهم . ومن ثم تطلعت أثيوبيا دائما إلى الارتباط بقوة عظمى ، كالولايات المتحدة التى أقامت معها تحالفا منذ انتهاء الحرب الباردة للتخلص من الضغوط البريطانية حيث شارك الإمبراطور فى الحرب الكورية، وفى مقابل ذلك كان الدور الأمريكى ملحوظا فى إصدار الجمعية العامة للقرار الفيدرالى الذى ربط اريتريا فيدراليا تحت سيادة التاج الاثيوبى أو وصول اثيوبيا للتحرر، وتعزز التحالف بمنح تسهيلات مهمة للولايات المتحدة قرب أسمرة (قاعدة كاجنيو للاتصالات).

وفيما بعد ثورة ١٩٧٤ ، نشأ، تدريجيا التحالف الأثيوبى مع الاتحاد السوفيتى، خاصة فى ظل نظام مانجستو الماركسى (١٩٧٧ ، فصاعدا) والذى مكن الدولة الأثيوبية من الحفاظ بالقوة على وحدتها وتكاملها إزاء تنامى الثورات الداخلية والثورة الإريترية والصراع مع الصومال .

وفى بداية التسعينيات قوت الروابط مع الولايات المتحدة والقوى الغربية مرة أخرى ، الأمر الذى مكن الثوار من استلام السلطة فى اديس ابابا ، والحيلولة دون قيام حرب أهلية مدمرة تقضى على البلاد ، كما سهل الامريكيون استلام الثوار للسلطة فى أسمرة على نحو مماثل .

ومن ناحية أخرى ، وفى نفس السياق، كانت تتنامى العلاقات والروابط الخاصة مع إسرائيل ، بهدف إيجاد قدر من التوازن مع القوى العربية ، خاصة بعد تصاعد مد القومية العربية فى الستينات .

ثانياً : تطور السياسة الأثيوبية تجاه دول حوض النيل والقرن الأفريقى فى التسعينيات

رغم أن أثيوبيا ظلت شبه منعزلة عن الشئون الأفريقية حتى متنصف الخمسينيات، إلا أن التطورات التى حدثت على مستوى القارة منذ ذلك الحين دفعت الاثيوبيين للقيام بدور هام على هذا المستوى ، ومن أهم تلك التطورات ، انعقاد مؤتمر باندونج ، واستقلال العديد من دول القارة ، واختيار الأمم المتحدة لأديس أبابا مقرا للجنة الاقتصادية لإفريقيا عام ١٩٥٧ ، ومبادرة الإمبراطور الإثيوبى السابق بدعوة رؤساء دول وحكومات أفريقيا لمؤتمر يعقد فى أديس أبابا لبحث مسألة الوحدة الأفريقية . وهى المبادرة التى تمخضت عن تأسيس «منظمة الوحدة الافريقية» فى مايو ١٩٦٣ ، فى أديس أبابا ، تلك العاصمة التى أصبحت بمثابة عاصمة لإفريقيا ، حيث ساهمت شخصية الإمبراطور «المعتدلة» وسط التناقضات الأفريقية الايديولوجية ، فضلا عن أهمية اثيوبيا ذاتها فى المنطقة ، والتسهيلات التى وفرتها شركة الخطوط الجوية

الإثيوبية عبر القارة ، عوامل ساهمت فى ترسيخ وتعزيز الدور الأثيوبى للسياسات الأفريقية بوجه عام .

غير أن هذه المكانة تعرضت للتآكل شيئا فشيئا مع سنوات حكم الماركسيين لإثيوبيا ، حيث أنهار النظام وانتهت الدولة واستقلت إريتريا ، ولم يعد الأفارقة ينظرون لاثيوبيا بنفس النظرة القديمة . فالنخبة الحاكمة الجديدة فس سنوات التسعينات تسعى جاهدة لاستئناف الدور الاثيوبى القيادى على المستوى الأفريقى العام ، وبحثا كذلك عن دور إقليمى مهيمن على المستوى الاقليمى الفرعى (سواء فى القرن الافريقى أو على مستوى منظمة الإيجاد) كما تسعى اثيوبيا لتطوير علاقاتها وروابطها مع النظم الجديدة فى أفريقيا وقادتها الجدد المرتبطين بروابط خاصة مع الولايات المتحدة ، وتحاول تقديم نموذجها فى الديمقراطية والتنمية باعتباره مثلا يحتذى على مستوى القارة . غير أن هذه التوجهات تعترضها عقبات ومصاعب ليست هينة ، وهو ما يتضح من خلال عرضنا لتطور السياسة الأثيوبية على النحو الآتى :

١ - أثيوبيا ومصر:

منذ أن استتب الآمر لنظام الحكم الجديد فى أثيوبيا ، وأصبح الاستقلال أمرا واقعا لإريتريا ، يمكن القول أن مرحلة جديدة فى سياسة اثيوبيا تجاه مصر قد بدأت، حيث دارت موضوعاتها وقضاياها الرئيسية حول إمكانيات التعاون فى السياسات المائية لنهر النيل ، والدور الإقليميى فى حل النزاعات وقضايا التعاون الثنائى التقيدية المعتادة بما فيها قضايا العلاقات الكنسية والدينية كما يلي.

(أ) فعلى مستوى التعاون المائى : وقع رئيس الوزراء الاثيوبى ميليس زيناوى مع الرئيس مبارك «اتفاقية اطارية» فى الأول من يوليو ١٩٩٣ بالقاهرة ، انظوت على مبادئ عامة تؤكد عزم البلدين على دعم أواصر الصداقة وتعزيز التعاون فى كافة

المجالات . ومن أهم ما جاء بالاتفاقية ، تلك المواد التى تتعلق بمياه النيل ، حيث اتفق الطرفان على أن يتم تناول موضوع استخدام مياه النيل من خلال مباحثات الخبراء من الطرفين وذلك على أساس قواعد القانون الدولى (م٤) ، وأنه يتعين على أى طرف الامتناع عن أى نشاط يتعلق بمياء النيل قد يؤدى إلى أحداث ضرر مْلموس بمصالح الطرف الآخر(م ٥)، والتشاور السياسى والتعاون فى المشروعات ذات الفائدة المتبادلة والتى تزيد من حجم التدفق وتقليل الفاقد من مياه النيل وذلك من خلال خطط تنمية شاملة ومتكافئة (م ٦) ، وأن ينشئ الطرفان أليه مناسبة للمشاورات الدورية حول الموضوعات ذات الإهتمام المتبادل ، بما فى ذلك مياه النيل (م ٧) ، والعمل نحو التوصل إلى اطار للتعاون الفعال بين دول حوض النيل(١٧) وكان من نتيجة هذا التطور أن أجتمعت مجموعة من الخبراء المصريين والأثيوبيين المتخصصين فى مجال مياه النيل عدة مرات ، كما تم تبادل الزيارات بين وزير الأشغال والموارد المائية المصرى ووزير الموارد الصبيعية الأثيوبى أيضاً ، عدة مرات ، الأمر الذى أسهم فى خلق مناخ من التفاهم المشترك حول جوانب مختلفة من العلاقات الثنائية ، بما فيها مياه النيل .(١٨)

غير أن التقدم فى هذا الأتجاه قد توقف تقريباً ، بل إن الأمر دخل، من الجانب الأثيوبى، مرحلة العمل المنفرد ، ضارباً عرض الحائط بمبدأ التشاور المسبق بالنسبة للمشروعات التى شرع الأثيوبيون فى إقامتها على روافد نهر النيل .

فبعد أن نفذت أثيوبيا فى التسعينات محطة لتوليد الكهرباء (Tis-Issat) على بعد ٢٥كم من النيل الأزرق عند منبعه من بحيرة تانا ، وسد فينشا على مسافة ١٦٥كم شمال غرب أديس أبابا (على نهر فينشا أحد روافد النيل الأزرق) ، هذا فضلاً عن مشروعين صغيرين على الأنهار الداخلية هما سد بلبلا على نهر الأرض يروى ألفى هكتار ، ومشروع آخر للطاقة الحرارية تموله الجماعة الأوربية . بعد هذا ، بدأت أثيوبيا فى عام ١٩٩٧ بتنفيذ بعض المشروعات ، منها مشروع على نهر

السوباط ومشروعان آخران (بليس الأعلى وبليس الأوسط) اللذان يتم تنفيذهما بمعونة إيطالية ، بغرض إسطلاح نحو ٢٥ ألف فدان . ثم أعلنت أثيوبيا في يونيو ٩٧ عن مشروع جديد لتوليد الطاقة الكهربائية من شلالات تيس أباى على منبع النيل الأزرق، تقوم شركة هندسية فرنسية بدراسة الأولية. كما وافق البرلمان الأثيوبى على بناء سدين آخرين ، أحداهما على النيل الأزرق، والآخر علي أحد فروعة (نهر دابوس) وذلك لأغراض الزراعة وتوليد الطاقة(١٩)، وقد وافق البنك الدولى على تمويل هذين المشروعين والآخرين ، مع أخطار مصر والسودان بهما حيث من المقدر أن يقتطعا من حصة البلدين نحو ١٨٠ مليون متر مكعب سنوياً ، وعموماً فإن أثيوبيا لم تخطر مصر رسمياً بهذه المشروعات ، كما لم تستجسب مصر لطلب البنك الدولى ، حيث تعتبر الموافقة ، بهذا الشأن ، سابقة لها ما بعدها ، خاصا اذا ما علمنا أن في جعبة الأثيوبيين عددا كبيرا من المشروعات (٢٦ مشروعاً أعدها مكتب أستصلاح الأراضى الأمريكى منذ الستينيات أبان معركة بناء السد العالى هذا فضلا عن عدد آخر من المشروعات الجديدة) (٢٠). وقد ترى مصر أن تعترض على هذه المشروعات وغيرها أو تؤجل الموافقة إلى حين يتم التوصل لأتفاق شامل بين البلدين حول قضايا الأنتفاع من مياه النيل ، وربما يكون ضرورياً تحذير الجانب الأثيوبى من إقامة أى مشروعات آخرى، لما لذلك من أثر مدمر للعلاقات الثنائية والسلام فى المنطقة بوجه عام .

والواقع أن أثيوبيا، التى لم تعترف بإتفاقيتى ١٩٢٩ ، وإتفاقية ١٩٥٩ ، ولم تنضم كذلك لمجموعة الأنوجو الذى تجمد ، إلا كمراقب عام ١٩٩١ ، بدأت تأخذ مسألة المياه بجدية شديدة واهتمام كامل ، بإعتبار ها مسألة استراتيجية كما قال ميليس زيناوى مؤخرا ، ٧ أبريل ١٩٩٨ ، حيث يرى الجانب الأثيوبى أنه ينبغى التواصل للتفاهم المشترك من أجل تحقيق المنافع والمصالح المشتركة لكلا البلدين ، وأن أثيوبيا تطالب بنصيب عادل من المياه ، بإعتبار النيل ثروة مشتركة .ويذهب رئيس الوزراء الأثيوبى إلى أن الأمر قد تجاوز مرحلة اللجنة التقنية التى أنشأها الجانبان ،

إذطالما أنشأت مصر مشروعات بشكل منفرد كمشروع توشكى وغيره فإن من مصلحة أثيوبيا إقامة مشروعات بشكل منفرد أيضاً . وقد أوضح زيناوى أن المحاولات المصرية كانت تقوم على افتراض ان الأثيوبين لن يستطيعوا تنفيذ مشروعاتهم ، بسبب عملية التمويل التى يمكن للجانب المصرى التأثير عليها ، غير أن أثيوبيا ستتمكن من تنفيذ مشروعاتها الذاتية وبقدراتها الخاصة .(٢١)

معنى هنا أن الجانب الأثيوبى كان يصر على المضى قدمها فى سياسة العمل المنفرد بالنسبة لمياه النيل ، آيا كانت النتائج لحين قيام نظام جديد لحوض النيل يتم فى أطاره الاعتراف لأثيوبيا بحصة عادلة ومناسبة . وعموماً فقد تراخى هذا الموقف الأثيوبى قليلاً بعد مايو ١٩٩٨ ، على أثر الحرب الإريترية الأثيوبية .

(ب) الدور الإقليمى فى حل الصراعات : منذ عام ١٩٩١ فصاعدا ، بدأت تلوح فى الأفق تدريجيا بعض الأسس والتوجهات الإقليمية للسياسة الأثيوبية على ضوء الحقائق والمتغيرات الجديدة. هذه الأسس والتوجهات الإقليمية يمكن - إذا ما قدر لها النجاح - أن تقلص الدور المصرى التقليدى فى منطقة حوص النيل والقرن الأفريقى وإن تضعف الأطراف العربية الى أقصى حد، وأن تعطى لواء القيادة الإقليمية للسياسة الإثيوبية . ومن أهم هذه التوجهات :

١ - تحويل العلاقة الإثيوبية الارتيرية إلى علاقات خاصة وجعلها بمثابة محور استراتيجى للتنسيق والتعاون بصدد العلاقات الثقافية الإقليمية ، خاصة فى منطقة حوض النيل والقرن الأفريقى .

٢ - القيام بدور قيادى إقليمى فى سياسات المنطقة ، سواء على مستوى برامج التعاون أو على مستوى حل الصراعات ، مع إبعاد مصر عن المشاركة . كلما أمكن ، فى هذا الإطار.

٣ - انتهاج سياسة من شأنها إضعاف الأطراف العربية فى منطقة القرن الأفريقى (السودان - الصومال -جيبوتى) مع ترجيح الطابع الأفريقى للدولة الأثيوبية، وتعزيز التوجهات الأفريقية للنظام الحاكم .

٤ - استمرار انتهاج سياسة من شأنها الحيلولة دون سيطرة إسلامية على البحر الأحمر .

٥ - إعادة بناء الأقتصاد والجيش ، أعتماد على العلاقات الخاصة بين أثيوبيا والولايات المتحدة وإسرائيل، والدول المانحة الغربية الآخرى ، الأمر الذى يسفر عادة عن تكريس تواجد إسرائيل مهم فى أثيوبيا .

ولعل السياسة الأثيوبية تجاه الصراع فى الصومال (والجهود الدولية لتسوية)تشير بوضوح إلى النوايا غير الحسنة تجاه هذه المسألة، ربما باعتبارها الصومال دولة عربية ولدورها فى التوازن الاستراتيجى مع أثيوبيا ولمطالبها تجاه الأوجادين ، وعلاقاتها الخاصة بمصر . . الخ فواضح أنه منذ أن حصلت أثيوبيا على تفوض بمتابعة جهود المصالحة فى الصومال، غير أنها لم تحقق تقدما فى هذا الشأن وأن لم تحقق تقدما فى هذا الشأن وأنتقلت المبادرة بعد ذلك إلى نيروبى والقاهرة وظل نوع من عدم الرضا الأثيوبى . فحينما عقدت مشاورات فى القاهرة مارس ٩٤ - حول الصومال دعيت اليها الفصائل الصومالية المختلفة بما فى ذلك فصيل الجنرال عيديد ، وكانت القاهرة قد دعت لهذه المشاورات باعتبار مسئوليتها التاريخية ازاء الصومال ولرئاستها لمنظمة الوحدة الأفريقية ، كان رد الفعل الأثيوبى سلبيا ، حيث أعتبرت أثيوبيا أن المشاورات فى القاهرة وبرنامج العمل المقترح يدخل عنصر جديدا قد يعقد المباحثات اللاحقة فى نيروبى ، وأن هذا الاتجاه يعطى على مهدى وزنا سياسيا أكثر من اللازم، وأن المشاورة لم يسبقها تشاور مسبق مع الجانب الأثيوبى، وأن الجهد المصرى يتناقض مع التفويض الممنوح لأثيوبيا منذ عام ٩٣ . ولذلك نقد قاطعت أثيوبيا هذه المشاورات .

وفى نفس الوقت ، حاولت أثيوبيا تكثيف دورها فى الشأن الصومالى فى ظل إبعاد مصر والسودان عن الساحة الصومالية ، وتكريس ذلك من خلال التفويض الممنوح لها من قبل منظمة الوحدة الأفريقية وكذلك منظمة الإيجاد IGAD ، كما سعت

لاستقطاب قيادات جمهورية أرض الصومال مع عدم اعترافها بالجمهورية ، ربما لحاجتها المستقلة لها كمنفذ بديل لها عوضا عن الموانى الارتيرية أو الجيبوتية ، كما كشفت اتصالاتها بعيديد وتحالف الإنقاذ الوطنى SNA وعملت على تحجيم دور المنظمات ذات التوجهات الإسلامية المتشددة(٢٢). وأخيرا، حينما دعت مصر لمؤتمر المصالحة الصومالية بالقاهرة، والذى تم فيه التوصل لإعلان القاهرة، الذى وقع رسميا فى ٢٢ ديسمبر ١٩٩٧ ، وشمل كل الفصائل المتقاتلة فى الجنوب بما فيها مجموعة الإنقاذ أو مجموعة سودرى (٢٦ فصيلا) ومجموعة التحالف الصومالى الذى يرأسه حسين عيديد (مكون من ١٨ فصيل) ، حيث لم يستثن سوى ممثلى جمهورية أرض الصومال (عقال الذى أرجيء لمرحلة تالية)، أبدت أديس أبابا أعتراضات على صيغة الإعلان « إعلان القاهرة»، وعلى شكل مشاركتها فى المفاوضات الصومالية التى تمت فى القاهرة، كما حاولت عرقلة الاتفاق فى المراحل التالية أيضا. فقد أعلنت أثيوبيا رفضها للاتفاق تحت دعوى أنه لم يشمل كل الفصائل الصومالية، الأمر الذى من شأنه أشغال الحرب الأهلية وأيدتها فى ذلك كل من ارتيريا ومنظمة الإيجاد ، وقد أوضح وزير الخارجية المصرى ردا على ذلك بأن أتفاقية القاهرة تمثل أستمراراً للجهود الأثيوبية (اتفاق سودرى) وإكمالا لها ، وليس تعارض معها ، كما تجدر الإشارة إلى أن التشاور المسبق مع الجانب الاثيوبى كان قائما، سواء قبل المفاوضات أو أثناءها ، كما أن السفير الأثيوبية بالقاهرة ، كانت تتابع المفاوضات عن قرب . مع هذا أعلنت أديس أبابا أنها لن تؤيد أتفاقا من هذا النوع الا إذا شمل كافة الفصائل الصومالية، وذلك فى محاولة للمزايدة على الدور المصرى(٢٣). والواقع أن هذا الموقف الأثيوبى يأتى فى سياق التوجه الأثيوبى الثابت نحو تحجيم الدور المصرى فى منطقة القرن الأفريقى وحوض النيل، والذى يظهر بين حين وآخر، وكان قد ظهر ، كما فى المثال الذى أوردناه عام ٩٤ ، وأيضا حينما قامت القاهرة بدعوة كل من عيديد وعلى مهدى (٢٧ مايو ٩٧) فى أول محاولة للجمع بين الزعيمين الصوماليين ، تمهيدا للمصالحة الشاملة . هذا كله ، على الرغم من أن الجهود المصرية تأتى فى سياق مبادرات جامعة

الدول العربية التى تعد - على قدم وساق - مثل منظمة الوحدة الأفريقية - مهمته بالشئون الصومالية (٢٤).

وجدير بالإشارة أن الإهمال المصرى لهذه المنطقة، والذى طال أمده لظروف عديدة، هو الذى شجع القيادة الأثيوبية على تصور أنها بإمكانها أن تحجم الدور المصرى وتعود به إلى الحدود المصرية، أو إلى السودان على أحسن الفروض (حيث أعرب الدبلوماسيون الأثيوبيون عن فكرة تقسيم الأدوار، أثيوبيا فى الصومال فى مقابل مصر فى السودان) غير أن الجانب المصرى تمكن من أنتزاع موافقة الإيجاد على إعطاء مصر دورها، حينما يكون الأمر يتعلق بالصومال أو السودان أو أى طرف عربى فى المنطقة .

(جـ) وأخيراً على مستوى العلاقات الثنائية ، والكنسية : تسير العلاقات الثنائية فى مستواها العادى فى مختلف مجالات التعاون ، سواء على مستوى الزيارات المتبادلة ، أو التعاون الفنى، من خلال الصندوق المصري للتعاون الفنى مع أفريقيا والمنح الدراسية، التدريبية فضلا عن تعاون بعض الوزارات كوزارة الصحة التى تقدم معونة من الدواء المصرى لضحايا الجفاف فى أوقات متبانية .

لكن يلاحظ أن العلاقة بين الكنيستين المصرية والأثيوبية قد شهدت فى السنوات الأخيرة بعض التطورات الإيجابية والسلبية فى آن واحد ، خاصة منذ قام وفد مصرى يمثل الكنيسة القبطية بزيارة لأديس أبابا خلال الفترة من ١٤ إلى ١٩٩٤/٢/١٩، وتعتبر هذه الزيارة الأولى التى يقوم بها وفد يمثل الكنيسة المصرية منذ عام ١٩٧٣. وقام الوفد ، الذى كان برئاسة سكرتير المجمع المقدس المصرى الانبابيشوى ، قام باجراء مباحثات مع وفد من الكنيسة الأثيوبية تحت رعاية البطريرك الأثيوبى ، حيث نوقشت الخلافات القائمة ، وتم فى ختام الزيارة التوقيع على بروتوكول لاستئناف العلاقات بين الكنيستين ، والتى أنقطعت منذ مدة طويلة .

غير أن الخلاف أستمر قائماً بين الكنيستين حول مسألة دير السلطان فى القدس، والسلطة الروحية، بالنسبة للكنيسة الاريترية، بمعنى هل تتبع الكنيسة المصرية أم الكنيسة الأثيوبية ، فبالنسبة لدير السلطان ، تتمسك أثيوبيا والكنيسة الاثيوبية بأن دير السلطان بالقدس هو ملك لاثيوبيا والشعوب السوداء وليس ملكا للكنيسة المصرية . أن الرئيس الايترى كان قد طلب من قداسة البابا تكليف الكنيسة المصرية أما فيما يتعلق بالسلطة الروحية علي الكنيسة الايترية فإن يوضع نظام كنسى وترسيم المطارنة للابرشيات المختلفة فى اريتريا . غير أن الكنيسة الأثيوبية ترى أن الكنيسة الإريترية تعتبر جزءا من الكنيسة الأثيوبية ، وأن ما تم من ترسيم الأساقفة الإريتريين فى القاهرة يعد انتهاكاً لبروتوكول التعاون بين البلدين، وأنه إذا كانت أثيوبيا والكنيسة الأثيوبية قد قبلتا أستقلال اريتريا ، فأن هذا لا يعنى فصل الكنيسة الإريترية عن الكنيسة الأثيوبية[٢٥] و بوجه عام فقد تم تنصيب ميليبوسى بطريركا على الكنيسة الاتيرية من قبل الانبا شنودة فى مراسم جرت فى ٧/ ٨/ ١٩٩٨ بمقر كاتدرائية القديس مرقص[٢٦]، هذا ما جرى مؤخرا بعد أن كانت الكنيسة الأثيوبية قد وقعت أتفاقية عام ١٩٥٨ مع بطريرك كنيسة الإسكندرية تسمح باختبار أبونا من قبل والقساوسة المحليين فى أثيوبيا ، وقد كان أولهم تيوفولوس Te-woflios والذى أختير بهذه الطريقة عام ١٩٧١ .

٢- السياسة الأثيوبية تجاه السودان :

غلب على السياسة الأثيوبية تجاه السودان تفاعلات صراعية، وان كانت تظهر فى بعض الأحيان فترات من التعاون والتنسيق .

فمنذ بداية الستينيات، حينما تأسست جبهة التحرير الإريترية عام ١٩٦٠، وسمحت الحكومة السودانية لها آنذاك بانشاء قيادة ميدانية فى كسلا وأقامت قواعد للتدريب على الحدود المشتركة ، بدأت تتأثر العلاقات بين البلدين، وأستخدمت أثيوبيا فى مقابل ذلك ورقة الضغط المتمثلة فى دعم التمرد فى جنوب السودان ،

وظل هذا الوضع قائما حتى بداية التسعينيات حيث لاحت الفرصة للسودان (فى ظل النظام الحالى) أن يضطلع بدور مهم فى دعم الثوار الأثيوبيين والإريتريين ضد نظام الحكم الماركسى السابق فى أثيوبيا ، بتنسيق ودعم كاملين من الولايات المتحدة، الى أن تم استيلاء الثوار على السلطة فى أديس أبابا، وأسمرة مايو ١٩٩١[٢٧].

عقب ذلك، بدأت مرحلة جديدة من العلاقات بين أثيوبيا والسودان تتسم بالتقارب والتشاور والتنسيق والتعاون على المستوى الثنائى والسياسات الإقليمية ، وخاصة فى القرن الأفريقى . وتم توقيع نحو ١٥ بروتوكولاً للتعاون فى الدفاع والمياه والأمن والتعليم والطاقة والشئون الخارجية، وفى سياق هذا ، أعترف السودان لأثيوبيا بالحق فى توزيع عادل لمياه النيل بين الجانبيين نوفمبر ٩١، وكذلك وافقت أثيوبيا على إغلاق مكاتب الحركة الشعبية لتحرير السودان (حون جارنج)[٢٨].

لكن بعد أن استتب الأمر للنظام الجديد فى أثيوبيا (الجهة الثورية الديمقراطية لشعوب أثيوبيا) بدأت أثيوبيا تتوخى الحذر تجاه تنامى دور التيار الأصولى فى السودان، كما بدأت متابعة أى تحركات سودانية تسعى لدعم التيارات الأصولية داخل الجماعات المسلمة فى أثيوبيا أو شتى أنحاء منطقة القرن الأفريقى. وأنتقل الأمر إلى مرحلة المواجهة حين وقعت اضطرابات فى منطقة قضارف على الحدود المشتركة (أكتوبر ٩٣) وتغلغلت عناصر من الجهة الإسلامية لتحرير الاوورمو إلى السودان مما أدى إلى إعراب المسئولين الاثيوبين بأنهم لن يسمحوا لأى دولة (إيران أو السودان أو السعودية) بالتدخل فى شئونهم الداخلية . كما تم تقليص العلاقات بين البلدين فى مختلف المجالات أثر محاولة الأعتداء على موكب الرئيس مبارك فى أديس أبابا فى ٢٦ يونية ٩٥ ، وثبوت تورط السودان بايواء وتدريب المتهمين والمماطلة حتى فى تسليم ثلاثة ، ذكر أنهم متوجدون على الأراضى السودانية ، وهو الأمر الذى تطور إلى شكوى أثيوبية ضد السودان أمام منظمة الوحدة الأفريقية (آلية منع وإدارة وتسوية النزاعات فى ١١ ديسمبر ٩٥ - ١٨ ديسمبر٩٥) تم رفع الشكوى إلى مجلس الأمن،

الذى إصدر قرارا (رقم ٤٤-١٠) فى مارس ١٩٩٦ بفرض عقوبات تدريجية ضد السودان، بدأت بتخفيض حجم التمثيل الدبلوماسى السودانى فى الخارج وعدم منح تأشيرة للنخبة الحاكمة فى السودان ، وعدم تنظيم مؤتمرات إقليمية أو دولية فى الخرطوم(٢٩).

وفى سياق التوتر المستمر فى العلاقات ، أتهمت أثيوبيا السودان بدعم ومساندة جبهة تحرير الاورومو ، والجبهة الإسلامية لتحرير الاورومو، وجماعة بنى شنجول بقيادة (آدم الحسن) وبأن السودان تدرب قوات ميلشيات هذه الحركة ضمن ميليشيات قوات الدفاع الشعبى السودانى ، وذلك للقيام بعمليات إرهابية داخل أثيوبيا تستهدف نشر الأصولية الدينية والتطرف، ولأغراض سياسية. وفى مقابل ذلك، أتهمت السودان الحكومة الأثيوبية بالتدخل فى شئونها الداخلية وحشد قوات كثيفة على منطقة الحدود المشتركة والهجوم على منطقة (الفشقة) ومساندة حركة التمرد فى جنوب السودان ، والضلوع فى مخطط مشترك (إريترى أثيوبى أوغندى) ترعاه الولايات المتحدة لإسقاط نظام الحكم فى البلاد وجره إلى مواجهات عسكرية مع جيرانه تكون ذريعة للتدخل الأجنبى وتقسيم البلاد . ورغم بعض المحاولات التى استهدفت تخفيف حدة التوتر ، كلقاء القمة الذى تم بين رئيس الوزراء الأثيوبى والرئيس السودانى (يوليو ٩٦) وأتفاقهما على وقف التدهور فى العلاقات ومحاولة بعث نشاط اللجان المشتركة . . الخ(٣٠)،إلا أن مناخ التوتر كان هو الغالب على علاقات البلدين ، وأن كان قد هدأ فى الآونة الأخيرة بفعل الحرب الحدودية بين أثيوبيا وإريتريا .

٢ - أثيوبيا وإريتريا : التحول من التعاون إلى الصراع :

بعد صراع طريل من أجل الاستقلال عن أثيوبيا ، وضعت الأسس للصلات القوية التى ربطت بين كل من الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا EPLF والجبهة الشعبية لتحرير تيجراى TPLF ، وضعت إلى حد كبير الأسس التى بنيت عليها علاقة الدولتين فى مرحلة ما بعد التحرر والاستقلال . فقد بدأ التنسيق والتعاون بين الجبهتين ضد العدو

المشترك (نظام مانجستو) منذ السبعينيات . وإنعقدت علاقات شخصية قوية بين قيادتى التنظيمين فى هذا الأطار وقد كانت أولى نتائج التنسيق والتعاون بينهما واضحة حين تولى التنظيمان (الجبهة الثورية الديمقراطية لشعوب أثيوبيا EPRDF بقيادة ميليس زيناوى، والجهة الشعبية لتحرير إريتريا بقيادة أسياسى أفوقى) السلطة كل فى بلده، فى وقت واحد تقريبا (٢٥-٢٨ مايو ١٩٩١)(٣١).

وقد ساعدت تلك الرابطة القوية على تسهيل الاتفاق على أمور كثيرة بين كل من أثيوبيا وإريتريا ، منها المرونة التى أبداها النظام الأثيوبى الجديد تجاه حق الإريتريين فى تقرير المصير . فبعد نحو شهرين من إستلام السلطة ، وقع كل من ميليس زيناوى وأسياسى أفرومتي وثيقة أتفاق بين كل من الحكومة الانتقالية فى أثيوبيا والحكومة المؤقتة فى إريتريا ، وأعترفت فيها أثيوبيا رسميا بالآتى :

١ - حق إريتريا فى تقرير مصيرها، بما فى ذلك الانفصال عن أثيوبيا عن طريق استفتاء يجرى تحت إشراف دولى ويؤجل لمدة سنتين لأسباب فنية .

٢- الابقاء على ميناء عصب الإريترى منطقة حرة حتى تضمن أثيوبيا منفذا لها إلى البحر.

٣ - إنهاء حالة الحرب ، وبداية عهد جديد من التعاون والدفاع المشترك ضد أى عدوان أو تخريب ، والايتورط أى طرف منها فى أعمال تمس سلامة الدولة الأخرى وأمنها(٣٢).

وقد جرى الاستفتاء على إستقلال إريتريا فى إبريل ٩٣ ، وأسفرت نتائجة عن أعلان استقلال إريتريا ، وكانت أثيوبيا من أوائل الدول التى أعترفت بالاستقلال كما كانت قد شاركت بوفد كبير برئاسة وزير الإعلام فى مراقبة الاستفتاء .

وفى سياق تعميق العلاقات الخاصة بينهما ، ثم التوصل للعديد من الاتفاقيات ، منها توقيع أتفاقية صداقة وتعاون أثناء زيارة أفورقى لأديس أبابا فى أغسطس ١٩٩٣ تضمنت أسس التعاون والتنسيق فى مجالات الاقتصاد والتجارة والطاقة

والدفاع المشترك والأمن والتعليم والثقافة والثروة الطبيعية ، كما تم إنشاء لجنة وزارية مشتركة تجتمع فى إحدى الدولتين سنويا لمتابعة تنفيذ ما جاء باتفاقية الصداقة والتعاون من بنود. كما أبرم أتفاق مشترك طويل الآجل عام ٩٣ وتضمن إنشاء آلية دفاع وأمن مشتركة لخدمة المصالح الحيوية، على إلا تتدخل فى الشئون الداخلية لأى منهما .

وفى سياق نفس المجرى من التعاون وتوثيق العلاقات ، سمحت أثيوبيا وإريتريا بالجنسية المزدوجة لرعايا البلدين، وعدم فرض رسوم جديدة على حركة البضائع والسلع بينهما ، كما تم الاتفاق فى أطار اللجنة الوزارية المشتركة على إنشاء لجنة عليا لعلاقات البلدين فى ١١/٥/١٩٩٤ تتكون من وزيرى الخارجية وسفيرى الدولتين لدى بعضهما البعض ، وتجميع كل ستة شهور فى عاصمة إحدى الدولتين لمتابعة التنفيذ، وتطورت العلاقات الثنائية بتوقيع المزيد من بروتوكولات وأتفاقيات التعاون فى المجالات المختلفة، بما فى ذلك الاتفاق على إستخدام أثيوبيا ميناء مصوع للتجارة مع العالم الخارجى ، أسوة بميناء عصب الذى لم يعد يتحمل حركة التجارة ، والتوزيع الجغرافى لها(٣٣).

غير أن مسار العلاقات تحول فى الفترة الأخيرة نحو التوتر، بل الصدام العسكرى على الحدود بين الدولتين. وقد أرجع الرئيس الإريترى أسياسى أفورقى هذا التحول إلى ما يسميه « النزعة التوسعية الأثيوبية» وتتلخص فى المحاولات الأثيوبية التى تكررت فى أكثر من منطقة على الحدود، حيث شرعت القوات الأثيوبية فى توسيع إقليم تيجراى الأثيوبى على حساب الجانب الاريترى ، بطرد الإريتريين من المنطقة وإحلال وتوطين مواطنين تيحرانين ولاجئين من السودان محلهم. وفى عام ١٩٩٧ بدأت المحاولات تتخذ طابعا عسكريا بتكوين ميليشات مسلحة لفرض الأمر الواقع، كما قامت القوات الأثبوبية بطرد الإدارة المدنية من بعض أجزاء إقليم عفر الإريترى بحجة مواجهة المعارضين من العفر، وكذلك إقليم « بادمى» فى الغرب الإريترى أيضا

وقد حاول الجانب الإريترى ، على حد قول الرئيس أفورقى مناقشة الخلافات الحدودية عن طريق لجنة وزارية، غير أن الجانب الأثيوبى أرجا تشكيل اللجنة ، وأصدر بعض الخرائط تظهر تعديلات فى الحدود (٣٤)، لذلك قامت القوات الاريترية بالسيطرة على الأراضى محل النزاع فى أكثر من منطقة حدودية ، بأعتبارها أراضى أريترية ، وذلك أبتداء من يوم ٦مايو٩٨ . أما الجانب الأثيوبى فيرى أن الأريتريين قامو بعملية غزو لمناطق تعد مناطق متنازع عليها ، وأنهم لم ينتظروا بحث المشكلة فى أطار اللجنة الوزارية المقترحة. (٣٥)

وبصرف النظرعن البيانات المتضاربة من كلا الجانبين ، فإن القتال قد نشب وتطور فى مناطق عديدة منهامنطقة ستيت (جنوب غرب إريتريا) ومنطقة أيفا - عليتينا بجنوب إريتريا فضلا من منطقة زلامبيسا فى شمال غرب إريتريا ، ويظهر بشكل واضح أن ثمة خلافات حقيقية على الحدود تنبع من إستناد الإريتريين على الحدود الأساسية التى تحددت إبان الأستعمار الإيطالى ووفقا للإتفاقيات والمعاهدات التى أبرمت بين الإيطاليين والأثيوبيين ، وبهذه المناسبة أصدرت إريتريا (فى ٢٠مايو ٩٨) خريطة إيطالية تبين مناطق الحدود التى جرى عليها النزاع (نحو ٦مناطق تقل مساحة كلما أتجهناجنوباً) وهى : زالامبيسا ، مثلث بادمى آبى ، أواى جانوس ، علنتينا ، يورى ، أما الجانى الأثيوى فيستند إلى تواجد أثيوبيا فى المنطقة منذ فترة الإدراة البريطانية المؤقتة (٤١ - ١٩٥٢) والذى أستمر بطبيعة الحال بعد ذلك بحكم ضم إيرتريا فيدراليا لأثيوبيا ، سيطرة التاج الأثيوبى ، (٣٦) ابتداء من عام ١٩٥٢.

وبوجه عام ، لا ينحصر الصراع الإريترى الأثيوبى الأخير حول مسألة الحدود ، لكنه يأتى يمكن القول في سياق بحث إريتريا عن تأكيد استقلالها تجاه أثيوبيا ، وفى هذا السياق أصدرت إريتريا عملة جديدة خاصة بها (نقفة) وأوقفت العمل بالعملة الأثيوبية (البر) ، الأمر الذى أوجد مصدراً للخلافات التى نشبت بين الجانبين حول رسوم تجارة المرور ، واستخدام مصافى البترول، وسفن الأسطول القديم، هذا إضافة

المتبادلة بين الجانبين حول نزوع كل منهما لاستقطاب الجماعة التجرينية، وخلق تيجراى الكبرى، Greater Eritrea and Greater Tigrai وخاصة أن سكان إقليم تيجران في أثيوبيا والتجرينيين الإرايتريين يربطهم تاريخ مشترك ويمثلون جماعة تتحدث لغة واحدة هل التجرينية ، وذات ثقافة مشتركة، (حيث كانت منطقتهم تمثل مركز مملكة أكسوم القديمة) وهى الآن تشكل قاعدة أساسية للنخبة الحاكمة فى البلدين. إضافة لذلك، فلكل من أثيوبيا واريتريا نظاما سياسياً يختلف فى تعامله مع ظاهرة التعددية العرقية ، فالنظام الاثيوبى يتسم بالمرونة إزاء الجماعات العرقية، ويتبع أساليب ديمقراطية فى إدارة الاختلافات، حيث يسمح للجماعات باستقلال ذاتى كبير، والحق فى تقرير المصير ، بينما النظام فى أريتريا لا يرى فى ذلك إلا نوعا من القراءة السيئة للموقف قد يسمح مستقبلا بتفكك وبلقنة المنطقة، هذا كله إضافة للخلافات التى ربما ترجع إلى تطلع القيادين ، الأريترية والأثيوبية للزعامة فى المنطقة ، فضلا عن وجود جماعات أثيوبية يعتد بها - مازالت حتى الآن - لم تهضم فكرة أن أريتريا أصبحت دولة مستقلة ، وهذا ما أعترف به اسياس أفورقي مؤخرا(٣٧) .

ولقد تعددت الوساطات والمبادرات الاقليمية والدولية لتسوية النزاع بالطرق السلمية، كان منها: **أولا:** مبادرة دول « الايجاد » التى حملها الرئيس الجيبوتى السابق حسن جوليد، بعد وقوع الحرب، وذلك فى ١٥ مايو ١٩٩٨. ثانيا: المبادرة الأمريكية الرواندية المشتركة ، حيث قام دبلوماسيون أمريكيون وروانديون بجولات مكوكية فى مايو ويونيو ٩٨، استغرقت نحو ٣ أسابيع ، أنتهت بوضع توصيات ، تتلخص فى ضرورة حل الأزمة الحالية بالطرق السلمية والقانونية ، وإرسال بعثة مراقبة منظمة من كل حكومة رواندا (مؤيدة من قبل الولايات المتحدة) إلى منطقة النزاع بأسرع وقت ممكن، وأعادة أنتشار القوات الاريترية إلى مواقع ما قبل يوم ٦ مايو ١٩٩٨ خلال ٢٤ ساعة من وصول فريق المراقبة ، وأعادة الإدارة المدنية إلى

ماكانت عليه ، وإجراء تحقيق فى حوادث ٦ مايو ، وأعادة ترسيم الحدود على أساس الاستعمارية المعمول بها والقانون الدولى الذى يمكن تطبيقه على مثل هذه الحالات، ونزع سلاح جميع مناطق الحدود المشتركة بأسرع ما يمكن لتخفيف التوترات وتسهيل عملية تحديد وترسيم الحدود[٣٨]. وعموما لم تنجح المبادرة الأمريكية الرواندية، سوى فى قبول الطرفين (٦/١٤) وقف الغارات الجوية المتبادلة . ثالثا: مبادرة منظمة الوحدة الأفريقية ، وقد طرحت هذه المبادرة فى قمة المنظمة فى واجادوجو (بوركينا فاسو) فى يونيو ٩٨، أى بعد شهرين من اندلاع الحرب . وتوسط فى هذه المرحلة رؤساء كل من بوركينا فاسو وزيمبابوى ورواندا، ووزير خارجية جيبوتى والأمين العام لمنظمة الوحدة الأفريقية . وقد أخذت المبادرة تسير ببطئ إلى أن جاءت قمة المنظمة رقم (٣٥) بالجزائر يونيو ٩٩، وبدأ الرئيس الجزائرى بوتفليقة ومبعوثه الخاص أحمد أو يحيى، والأمين العام لمنظمة الوحدة الأفريقية، وبعض الدبلوماسيين والمسئولين الامريكيين وغيرهم فى الوساطة بين الطرفين، فى محاولة لانهاء النزاع . وقد تبلورت مبادرة منظمة الوحدة الأفريقية خلال عامى ١٩٩٩/٩٨ فى ثلاث وثائق رئيسية هى :

الوثيقة الأولى: وأطلق عليها « أطار العمل » ، وقد صدرت في قمة واجادوجو وتشتمل علي الخطوط الرئيسية للمبادرة، وهى :[٣٩] (١) وقف الأعمال العدائية،(٢) الانسحاب الاريترى من مدينة بادمى وضواحيها كبادرة حسن نية .(٣) إنسحاب كلا البلدين من بقية أجزاء الحدود ، (٤) ترسيم الحدود . (٥) أحترام الحدود القائمة عند الاستقلال الوطنى كما هو منصوص عليها في القرار ١٦(أ) الصادر عن مؤتمر القمة الأفريقى الأول بالقاهرة ١٩٦٤، وتحديد الحدود وفقا للمعاهدات الاستعمارية والقانون الدولى القابل للتطبيق،(٦) اللجوء فى حالة الجدال أو عدم الاتفاق إلى آلية تحليم مناسبة . وقد تم التوصل إلى هذا الأطار فى نوفمبر ١٩٩٨ .

الوثيقة الثانية : آليات التطبيق لاطار العمل، وقد تم إقرار هذه الوثيقة فى قمة الجزائر (٣٥)، وذلك بعد أن أعترضت أثيوبيا ، أو تحفظت على بعض النقاط الواردة فى أطار العمل . ومن أهم بنود هذه الوثيقة: (١) أن تلتزم الحكومة الاريترية بإعادة انتشار قواتها خارج الأراضى التى أخذت بعد ٦ مايو .(٢) تلزم الحكومة الإثيوبية نفسها ، بعد ذلك ، بإعادة انتشار قواتها فى المواقع التى أخذت بعد ٦ مايو ، والتى لم تكن تحت الإدارة الإثيوبية قبل هذا التاريخ .(٣) إعادة الإنتشار لن يؤثر على الوضعية النهائية للأراضى المتنازع عليها .(٤) قبول الطرفين لمراقبين عسكريين من قبل منظمة الوحدة الافريقية والأمم المتحدة .(٥) آليات إعادة الإدارة المدنية وإعادة السكان ، يتم الإتفاق عليها بعد توقف الأعمال العدوانية(٤٠).

الوثيقة الثالثة : وهى خاصة بالترتيبات الفنية لتطبيق اطار العمل وآلياته . وتنطوى تلك الترتيبات على وثيقة رئيسية اضافة لأربعة ملاحق(٤١). وقد سلمت للطرفين المتنازعين من قبل مبعوث الرئيس الجزائرى « أحمد أو يحيى» فى الفترة من قبل مبعوث الرئيس الجزائرى « أحمد أو يحيى » فى الفترة من ٦ ـ ٨ أغسطس ١٩٩٩ ، وأهم ما جاء فى هذه الوثيقة ما يلى :

١ - إقامة مفوضية مستقلة ، أو محايدة ، وذلك بالتنسيق بين الأمين العام للأمم المتحدة والأمين العام لمنظمة الوحدة الأفريقية ، بهدف اعداد الدراسة اللازمة لاعادة انتشار وتحديد المواقع ، وقرارها ملزم للطرفين .

٢ - تكوين بعثة « حفظ سلام» تحت إشراف مجلس الأمن الدولى، وتحت قيادة المثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة ، للإشراف على وقف العمليات العسكرية ومراقبة وقف إطلاق النار .

٣ - مسألة اعادة السكان المدنيين ومراقبة حقوق الإنسان تحت اشراف وحدة مدنية تابعة لقوات حفظ السلام .

٤ - تتم عمليات ترسيم الحدود ووضع العلامات الحدودية بواسطة وحدة خرائط

تابعة للأمم المتحدة ، على أساس المعاهدات الاستعمارية والقوانين الدولية الملائمة (فى غضون ستة شهور) .

٥ - بالنسبة للإثار الجانبية للنزاع والمتضررين ، سوف تقوم كل من الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الأفريقية ، بالتعاون مع المجتمع الدولى ، بتقديم العون اللازم .

٦ - سيتم التحقيق فى أحدث ٦مايو ، والأحداث التى سبقته فى يوليو - أغسطس ١٩٩٧ .

ويمكن القول أن مناخ عدم الثقة المتبادل ، فضلاً عن النوايا غير الحسنة فيما يتعلق ، خصوصاً ، بالوضع العسكرى ومحاولة كل جانب أن يمسك بعامل القوة ًعلى الأرضً فى يده ، هذا المناخ ظل ذلك هو الأمر السائد بين الطرفين ، بدليل أن مبادرة منظمة الوحدة الأفريقية ظلت تراوح مكانها بعد كل هذه الإجراءات التفصيلية حيث تابعت أثيوبيا من جانبها تقديم طلبات بالإيضاح منذ ١٣ أغسطس (١٩٩٩) ، خاصة فيما يتعلق بالتدابير الفنية السابق عرض نقاطها الرئيسية ، وذلك فى محاولات متكررة ، يبدو أنها كانت تهدف من ذلك لكسب الوقت، أملا فى تعديل الوضع العسكرى ، وإرغام الإريتريين على التراجع بالقوة .

وفى ختام المباحثات غير المباشرة (بين إريتريا وأثيوبيا) والتى جرت فى الجزائر فى الفترة من ٢٩ أبريل إلى ٥ مايو عام ٢٠٠٠ ، ودعا أليها الرئيس الجزائرى ، ورأسها السيد أحمد أو يحى الممثل الشخصى لرئيس منطمة الوحدة الأفريقية ، وشاركت فيها كل من الولايات المتحدة والإتحاد الأوربى ، وكان الغرض منها تمكين كلا الجانبين من التوصل إلى أتفاق حول فنية معززةً تمهيداً لتطبيق خطة التسوية السلمية للنزاع الإريترى - الأثيوبى أو إتاحة الفرصة لمنظمة الوحدة الإفريقية لمساعدتهما فى تقديم مساومات مقبولة بالتوافق مع إتفاق إطار العمل وآليات تطبيقة، والتى تم الأتفاق عليهما بإعتبارهما عناصر أساسية فى خطة التسوية . فى ختام هذه المباحثات لم يتفق الطرفان بسبب تمسك إريتريا بضرورة توقيع إتفاق إطار العمل وآليات تطبيقة ووقف إطلاق النار أولا ، فى الوقت الذى تمسكت فية أثيوبيا

بموقفها الثابت (منذ يوليو ٩٩) وهو أن التوقيع يمكن أن يتم فقط بعد أكتمال التدابير الفنية . وفي ظل هذه الظروف لم تتكمن رئاسة منظمة الوحدة الإفريقية ، ولا الوفود الأمريكية والأوربية من تحريك أو تليين موقف الطرفين المتنازعين ، مما أدى إلى إرجاء المباحثات .(٤٢)

هكذا أخفقت هذه الجولة من المباحثات ، بإستثناء الطلب الذي حمله رئيس منظمة الوحدة الإفريقية لرؤساء الوفود ، نيابة عن إفريقيا ، بأن يحملا لبلديهما وحكومتيهما طلب التحلى بضبط النفس ، وإعادة تقييم الموقف ، وإرسال وفود - لاحقا - إلى محادثات غير مباشرة لمعالجة القضايا الجوهرية المتبقية . وعموماً فقد كان ذلك مقدمة لبدء جولة جديدة من المواجهات العسكرية واسعة النطاق بين البلدين (بعد سنتين من بدء القتال) تمكن فيها الجيش الأثيوبى من تحطيم الجيش الإريترى وإرغام الإريترين على التراجع عن كافة المناطق التى سبق أن أحتلوها فى بداية الحرب ، ولكي تبدأ بذلك مرحلة جديدة من التعامل الدبلوماسى والعسكرى من مواقع جديدة مختلفة سواء بالنسبة للطرف الإريترى أو الطرف الأثيوبى ، حيث الكلمة العليا تصبح لأديس أبابا ، التي سعت لفرض شروط المنتصر .

وفى ظل هذا الوضع أعاد مجلس الأمن التأكيد (فى ٢٠٠٠/٥/١٧) على ضرورة فرض حظر على بيع الأسلحة لكل من الدولتين ، وذلك أستمراراً لما كان قد أكد عليه فى مارس (٩٩) من ضرورة وقف إطلاق النار بدون شروط والإلتزام بمبادرة منظمة الوحدة الإفريقية(٤٣) ، تلك المبادرة التى تحظى بتأييد إقليمى دولى واسع النطاق .

وفى ظل الجولة الأخيرة للحرب الإريترية الأثيوبية ، وتحت وطاة الأثار السلبية لتلك الحرب ، خاصة على الجانب الإريترى ، بادرت منظمة الوحدة الإفريقية بعقد محادثات فى الجزائر ، تحت رئاسة الرئيس الجزائرى ، وذلك خلال الفترة من ٢٩ مايو إلى ١٠ يونيو ٢٠٠٠ ، حيث تم التوصل إلى إتفاقية للوقف الفورى للأعمال العدائية

بين البلدين ، تتضمن ألتزام الجانبين بإحترام الحدود القائمة أثناء الإستقلال طبقاً لقرار مؤتمر القمة الإفريقى االأول بالقاهرة عام ١٩٦٤ (القرار ١٦«١») . ويتم تحديد الحدود وفقاً للمعاهدات الدولية القائمة والقانون الدولى القابل للتطبيق ، مع الإستفادة من الوسائل الفنية لترسيم الحدود ، ويتم اللجوء إلى آليات التحكيم المناسبة فى حالة الخلاف . وتتضمن الإتفاقية كذلك أعادة التأكيد على أتفاقية الإطار الخاصة بمنظمة الوحدة الإفريقية وتعديلاتها المتعلقة بالتنفيذ و التى تبنتها القمة رقم (٣٠) للمنظمة فى الجزائر (يوليو ١٩٩٩).

كما تتضمن إتفاقية الجزائر، المشار إليها ، عدداً من البنود الهامة، منها (٤٤):

١ - الوقف الفورى للأعمال العدائية .

٢ - ضمان حرية الحركة والتنقل فى البلدين لبعثة حفظ السلام ، واحترام وحماية أعضاء ومعدات البعثة .

٣ - انتشار البعثة تحت رعاية كل من الأمم المتحدة ، ومنظمة الوحدة الأفريقية.

٤ - إعادة انتشار القوات الأثيوبية إلى حدود ما قبل ١٩٩٩ ، والتى لم تكن تحت الإدارة الأثيوبية قبل ٦ مايو ٩٨، على أن تكتمل عملية الإنتشار بعد أسبوعين من وصول بعثة حفظ السلام (Art.9).

٥ - عودة الإدارة المدنية الإريترية إلى كل المناطق التى إنسحبت منها القوات الأثيوبية تمهيداً لإعادة المواطنين إليها (Art. 10) .

٦ - تلتزم أثيوبيا بعدم تحريك قواتها خلف المواقع التى كانت تديرها قبل ٦ مايو ١٩٩٨، كما تلتزم إريتريا بعدم تحريك قواتها خلف خطوط ما قبل ٦مايو ٩٨، وفى حدود ٢٥ كيلو متراً داخل الأراضى الإريترية . (Art.14).

والواقع أن النتائج النهائية للصراع الاريترى الاثيوبى الأخير ، ستعزز من موقف حكومة ميليس زينادى فى أثيوبيا كما ستعزز من مكانة اثيوبيا الاقليمية ، بينما ستعمل فى المقابل على تقويض مكانة حكومة الرئيس افورقى فى اريتريا وتقليص

حركتها الاقليمية، وهو الموقف الذى ستستفيد منه اثيوبيا فى محاولة لتثبيت مكانتها كقوة اقليمية، وربما فرض سلام اثيوبى فى منطقة القرن الافريقيى . وهذا الاتجاه، وقد يقابله تحركات اقليمية موازنة من بعض القوى فى المنطقة. وهذا ما يدعو مصر لمزيد من المشاركة الاكثر فاعلية ، سواء على مستوى مراقبة التطورات الجارية فى القرن الافريقى بصفة عامة أو على مستوى العلاقات الاريترية الاثيوبية بصفة خاصة، وكذلك على مستوى الاهتمام بشئون التعاون الاقليمى ، سياسياً وامنياً واقتصادياً ، وثقافياً ، ومحاولة السعى لبناء نظام للأمن الجماعى الإقليمى فى هذه المنطقة الفرعية الهامة، وذلك بالتنسيق مع القوى الكبرى وخاصة الولايات المتحدة كي لا تتكرر المأساة ، أو تنتكس عملية السلام بين البلدين أو تستمر بشكل أو آخر - وبطريق غير مباشر - في البلدة المجاورة .

(٤) أثيوبيا والصومال :-

على أثر حرب الارجادين (١٩٧٨) ، التى هزمت فيها القوات الصومالية على أيدى القوات الأثيوبية (المدعومة بوحدات كوبية وألمانية شرقية وغيرها)، على أثر ذلك ، وفى ظل عداء تاريخى بين البلدين ، انتهزت اثيوبيا فرصة حدوث انشقاقات داخلية فى الصومال فى عهد الجنرال سياد برى ، فاحتضنت بعض الفصائل المنشقة عن النظام مثل « الجبهة الديمقراطية لانقاذ الصومال » SSDF منذ ١٩٧٩ بين قبائل الدارود فى شمال شرق البلاد ، والحركة الوطنية الصومالية (SNM) التى جسدت آمال أبناء « أرض الصومال» منذ ١٩٨١ ، وخاصة قبائل الاسحاق وكان ذلك فى سياق سياسة ترمى لاحتضان كل من ينشق على سياد برى أملاً فى تمزيق الصومال كي لا ترتفع أية مطالبة بالأوجادين مرة أخرى ورداً ، كذلك ، على دعم الصومال لجبهة تحرير الصومال الغربى » فى حربها ضد أثيوبيا » .

وفى ١٩ مارس ١٩٨٨ ، وعلى ضوء تزايد المواجهات الأثيوبية الاريترية ، أبرمت أثيوبيا اتفاقية مع الصومال فى الرابع من أبريل عام ١٩٨٨ ، وذلك فى

مدينة جيبوتى ، تحت اشرف رئيسها السابق حسن جوليد أبتيدون ، وأنطوت الإتفاقية على عدة بنود ، كان أهمها ، إعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ، ووقف الحملات الإعلامية المناوئة لكليهما ، وسحب قوات البلدين الى الحدود المشتركة وعدم السماح للنظامين بأى نشاط سياسى أو عسكرى ضد بعضها البعض من داخل أراضيهما . وكان من آثار تلك الإتفاقية أن طلبت اثيوبيا من الفصائل الصومالية مغادرة أراضيها ، كما أوقفت الحملات الإعلامية.

وبعد سقوط نظام سيادبرى ، واندلاع الحرب الأهلية ، وما أعقب ذلك من تدخل دولى ، تحت قيادة أمريكية ، أو فى ظل الأمم المتحدة بعد انسحاب الولايات المتحدة (٩٤/٣/١٥) ، وفى ظل الحكومة الجديدة فى أثيوبيا (مايو ١٩٩١) بعد الاطاحة بنظام مانجستو ، بدأت أثيوبيا تهتم بالأوضاع الصومالية ، ويظهر ذلك فى بعض المبادرات التى شاركت فيها بعض دول القرن الأفريقى الأخرى ، كاريتريا وجيبوتى . من أوائل تلك المبادرات موتمر جيبوتى للوساطة فى يوليو ٩١ ، والذى أخفق فى جمع الفصائل الصومالية المتناحرة . ثم مؤتمر أديس أبابا (مارس ١٩٩٣) الذى حضرته كل الفصائل ، وكان الفضل فيه يرجع للتعاون والتنسيق بين سحنون ، الممثل الخاص للسكرتير العام للأمم المتحدة وكل من نائب وزير الخارجية الأثيوبى وسفير اريتريا فى إثيوبيا ، وأن كان النجاح قد تحول بطبيعة الحال لرئيس الوزراء الأثيوبى ميليس زيناوى ، الذى طلب منه أن يلعب دوراً فى حل الصراع الصومالى باسم دول القرن الأفريقى ومنظمة الوحدة الأفريقية خاصة منذ القمة الأفريقية رقم ٢٩ (القاهرة يونيو ١٩٩٣) والقمة المصغرة بالقاهرة ، كذلك فى ديسمبر[(٤٥)] .

وقد عقدت عدة مؤتمرات للمصالحة الصومالية فى أديس أبابا . منذ ذلك الحين ، وبصرف النظر عن نتائج تلك المؤتمرات ، التى لم تنجح فى الوصول لتسوية الحرب الأهلية ، فقد لوحظ من قبل أوساط فى الجامعة العربية وغيرها ، أن كلا من أثيوبيا والمبعوث الأمريكى فى الصومال « روبرت أو كلى » يستحوذ عليهما الرغبة فى الاستئثار بجهود التسوية فى الأزمة الصومالية[(٤٦)] .

وقد كان مؤتمر (سودرى) الذى عقد تحت رعاية أثيوبيا فى (نوفمبر ٩٦ - يناير ١٩٩٧) من أهم المؤتمرات التى نجحت أثيوبيا فى عقدها حتى ذلك الحين ، اذ ضمت نحو ٢٦ حركة سياسية صومالية ، باستثناء إبراهيم عقال رئيس جمهورية أرض الصومال ، الذى لم يدع أصلاً ، وعيديد الذى رفض الإشتراك نظرا لانعقاد المؤتمر فى أثيوبيا من جهة ، ولعدم اعترافه بالمنظمات الأخرى من جهة ثانية . وعموماً فقد أتفق الزعماء فى سودرى على تكوين مجلس وطنى للإنقاذ من ٤١ عضوا ، تمهيدا لانشاء حكومة وطنية انتقالية فى غضون ٦ شهور وعقد مؤتمر للمصالحة فى (بوصاصو) بالصومال واعتماد ميثاق الحكومة المركزية الموقتة(٤٧) .

وحينما دعت القاهرة لانعقاد مؤتمر المصالحة الصومالية ، وثم التوصل لاتفاق القاهرة فى ٢٧ مايو ، والذى نص على وقف الأعمال العدائية ، والحفاظ على سيادة الصومال ووحدة أراضية ودعوة كل الفصائل للإشتراك فى مؤتمر المصالحة المرتقب فى الصومال ، أكد وزير الخارجية المصرى على أن هذا الاتفاق يعد إحدى الخطوات التى يمكن أن تساهم فى الوصول لمؤتمر المصالحة الذى كان من المزمع انعقاده فى الصومال ، ومن ثم فهو يعتبر مكملاً لسودرى . وبالرغم من ذلك ، أبدت إثيوبيا تشكيكاً فى نوايا القاهرة ، وحاولت ،بالتنسيق مع بعض دول القرن الأفريقى (فى الايجاد) تجاهل الدور المصرى فى التسوية ، بل وسعت لبث عدم الثقة فى هذا الاتفاق لدى بعض الفصائل الصومالية ، وكان ذلك دليلاً قاطعاً على النوايا الاثيوبى فى الإستئثار بملف الصومال ، التي تعتبر دولة عربية ، مثلما هي دولة أفريقية(٤٨) .

وبحكم الاعتبارات السياسية والعرقية ، التى تتحكم غالباً فى السلوك الاثيوبى تجاه الصومال ، تدخل الجيش الاثيوبى (رغم جهود الوساطة) بصورة متكررة ، ومباشرة ، فى الصومال . منذ عام ١٩٩٦ ، حيث قامت وحدات اثيوبية بغزو منطقة باليترين Baletureyn وكذلك منطقة جيولو Geolo، على الحدود الاثيوبية الكينية، حيث هاجمت أثيوبيا مواقع الاتحاد والإسلامى، ومناطق أخرى ينتمى أغلب سكانها

الى قبائل الأوجادين الذين يشجعون ويزعمون الجبهة الوطنية لتحرير الاوجادين ONLF. وفى سياق الحرب الاريترية - الاثيوبية ، ١٩٩٨، زاد التدخل الاثيوبى فى الصومال بشكل ملحوظ ، خاصة على أثر قيام اريتريا بدعم حركات صومالية معينة ضد الاثيوبين ، وقد أدى التدخل الاثيوبى المتكرر ببعض الزعماء الصوماليين مثل عيديد وعلى مهدى وغيرهم لتقديم شكاوى لمنظمة الوحدة الافريقية والجامعة العربية والايجاد ، احتجاجاً على هذا التدخل . كما قامت اثيوبيا بدعم وتسليح بعض الفصائل الصومالية » كالجبهة الوطنية الصومالية » ماريهان ، وحركة سلام المؤتمر الوطنى الموحد .. الخ ، ذلك فى محاولة لاحداث ضغوط موازنة للدور الاريترى والجماعات الصومالية المناوئة فى شرق وجنوب أثيوبيا ، بما فى ذلك جبهة تحرير الأورومو OLE والجبهة الوطنية لتحرير الأوجادين ، والإتحاد الإسلامى ، وهى التى تحصل على مساعدات اريترية عبر حسين فرح عيديد(٤٩)، الأمر الذى حول الصومال لساحة خلفية للصراع الاثيوبى - الاريترى من جهة ، وأدى كذلك لتراجع الدور الاثيوبى فى المصالحة الصومالية ، لتحل جيبوتى محل اثيوبيا - مؤقتاً - فى الآونة الأخيرة .

٥-إثيوبيا ودول القرن الأفريقى الأخرى

(١) إثيوبيا وجيبوتى:

تقوم السياسة الأثيوبية تجاه جيبوتى على عدة أعتبارات أساسية ، وأهمها الموقع الجيبوتى الهام على البحر ، وبأعتبارها تمثل ميناء هاما وبديلا عن الموانى الإريترية، خاصة بعد أستقلال إريتريا ، وكذلك بالنسبة للمخاوف الأثيوبية فيما يتعلق بتنامى تيار القومية العفرية التى تشكل تهديدا مشتركا لكل من حكومة جيبوت (حيث تشكل جبهة معارضة رئيسية FRUD لجيبوتى)، وكذلك للحكومة الأثيوبية .

ولذلك تسعى أثيوبيا إلى التنسيق مع جيبونى فى المجالات الأمنية والنقل والموصلات ، عبر خط سكة جديد أديس أبابا - جيبوتى ، وذلك من خلال اللجنة

المشتركة الأثيوبية - الجيبوتية التى أنشئت عام ١٩٩١، التى تعتبر الآلية الخاصة بتقييم التعاون المشترك بين البلدين فى كافة المجالات ، وكذلك يتم التنسيق من خلال الزيارات المتبادلة بين رؤساء الدول والحكومات والمسئولين فى البلدين ، هذا إضافة إلى أن جيبوتى تضم المقر الدائم لمنظمة الايجاد.[٥٠]

وتجدر الاشارة إلى أن الحرب الاريترية الأثيوبية قد ألقت بظلالها ومضاعفاتها داخل جيبوتى خاصة من جراء محاولة اريتريا زغزعة أستقرار خط سكة حديد أديس - جيبوتى ، حيث تلجأ اريتريا لدعم قوى المعارضة فى جيبوتى والممثلة فى جبهة أستعاده الوحدة والديمقراطية وقد حذر وزير خارجية جيبوتى « محمد موسى » فى أبريل عام ١٩٩٩ من تصرفات اريتريا التى قد تشكل حربا حدودية من البلدين[٥١].

(ب) إثيوبيا وكينيا:

وفيما يتعلق بكينيا وأوغندا، جدير بالذكر أن ثمة توتر كان قد حدث بين البلدين أثر فقرار بعض المسئولين فى نظام منجستو فضلا عن فرار بعض فلول الجيش المنهار إلى كينيا ، ولكن البلدين تمكنا من تسوية هذه الخلافات مع نهاية عام ٩١، وقد ساعد على ذلك كونهما عضوين فى منظمة الإيجاد ، ودورهما السابق فى التنسيق ضد طموحات الصومال القومية. وهناك الآن لجان مشتركة لمتابعة جوانب التعاون المشترك فى كافة المجالات، هذا رغم وجود قدر من الحساسية الناجمة عن التنافس بصدد الدور الإقليمى لكينيا ووساطاتها فى عدد من مشاكل المنطقة ، سواء فى السودان أو الصومال أو غيرها[٥٢] .

(ج) إثيوبيا وأوغندا:

أما بشأن أوغندا ، تجدر الإشارة إلى أن العلاقات الأثيوبية - الأوغندية ، لها قنوات معينة للتنسيق والتعاون رغم عدم وجود مصالح ثنائية مباشرة أو حدود مشتركة. فكلا البلدين عضو فى منظمة الإيجاد ، كما أن كلاهما عضو فى السوق المشتركة لشرق أفريقيا COMESA. وقد ساعدت المظلة الأمريكية لكلا النظامين فى تنسيق موقفهما من الصراع فى منطقة البحيرات العظمى حيث كان لأوغندا الدور الأعظم ، وكذلك بالنسبة للصراع فى السودان وحوله .

غيـر أن نظام الحكم المختلف فى البلدين، من حيث أقترابة أو ابتعاده عن الديمقراطية، فضلا عن التنافس حول الدور الإقليمى ، فضلا عن تورط كل منهما في حرب إقليمية مع دول الجوار قد تكون من الأسباب التى تقلل من مصداقية الحديث عن « الكتلة الأفريقية الجديدة» أو النخبة الجديدة من القيادات الأفريقية ذات التوجه المشترك ، والتى يعد كل من ميليس زيناوى وموسيفينى من أبرز عناصرها(٥٣).

ثالثا: أثيوبيا فى التجمعات الإقليمية (الفرعية):

تميزت سياسات أثيوبيا الإقليمية ، بعدد من التوجهات الأساسية أبرزها ، فيما يتعلق بالمرحلة السابقة ، مايلى:

١ - مقاومة المساعى المصرية، وغير المصرية لبناء نظام إقليمى أو تجمع يبنى على فكرة إنشاء منظمة لدول حوض النيل. من هنا ، يلاحظ أن أثيوبيا لم تشترك، حتى عام ٩٨، فى أى جهد ثنائى أو جماعى لدفع التعاون فى هذا الميدان خاصة مع الجانب المصرى. فضلا عن أعتراضها على الاتفاقيات والمعاهدات الدولية، سواء ما وقع منها مع إثيوبيا إبان الاستعمار الأجنبى (إتفاقية ١٩٢٩)، أو بين مصر والسودان ١٩٥٩، فقد أتخذت موقفا معارضا لتجمع « الاندوجو» وهو التجمع الذى أقيم بناءا على مبادرة مصرية ، وعقد أول إجتماعاته عام ١٩٨٣ وكان الغرض منه التعاون الفنى وتبادل الخبرات فى الإطار الإقليمى لدول حوض النيل . غير أن أثيوبيا أنضمت (كمراقب) فى آخر إجتماع للاندوجو عام ١٩٩١، حيث توقفت بعدها إجتماعاته وتجمد . وكان الموقف الأثيوبى - ومازال - يقوم على الاعتقاد بأن الاندوجو يسعى لخدمة مصالح مصر المائية بالدرجة الأولى، وأنه ينبغى التعاون فى أطر ثنائية أو متعددة الأطراف التقييم احتياجات كل دولة من المياه وكيفية الوفاء بها .

(ب) التوجه الأثيوبى للانضمام لتجمعات أخرى بديلة، وبعيدة عن مصر. كالانضمام (أولا) لمنظمة التجارة التفضيلية PTA التى تأسست فى بداية الثمانينيات وتحولت لسوق مشتركة COMESA فى عام ١٩٩٤. وهي تعنى بالتعاون الأقتصادى والتجارى بين دول شرق وجنوب القارة الأفريقية .(٢١دولة الآن بعد أنضمام مصر)

كما أنضمت أثيوبيا كعضو فى منظمة الإيجاد IGAD، الهيئة الحكومية للتنمية ، والتى كانت تعرف فى البداية باسم الهيئة الحكومية لمكافحة الجفاف والتصحر IGADD منذ عام ١٩٨٦ وتضم مجموعة من الدول تقع كلها فى القرن الأفريقى وحوض الينل وهى : أثيوبيا - إريتريا - جيبوتى - الصومال - السودان - كينيا - أوغند - وقد تطورت إجتماعات هذه المنظمة لتشمل أغراضا أخرى بخلاف التنمية ، كالعمل على تسوية النزاعات وإحلال السلام فى المنطقة المعنية ، (ومقرها جيبوتى) ولها مانحون دوليون ، من الدول والمؤسسات الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة . وغيرها مثل ، انجلترا، فرنسا ، المانيا ، أيطاليا ، الدنمارك ، فتلندا، هولندا ، بلجيكا، السويد، سويسرا، كندا، النمسا، اليابان ، فضلا عن المفوضية الأوروبية، والأمم المتحدة، البرنامج الانمائى للامم المتحدة، البنك الدولى . . . ألخ . وبوجه عام حاولت أثيوبيا استخدام الايجاد كمظلة إقليمية فرعية لتمرير سياستها تجاه المنطقة ، وإبعاد القوى المنافسة، كما حدث بشأن الصراع فى السودان ، أو فى الصومال ، غير أن الفشل الذى منيت به هذه المنطقة فى إيجاد تسوية لهذه النزاعات يعتبر ضربة قاصمة للتوجهات الإقليمية الأثيوبية وللإيجاد عموما . كما أن النزاع الأثيوبى الإريترى أضاف سبباً مهماً لعدم مصداقية هذه المنظمة وعجزها الكامل ، عن أن تمثل البديل الأقليمى المناسب للقيام بأعباء حفظ السلام وحل النزاعات وتوفير إطار أقليمى للتنمية .

وبالرغم من أن مصر قد دخلت هذه المنظمة، بصفة مراقب لأصدقاء الايجاد فى إطار منتدى أصدقاء الآيجاد، فأن التفاعل المصرى الأثيوبى، ينبغى أن يتم تفعيله أكثر فى الأطر الاقليمية ، خاصة فى إطار الكوميسا فى المرحلة الراهنة .

وبالرغم من الانتصار الذى حققته إثيوبيا على إريتريا فى حرب الحدود، وما رافق ذلك من إتجاهات - غير رسمية - تدعو لدور إثيوبى أنشط فى اطار القرن الإفريقى الكبير، وحوض النيل[٥٤] فان التعاون المصرى الإثيوبى فى المنطقة ربما يكون حجر القاعدة والأساس لبناء نظام إقليمى للتعاون والتنمية والسلام فى منطقتى حوض النيل والقرن الأفريقى .

هوامش الدراسة

(1) Professor Negssay Ayele, "The Foreign policy of, Ethiopia" in lajiole Aluko (ed) The foreign Policies of African States (London Sydlny Aucklond: Hodder And Stoughton, 1977), pp.49

وأيضا :

أكاديمية ناصر العسكرية العليا - مركز الدراسات الاستراتيجية ق.م ، أثيوبيا (سياسيا أقتصاديا - إجتماعيا - عسكريا) دراسة حالة (مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة، أبريل ١٩٧٧) ص ص ١٥-١٦.

(٢) د. محمود محمد أبو العنين، حق تقرير المصير مع دراسة مقارنة لقضيتى إريتريا والصحراء الغربية ، رسالة دكتوراه، معهد البحوث والدراسات الأفريقية - جامعة القاهرة و ١٩٨٧، ص ٣١٢ ومابعدها .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣١٥.

(٤) المرجع السابق ، ص ٣١٦ .

(5) Prof. Negussay Ayele, op.cit., pp.50-51

(٦) محمود محمد أبو العنين ، م. س. ذ ص ٥١٣.

(٧) د ، محمود محمد أبو العنين، « التعددية العرقية ومستقبل الدولة الأثيوبية » ، بحث القى فى المؤتمر العالمى للدراسات الأفريقية بالخرطوم، ومنشور فى مجلة الدراسات الأفريقية ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية - جامعة القاهرة، العدد الخاص ١٩٩٤، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٩٥، ص٥١.

(٨) المرجع السابق مباشرة، ص ص ٥٢ - ٦٢ . وأيضا :

Africa South of the Sahara 1995, london: Europe Pudslicationd Limites, 1996, P.T 375& p.384.

(٩) د. محمود محمد أبو العينين، « التعددية العرقية . » ، م س ذ ، ص ٦٨ وما بعدها .

(١٠) أكاديمية ناصر ، أثيوبيا سياسيا وأقتصاديا ، م س ذ، ص ٤٣ .

وأيضا : Prof. Negussay Ayele , op . cit., p. 51.

(١١) أكاديمية ناصر . . . أثيوبيا سياسيا وأقتصاديا ، م س ذ، ص ص ٤٣-٤٤.

(12) Theodros S.Dagne, Ethiopia: The Struggle for Unity and Democrocy, Congressional Rescarch Sevice (CRS), Report for Congress, The Library of Congress, June 20, 1992.pi.

(١٣) أنظر بوجه عام ، جمال محمد السيد ضلع ، النظام السياسى الأثيوبى منذ عام ١٩٦٠، رسالة دكتوراه ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية - جامعة القاهرة ، ١٩٩٧ .

(14) The Constitution of the Federal Republic of Ethiopial (Addis Ababa, 8 December 1994).

(15)Africa Confidential. "Ethiopia: Looking Federal" vol. 36, No 19, 22 September 1995., pp.5-6.

(١٦) وزارة الخارجية المصرية ، التقرير السنوى عن أثيوبيا لعام ١٩٩٤.

(١٧) إطار للتعاون بين جمهورية مصر العربية وأثيوبيا ، نص الاتفاقية الموقعة فى القاهرة فى الأول من يونيو ١٩٩٣.

(١٨) وزارة الخارجية المصرية ، التقرير السنوى عن أثيوبيا ، م س ذ.

(١٩) غادة حضر ، « المشروعات الأثيوبية وأنعكاساتها على حصة مصر من مياه النيل » السياسية الدولية ، العدد ١٢٨، أبريل ١٩٩٧، ص ص ١٤٤ .

(٢٠) د. محمود أبو العنين، سياسة مصر الخارجية تجاه دول منطقة القرن الأفريقى ، فى القرن الأفريقى - تقرير موقف ورؤية مستقبلية ٩٧- ٢٠٠٠ (القاهرة : مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة - أكاديمية ناصر العسكرية العليا ، سبتمبر ١٩٩٨) ، ص ٣٦ .

(٢١) تصريحات رئيس الوزراء الأثيوبى « ميلس زيناوى» للحياة ، جريدة الحياة العربية ، الثلاثاء ٧ ينسان (أبريل) ١٩٩٨، ص ٥ .

(٢٢) وزارة الخارجية المصرية ، التقرير السنوى . . . م س ذ.

(٢٣) السفيرة / فايزة أبو النجا (نائب مساعد وزير الخارجية المصرى للعلاقات الثنائية) فى محاضرة بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية - جامعة القاهرة، بعنوان « أتفاق القاهرة والمصالحة الصومالية » ، بتاريخ ١٩٩٨/٣/٢٣ وأنظر كذلك بعض التفاصيل حول المصالحة الوطنية فى الصومال : -

د. نجوى أمين الفوال ، « الدبلوماسية المصرية والمصالحة الوطنية فى الصومال » ، السياسة الدولية ، العدد ١٣٢، أبريل ١٩٩٨، ص ١٧٧ وما بعدها .

(٢٤) المرجعان السابقان .

(٢٥) وزارة الخارجية المصرية التقرير السنوى . . . ، م س . ذ .

(٢٦) إريتريا الحديثة (جريدة إريترية تصدر حاليا ثلاث مرات فى الأسبوع) ، السنة السابعة ، العدد ١٠٨، السبت ١٩٩٨/٥/٩ .

(٢٧) د. محمود أبو العنين ، مواقف وسياسات القوى الإقليمية تجاه الثورة الإريترية ١٩٦٢ - ١٩٩١، فى د. عبد الملك عودة (مشرف ومحرر) إريتريا : دراسة مسحية شاملة

(معهد البحوث والدراسات العربية - التابع لجامعة الدول العربية ، ١٩٩٦) ، ص ص ١٦١ - ١٦٤ .

وأنظر كذلك المؤلف :

إريتريا فى ظل الحكومة الإريترية المؤقتة - التحديات الداخلية والمتغيرات الدولية (القاهرة : الجمعية الأفريقية بالقاهرة ، ١٩٩٣) ، ص ٩٣ وما بعدها .

(٢٨) المرجع السابق مباشرة، ونفس الصفحات وكذلك وزارة الخارجية المصرية التقرير السنوى . ، م س ذ.

(٢٩) أكاديمية ناصر العسكرية العليا- مركز الدراسات الاستراتيجية ، أثيوبيا - سياسيا - أقتصاديا - م س ذ، ص ١٤١ وما بعدها .

(٣٠) د . إبراهيم نصر الدين ، العلاقات السياسية لدول القرن الأفريقى، فى : القرن الأفريقى تقرير مؤقت ورؤية مستقبلية (١٩٩٧ - ٢٠٠٠)، م س ذ ص ١٢-١٣ وكذلك : أثيوبيا - سياسيا وأقتصادية . . م س ذ، ص ١٤٢ وما بعدها . إضافة لحوار ميليس زيناوى للحياة ، م س ذ .

(٣١) د. محمود أبو العنين ، إريتريا فى ظل الحكومة الإريترية المؤقتة . م س ذ، ص ٨٣ .

(٣٢) المرجع السابق مباشرة ، ص ٨٤ .

(٣٣) وزارة الخارجية المصرية ، التقرير السنوى ، م س ذ ، وكذلك > أكاديمية ناصر العليا - مركز الدراسات الاستراتيجية ، أثيوبيا - سياسيا وأقتصاديا ، م س ذ، ص ١٣٧ - ١٤٠ .

(٣٤) الرئيس الإريترى فى حديث الاهرام « أصل النزاع مع أثيوبيا الأفكار التوسعية للقوة الحاكمة فيها ، الأهرام ، ٢٨ ى،نيو ١٩٩٨ .

(٣٥) حوار الأهرام مع رئيس الوزراء الأثيوبى . ميليس زيناوى ، الأهرام ، ٣ يوليو ١٩٩٨ .

(٣٦) السفارة الإريترية بالقاهرة ، خريطة وزعتها السفارة الإريترية بالقاهرة أبان النزاع الحدودى .

(٣٧)حديث الرئيس الإريترى للأهرام ، ٢٨ يونيو ١٩٩٨ .

(٣٨) توصيات الوسطاء الولايات المتحدة ورواندا ، السفارة الأثيوبية بالقاهرة .

(٣٩) النص (العربى) ، لاقتراحات وفد منظمة الوحدة الأفريقية رفيع المستوى ، الخاصة باتفاقية أطار العمل من أجل تسوية سلمية للنزاع بين اريتريا واثيوبيا ، السفارة الأثيوبية بالقاهرة.

(٤٠) وسائل تطبيق إتفاقية إطار عمل منظمة الوحدة الإفريقية حول النزاع بين أثيوبيا وإريتريا (السفارة الأثيوبية بالقاهرة مذكرة للسفارة الإريترية).

(٤١) نص وثيقة ، الترتيبات الفنية لتنفيذ إتفاقية إطار عمل منظمة الوحدة الإفريقية ووسائل تطبيقها، (السفارة الأثيوبية بالقاهرة) . وأيضاً : إريتريا الحديثة . "النقاطالرئيسية فى التدابير الفنية لمنظمة الوحدة الأفريقية "تعد ١٥٣ ، السبت ١٩٩٩/٨/٢١ .

(٤٢) إريتريا الحديثة بيان رسمى صادر عن منظمة الوحدة الإفريقية بشأن محادثات الجزائر غير مباشرة بين إريتريا وأثيوبيا ، الخميس ، ٢٠٠٠/٥/١١ .

(٤٣) إريتريا الحديثة السبت ٢٠٠٠/٥/٢٠ ، السنة التاسعة ١٢٣ "مجلس الأمن قرار جائر برفض حظر بيع الأسلحة على إريتريا .

(٤٤) Proposal of the OAU for an Agreement on Cassation of Hostilities of the Federal Democratic Republic of Ethiopia and the Government of the state of Eritrea .(11 jun 2000).

(٤٥) د. أحمد حسن دحلى ، "الأزمة الصومالية : أبعادها التاريخية وتطوراتها السياسية وآفاقها المستقبلية" إريتريا الحديثة ، السنة الثامنة ، العدد الخامس ، ١٩٩٨/٩/١٠ ، ص ٧

(٤٦) الأمه من عام "الصومال والقرن الأفريقى" (القاهرة . مركز الدراسات الحضارية ، ١٤١٤ هـ ١٩٩٣- ١٩٩٤) ، صص٣٣٧ – ٣٣٨ .

(٤٧) المرجع السابق ، ص ٣٣٨.

(٤٨) د. محمود محمد أبو العنينين ، سياسة مصر الخارجية تجاه دول منطقة القرن الإفريقى، فى القرن الإفريقى – تقدير موقف ورؤية مستقبلية.م س ذ ، ص ٤٠

(٤٩) المرجع السابق ، ونفس الصفحة .

(50) Lionel Cliffe , Regional dimertions of Conflicts in the Horn of Africa, Third world Quartarly , vol ./ 20 No. 1, 1999, PP. 94 - 95

(٥١) أكاديمية ناصر العسكرية العليا – مركز الدراسات الإستراتيجية ، أثيوبيا – سيساسيا وأقتصادية ٠٠م س ذ ، ص ص ١٤٠ – ١٤١ .

(٥٢) المرجع السابق ، ص ص ١٤٨ – ١٤٩ .

(٥٣) حول الكتلة الإفريقية الجديدة ، ودور كل موسيفينى وزيناوى فيها ، أنظر

Dan Commell and Frank , "African new Bloc" Foreign Affairs , March , April 1998 , PP83 - 87

(٥٤) حول بعض هذه الأصوات التى أرتفعتأخيراً خاصة بعد الحرب ، تلك الدراسة التى أعدها محمد يونس فى أحد المجلات الأسبوعية الأثيوبية "ذى ريبورتر" وعلق عليها الأستاذ الدكتور عبد الملك عودة فى جريدة الأهرام ، أنظر : د.عبد الملك عودة ، "الدور الأثيوبى القادم فى حوض النيل" فى الأهرام ٢يوليو ٢٠٠٠ ، ص ١٠ .

تم الطبـع :
بمطبعة جامعة القاهرة
مديرعام المطبعـة .
محمد عمر عبد العال .
٢٠٠١/٣/١٧

﴿ مطبعة جامعة القاهرة ٦٩١ / ٢٠٠٠ / ٥٠٠ ﴾

Yousef, Shahinaz Mustafa, and Hady A.. 1993: A search for Indications Of Solar Activity From Tree-Rings . Bulletin of the Faculty of Science of Cairo university.61 ,261.

Yousef, S.M. and Khaleel. N.1994 : Latitudinal effect on Precipitation and its Relation To Solar Activity. In Water In The Arab World conference, organized by the Egyptian Geographical Society. 26-28 Nov.

Yousef, Shahinaz Mustafa, and El Raey M.1995: Major Solar Episodes Reconstructed Using Records of The River Nile, Tree-Ring Indices and Sunspots. Bulletin De L'Institut D'Egypte. Tomes LXXIV, p 76.

Yousef, Shahinaz Mustafa,.1995:.The Downturn Of Solar Activity During The Forthcoming Three Cycles. Bulletin of the Faculty of Science of Cairo university ,65, 185.

Yousef, Shahlnaz~Mustafa,.1999: Romanian Astronomical Journal ,In Press.

REFERENCES

Burroughs,William James 1994: Weather Cycles.Real or Imaginary?. Cambridge University Press. Great Britain.

Currie,R.G. 1981: J.Geophys. Res 86 11005

Currie,R.G. 1983: Geophys. Res. Lett.,10,1092

Currie, R.G 1991: Ann Geophysicae 9 , 71

Gleissberg ,w.1971 ; Solar Physics ,21 ,240.

Herman, J.R.and Goldberg, R.A.1978: Sun ,Weather and Climate. Dover publications,Inc. New York.

Kamil,Abd ul-Aziz, 1966, Bulletin De La Societe De Geographie D'Egypte.Tome XXXIX ,1

Kane,R.P. and Trivedi N.B. 1985: J.Geomagnetic ,Geoelctric. 37,1071.

Kocharov G.E.1990 :Methods of Dendchronology, E . R.Cook and L.A.Kairiukstis (eds) , 289.

Murphy,J.o.,1991.: Proc.Australian Astronomical Association ASA 9,(2)330

Negm,A.M.,Attia, B.Bland owais,T.M.1989: International Seminar on Climatic Fluctuations and water management. Cairo Egypt.

Sami,A.1916: The Nile Calender.Egyptian Government Publications.

Shaltoot,H.A. and Tadros,H.T.Y.1989: Mausam, 393

Siscoe,G.L.,1978 : Nature, 276,348.

statgraphics 1986: Users Guide

Toussoun ,Prince omar,1925.Memoire sur les Anciennes Branches Du Nil,Epoque Arab.Hem . Bulletin De L'Institut D'Egypte.

Ward,Roy.1978: Floods,A geographical perspective Focal Problems in Geography Series,The Macmillan Press LTD,Lpndon and Basing stoke.

Yousef, Shahinaz Mustafa,.1993 a: Tree-Ring Chronology From British Colombia. Bulletin of the Faculty of Science of Cairo university ,61,247.

Yousef, Shahinaz Mustafa,.1993 b: Solar Periodicities During The Medieval Maxima, Maunder and Spörer Minima . Bulletin of the Faculty of Science of Cairo university ,61,323.

Yousef, Shahinaz Mustafa,.1993 c: Solar Eclipse In Dating The Prophet Ibraheem. Bulletin of the Faculty of Science of Cairo university ,61, 237.

periphery. The width of zone of maximum tidal effects amounts to 300-500 km. in longitude , When the atmospheric tides are formed over regions of precipitation formation ,e.g. above an ocean, the droughts may be manifested over very large territories (Yavorskiy 1977 and Kocharov 1990).

During the interval (887-1128). the strongest periodicity in Equatorial water and the fourth in strength of maximum flood level was the 14.8 yr. periodicity. According to Burroughts(1994), the Nile periodicity during the time of the prophet Yusof was 14 years. Finding the 14 yr. cycle in Nile water may imply that the period (887-1128 AD) was similar in some respects to the (2250-2100 BC) interval. This is supported by the fact that during the AD period 8 years of droughts appeared in several parts of the world.

It was found from studies of proxy data from Chile that the strongest solar periodicities is time-variable, it was 11.23 during the very strong activity that persisted during the Medieval maximum (1135-1280 AD). During periods of solar inactivity, e.g. the Spörer minimum (1450-1540 AD), the strongest solar periodicity was the Hale magnetic 22.5 yr., while during the Mauder minimum (1645-1715), the luni-solar nodal term of 17.5 yr. was the dominant periodicity (Yousef 1994).

The balance between the contributions of the two sources of the Nile and their inverse dependency on solar activity is a mercy from God the Almighty

"AND WE DESCEND FROM HEAVENS A MEASURED AMOUNT OF WATER THEN WE DWELT IT IN THE EARTH"

Surat Al Mominoon 18"

The Holy Quran

x- Acknowledgement

I would like to thank my mother Mrs. Ikram El-Attar for without her help it would have been impossible to carry out this research.

Gleissberg cycle and the 51-53 yr. cycle. The 133 yr cycle is the second strongest in Equatorial water (622-1420), while the 80 solar cycle is strong in Equatorial water and the 53 yr. cycle is the strongest in Equatorial in cycle I and in Maximum flood water cycle I.

Negative cross corelation between the Equatorial and Ethiopian componets occur during the 80 cycle that change to positive correlation over the following 53 years.

c- A fundamental cycle of (266(l) year exists between two successive maxima.

The existence of a 266 year solar episode is thus proposed.

Cross correlations between each of the Equatorial and Ethiopian components and sunspot number indicates the 11 yr. cyclicity in the two components and that at a given time one of them is positively correlated with the sun while the other is negatively correlated. The situation reverses for each the Wolf-Gleissberg of the order of about 80 years.

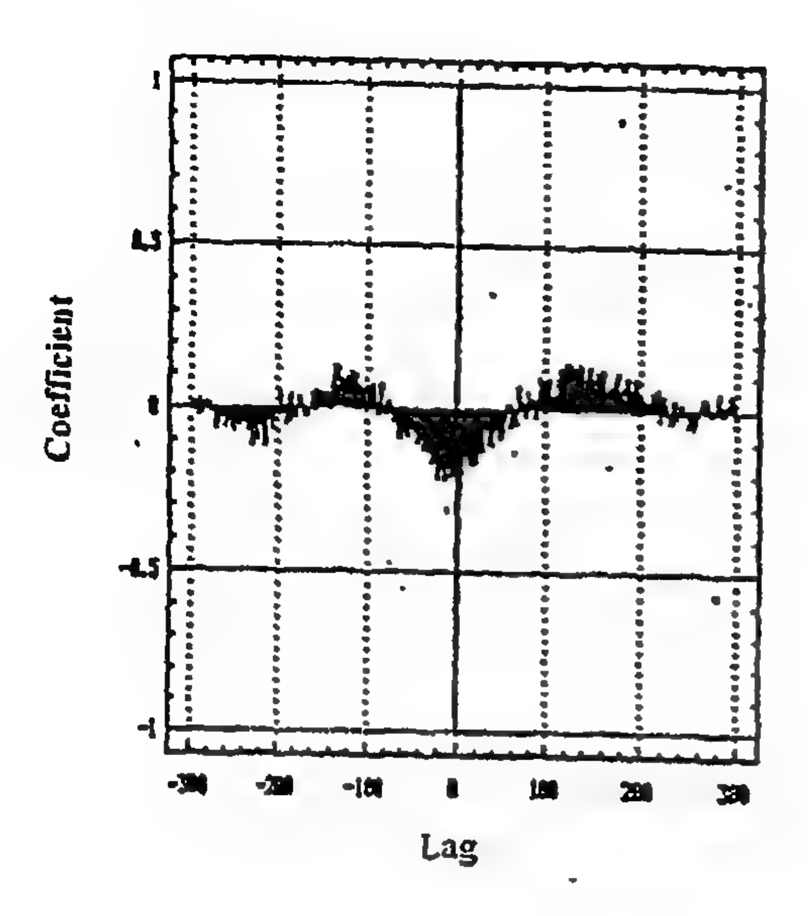
The 22 year solar Hale magnetic cycle influence only Equatorial water, While periodicities of the order of 2 -3 years are very strong in Ethiopian water. This remains an open question.

Luni-Solar term is evident in Nile Water . It can be of a value of 18.86 yr. at times. It is time dependant. At a certain time domain , this term can have the strongest influence on Nile water.

lunar and solar semidiurinal tides arise from the orbital characteristics of the moon and sun respectively. The lunar nodal tide induces an 18.6 years quasi-stationary standing atmospheric wave, The distribution of the maxima of solar and lunar gravitational tidal forces on the atmosphere and waters of the earth is very important. These tidal forces lead to the formation of blocking anti cyclones and to changes in the character of the atmospheric circulation (Yavorskiy 1977 cited in Kocharov 1990). Droughts appear in the zone of such

anti- cyclones ,with considerably increased precipitation observed around its

Fig (5) : Cross-correlation between Ethiopian and Equatorial water for the whole set of data.



IX-CONCLUSION

Solar influence on the two components of the Nile water , namely the Equatorial and Ethiopian , has been proved through the existence of the 80 , 22 and 11 year cycles.

Cross correlations between the Equatorial and Ethiopian components for the period 622-1467 AD.,Fig (5) proves that:

a-The two variables are negatively correlated , at zero lag the correlation coefficient is - 0.8. b-It changes from negative to positive correlations gradually over a cycle of 133 years (average) reaching zero lag at about 80 years average delay.

The 133 yr = 80 yr. + 53 yr.

= Wolf- Gleissberg cycle + 53 solar cycle

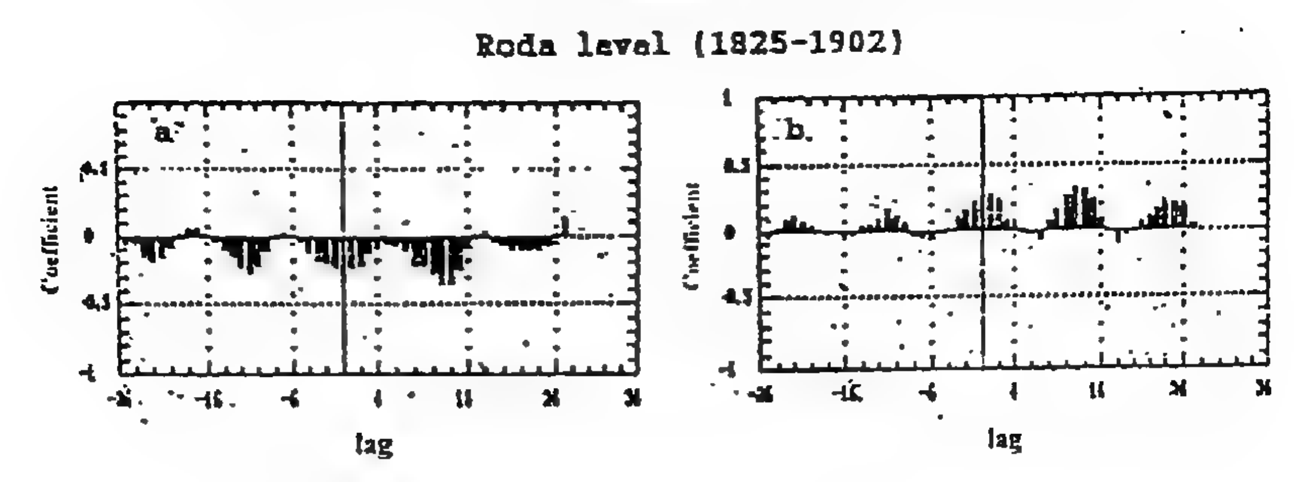
In other words the 133 yr. cycle is the sum of two solar cycles , the 80 yr.Wolf-

Fig 4: Cross-Correlation Functions.

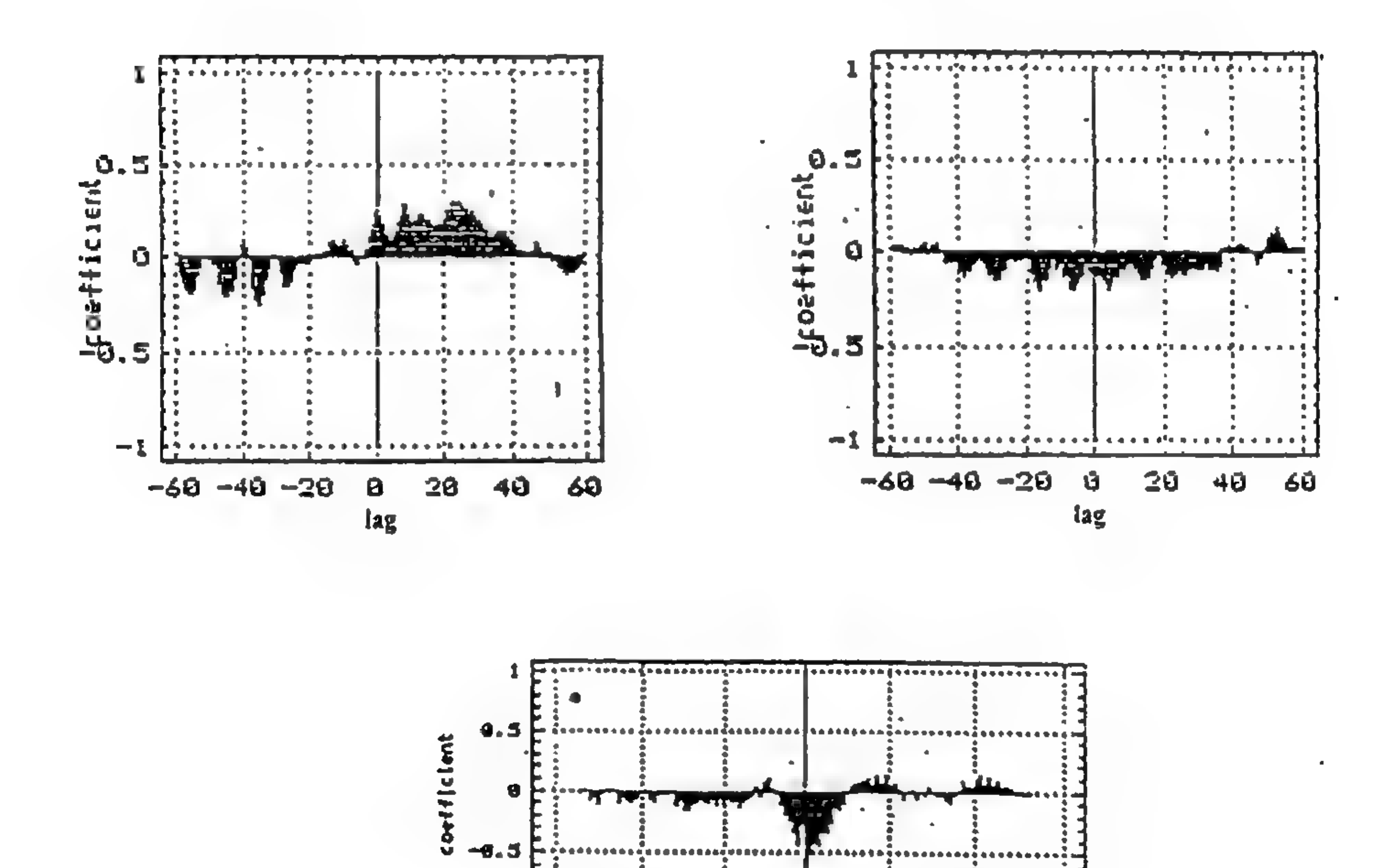
a,c between sunspot number and Minimum Nile water

b,d between sunspot number and Ethiopian water.

Roda level (1825-1902)

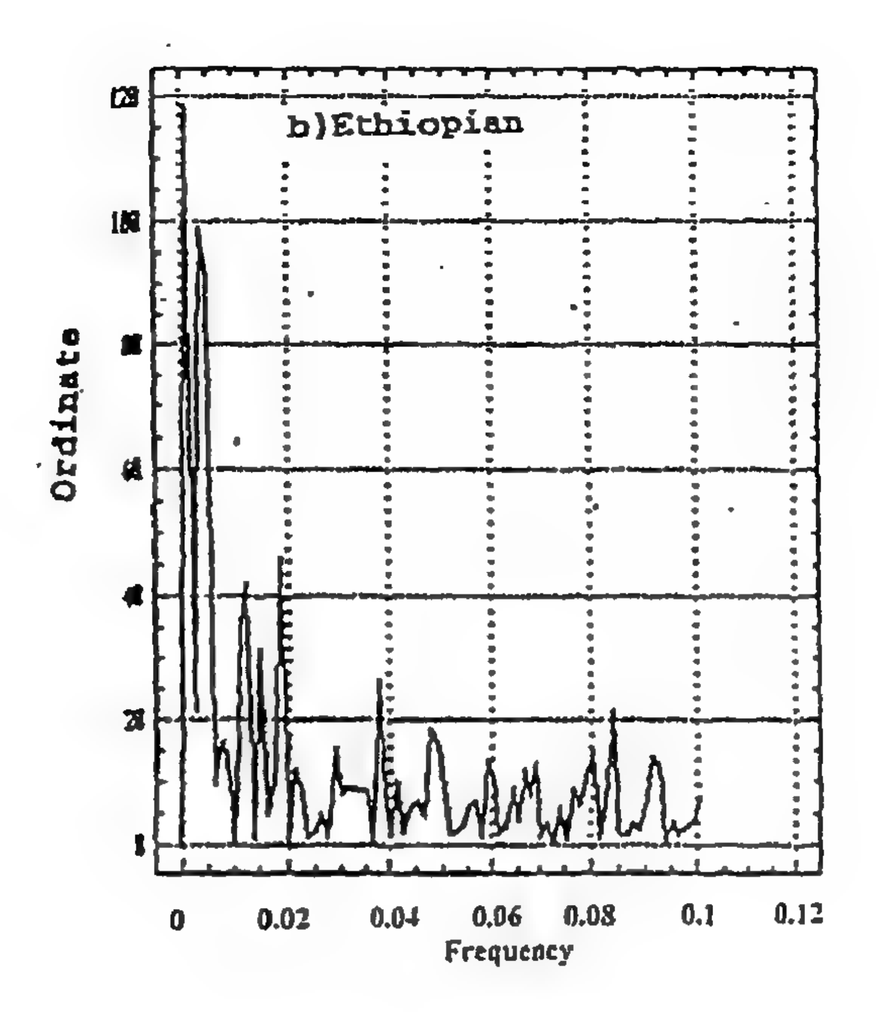


Natural river disharge (Aswan 1903-1987)



e)Cross-Correlation between Equatorial(Min)and Ethiopian discharge downstream Aswan(1870-1973)

Fig (3) : Enlarged sections of Nile water periodograms presented in for periods > 10 years



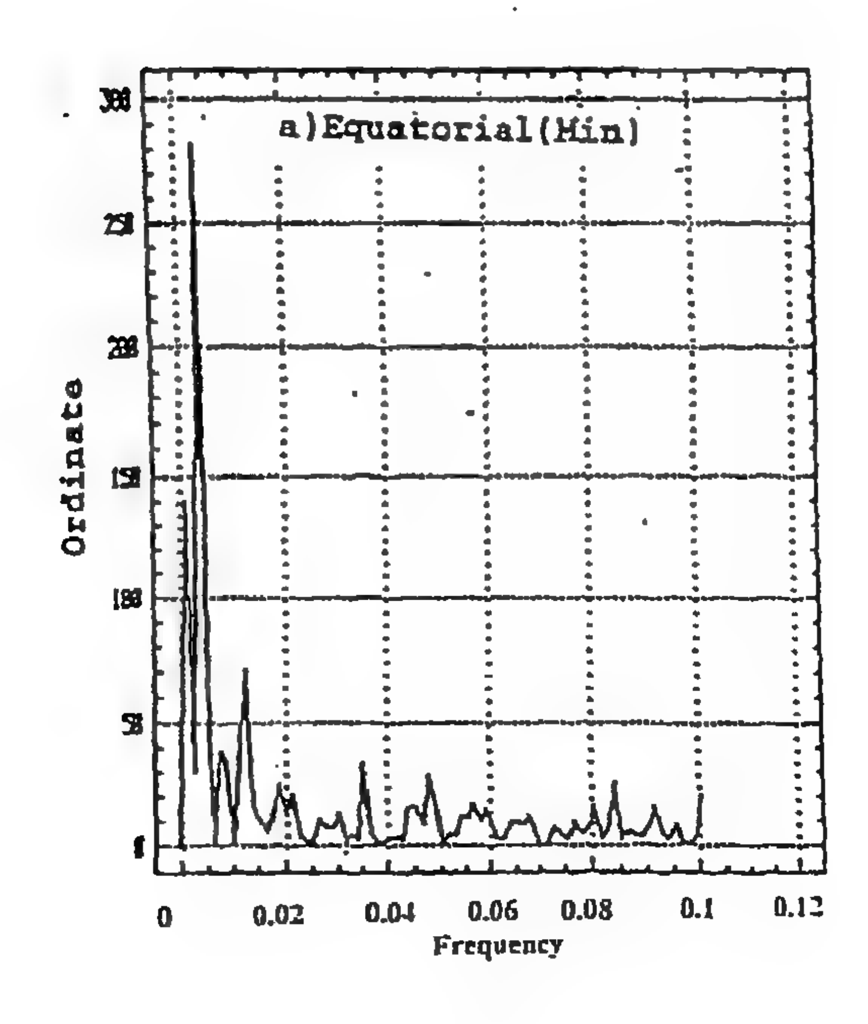
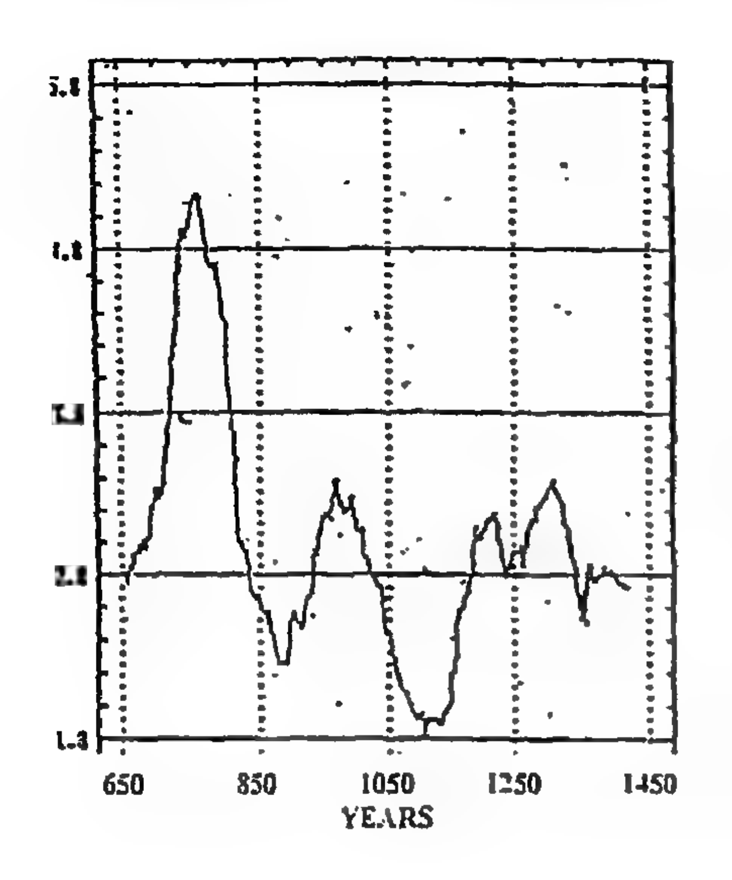
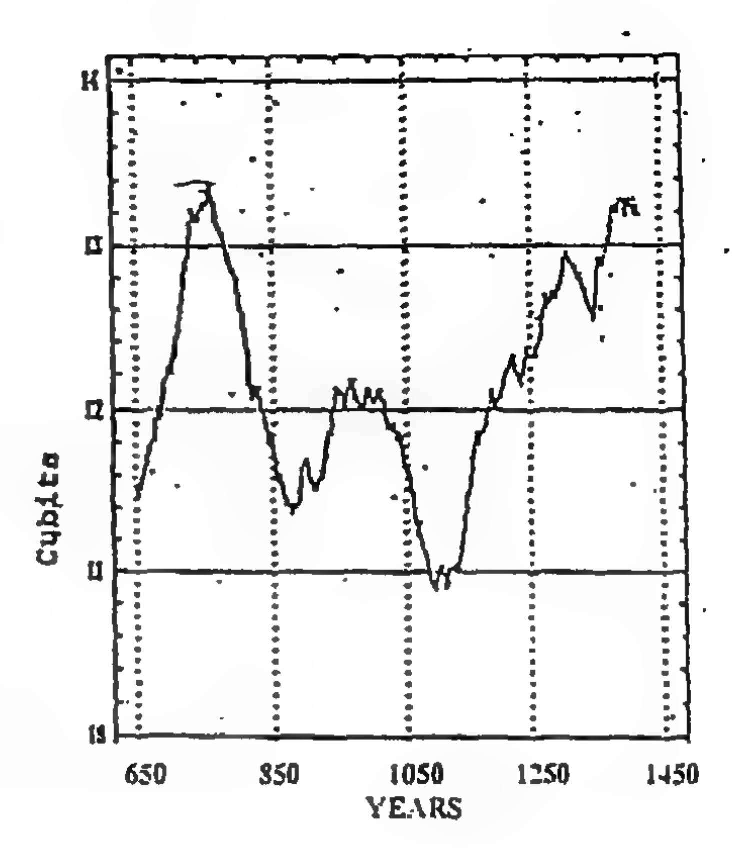


Fig 2 :79 years smoothed Nile hydrographs showing Nile cycles.

c)Ratio (Ethiopian/Equatorial).



b)Ethiopian water.



a)Equatorial (Min) water.

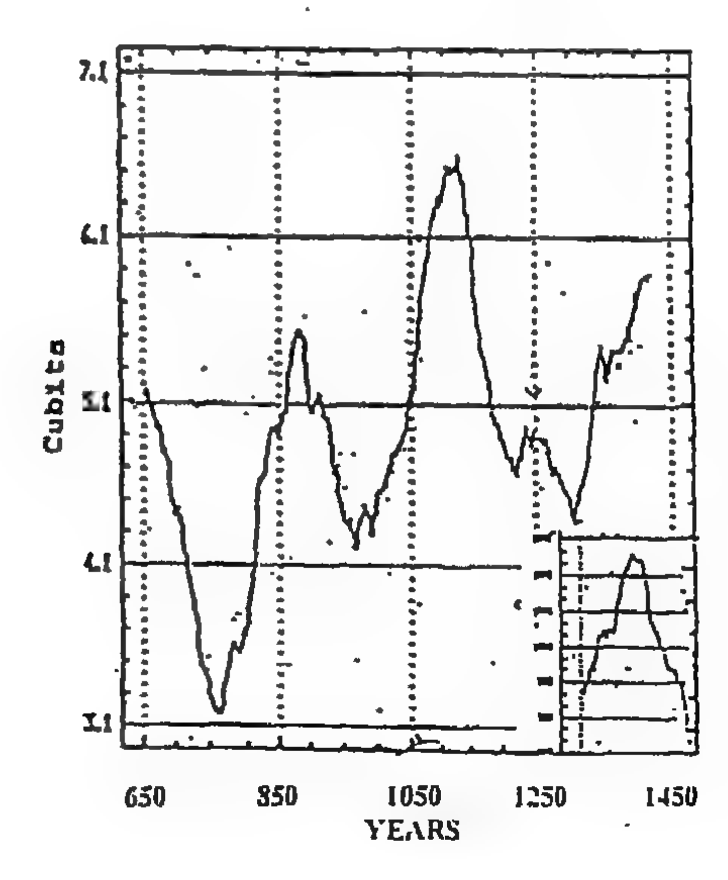
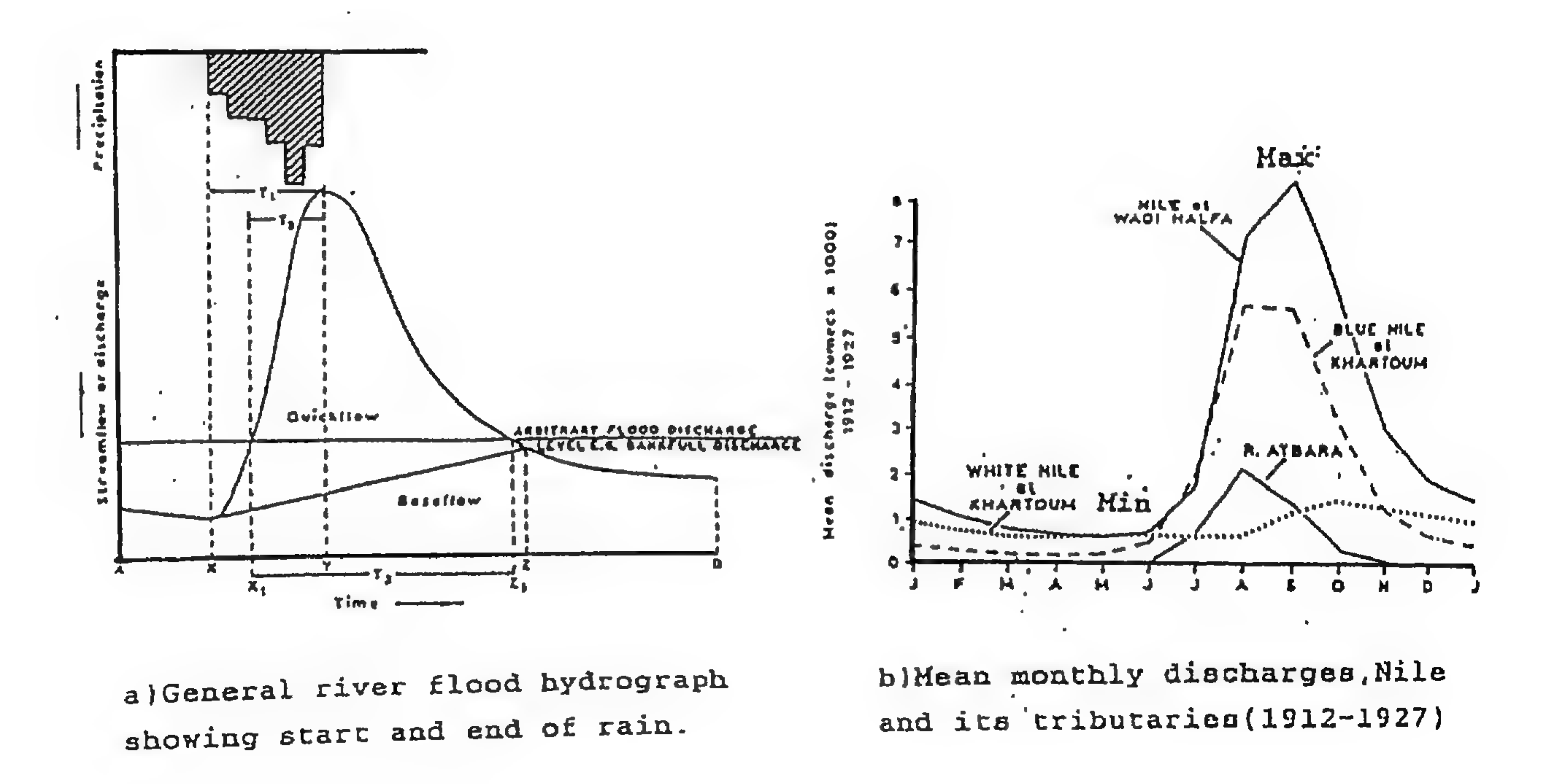


Fig. (1): River Hydrograghs (a & b after Ward 1978 and references therein)



a) General river flood hydrograph showing start and end of rain.

b) Mean monthly discharges, Nile and its tributaries (1912-1927)

TABLE 3

LUNI-SOLAR NODAL PERIODICITIES DETECTED IN NILE WATER

PERIOD	PERIODICITIES						
622-1467							
EQUATORIAL			17.73	16.98			14.78
ETHIOPIAN				16.98	15.65	15.06	15.54
NILE CYCLE 1 622-886 AD							
EQUATORIAL		18.86					14.67
ETHIOPIAN				16.6			
NILE CYCLE 2 887-1128 AD							
EQUATORIAL		18.5					14.8*
ETHIOPIAN	20.18						14.8
NILE CYCLE 3 1229-1467							
EQUATORIAL	20.16			16.13			
ETHIOPIAN	20.16						14.3
1870 - 1645							
EQUATORIAL		19.0*					
ETHIOPIAN		19.0					
1870 - 1988							
EQUATORIAL				16.85			
ETHIOPIAN							

* strongest periodicity

TABLE 2

CHARESTERISTICS OF SOME RECENT SOLAR-WOLF-GLEISSBERG CYCLES

CYCLE	1	2	3	4
DURATION OF MIN		21797-1823	1877-1913	1997-2032
SMOOTHED MIN		1810-1811	1901	2009
SMOOTHED MAX	1779-1780	1838-1840	1957-1958	
SECONDARY MAX		1860	1981	

slit in lakes) which reflect changes in temperature, rainfall, evaporation and storminess from various lakes in the European part of the former USSR indicate periodicities in the range 2 to 3 ,5 to 6 and 10 to 12 years (Burroughs 1994 and references therein).

TABLE 1

SOLAR PERIODICITIES FOUND IN NILE WATER

PERIOD	PERIODICITY											
622-1467												
Equatorial	226	133			79.8	55.7	22.2	12.5	11.9	10.9	9.1	8.1
Ethiopian	226	133		88.7	79.8			12.9	12.1	10.9	9.1	8.6
NILE CYCLE I 622-886 AD												
Equatorial				88		52.8	22	12.6	11.5	10.6	8.8	
Ethiopian						52.8		12.6			8.9	
NILE CYCLE 2 887-1128 AD												
Equatorial							22.2		11.7	10.6		8.2
Ethiopian					80.6						8.9	
NILE CYCLE 3 1229-1467 AD												
Equatorial			121		80.6			12.7	11.0	10.1	9.0	
Ethiopian								12.7	11.0	10.1	9.0	
1870 - 1945												
Equatorial								12.7			9.5	
Ethiopian								12.7			9.5	
1870 - 1988												
Equatorial									11.9	10.0		
Ethiopian											9.1	

which in my estimate is around (2250-2100 BC) as it was proved that Young Ibraheem witnessed the 1st of April 2470 BC total solar eclipse at Babel (Yousef 1993 c) which was on the border of the eclipse totality zone (Yousef 1999).

During the period (887-1128), according to Ibn Iyas cited in Sami (1916), the years (1064-1070) were drought years both in Ethiopia and hence Egypt. The years (1045-1052) were drought years in Chile and were followed by droughts in (1059-1066) in British Colombia (Yousef and El Rae 1995). This is an indication of world-wide migration of 8 years of droughts.

VIII-SHORT TERM PERIODICITIES

It is noticed that apart from the above mentioned periodicities, there are other strong periodicities e.g.

1) During the interval 1870-1945,.The strongest periodicity in Maximum flood discharge and in Ethiopian component is 2.71 years while, the 2.37 yr. periodicity is the third in strength in both Maximum and Ethiopian water.

2) In the case of Nile cycle I ,the strongest periodicity for Ethiopian water is 2.91 years

3) The 3.31 and 3.13 years are the strongest and the second strongest for Ethiopian water during the second Nile cycle. In the case of Nile cycle 2, The strongest periodicities are 14.8, 10.09 and 3.31 yr. for Minimum, Maximum and Ethiopian water respectively.

It is worth mentioning that there are seven solar periodicities of varying strength between 2-3.5 years (Yousef and El Rae 1995).

These short periodicities of the order of 2-3.5 yr. have special implications and may be due to periodicities in the sun and are stronger in Ethiopian Water. Tree-rings also show such short term periodicities (Yousef 1994).

Studies of pressure fields in winter over the North Atlantic for the period 1871-1974 produced marked peaks at 2.2,3.4,5 and 11 years (Burroughs 1994 and references therein). Variations of varves thickness (i.e. annual deposite of clay and

periodicity was the Hale magnetic 22.5 yr.

Table 3 lists Nile periodicities attributed to Luni-Solar term during the same intervals given in Table 1.

The presence of the 18.86 yr periodicity indicates the lunar 1influence on Minimum Equatorial water during Nile cycle 1. It is noted that during Nile Cycle 2 (887-1128) denoted by II in Table 3.

Recently, during the period (1870-1945), the strongest periodicity in Equatorial water and in the total annual discharge is 19.0 years. It is the second strongest in the Maximum flood level as well as in Ethiopia ,in agreement with Negm et al, (1989).This periodicity is of no solar origin . It is close to the Lunar nodal year of 18.6.years. We may thus stress the lunar effect on precipitation contributing to the Nile which was much stronger than solar influence during that period. The Luni-Solar term is nonstationary with respect to time and geography ,(Currie 1991) .

It is worth to mention that Sami (1916) and references therein mention that there is a cycle of 16-19 yr. in Nile water as well as in precipitation. Al -Maqrizi more than 600 years ago studied solar and lunar tides in relation to Nile floods (Kamil 1966).

Burroughs (1994) wrote that as far of the Genesis story is concerned ,there seems to be no evidence of a 14-year cycle which could be linked with the seven years of plenty and the seven years of dearth in Nile water. His statement is stimulating however it is not completely right because previous studies looked for periodicities only during the interval (622-1467). It is our privilege that this long time series is divided into three Nile cycles. As a consequence, the 14-8 year cycle was found to be the strongest in Equatorial water in Nile cycle 2 (887-1128). as well as the fourth in strength in maximum flood level during the same period. Moreover, cross-correlation between Ethiopian and Equatorial water in the case of Nile cycle 2 indicates that at zero lag, the correlation coefficient is -0.74 and that there exists a 15 year cycle (Yousef and El Rae 1995). This means that the period (887-1128) may have been similar in some way to the time of the prophet Yusof

VI-CROSS-CORRELATION BETWEEN EQUATORIAL AND ETHIOPIAN WATER

On considering the cross- corelation between the Equatorial and the Ethiopian whole set of data with lag of 300 years , (figure 5), a very clear cycle is shown with the following remarks:

a- The two variables are negatively correlated , at zero lag the correlation coefficient is - 0.8.

b-It changes from negative to positive correlations gradually over a cycle of 133 years (average) reaching zero lag at about 80 years average delay.

c- A fundamental cycle of (266(l) year exists between two successive maxima. This very cycle is found to be the strongest both for Equatorial and Ethiopian water for the whole set of data.

VII -LUMI -SOLAR. TERM

lunar and solar semidiurinal tides arise from the orbital characteristics of the moon and sun respectively. They are responsible for a double wave that acts upon the atmosphere and ocean on the near side of the earth and upon the earth itself to pull it away from its fluid envelop .The tidal force of the moon upon high altitudes is greatest at the nodal epochs, and the tide raising force of the sun on the earth is only about half that of the moon. Currie (1981) proposed that the lunar nodal tide induces an 18.6 years quasi-stationary standing atmospheric wave.

The 18.6 lunar nodal year term is also evident in the Chilean trees (Yousef and Khaleel 1994) in agreement with Currie (1983) who detected 18.6 years from analysis of tree-ring chronology from the Patagonian Andes in southern America. Yousef(1993 b) also found that a lunar nodal year of 17.5 years to be the dominant periodicity in Chile 7 (Gab tree) during the Maunder minimum, while a very strong 11.23 yr. periodicity persisted during the Medieval Maximum and a rather weak 10 year signal during both the Maunder and Spörer minima. During the Spörer minimum (1450-1540 AD), a period of solar inactivity, the strongest solar

influence on Nile water. .During the period 1870 -1945, Nile periodicities were 12.7 and 9.5 yr. in excellent agreement with those of Kane and Trivedi (1985).

In the case of the third Nile cycle , the 11.0 year is the second strongest in minimum water while, it is the fourth in strength for Ethiopian water.

V-CROSS CORRELATION BETWEEN SUNSPOT NUMBER R AND NILE LEVELS

In the following section, the cross correlations between some of the above mentioned solar periodicities and the two components of Nile water are to be discussed.

It is noticed that cross correlation function between the sunspot number and either of the Equatorial and Ethiopian water shows periodicities that varies in strength and sign from one period to another as shown in Figure (4). In particular , the Roda (Min) (i.e Equatorial levels) shows an 11 year cyclicity with negative correlation in the period (1825-1902),while the Ethiopian water shows 11 year cyclicity with a positive correlation. No distinguished time lag between the two variables has been observed in both cases (Fig 4 a & b).

On the other hand, during the period (1903-1987), the cross correlation function between sunspot number and natural river discharge (in million cubic meters) shows cyclicity with positive correlation for the minimum and negative correlation for the Ethiopian water (Fig 4 c, d).

Thus it is clear that the Equatorial water correlation with sunspot number changed sign from negative during the period (1825-1902) i.e during Wolf-Gleissberg cycle 2 in Table 2, to positive dependence during the period (1903-1987) i.e during Wolf-Gleissberg cycle 3 in Table 2,. On the other hand the Ethiopian rain changed sign from positive to negative during the same intervals.

Figure (4 e) represents the cross correlation between Equatorial and Ethiopian water. It is noticed that they are negatively correlated. The correlatibn coefficient at zero lag is -0.53. At about (10 years the correlation coefficient drops to zero ,then the two variable become positively correlated.

maxima of cycles 2 and 3 is 119 years each, while the duration between the secondary maxima of cycles 3 and 4 is 121 years. This explains the 121 year periodicity found in Equatorial water of cycle 3.

3-THE 55 YEAR PERIODICITY

The second strongest periodicity in Ethiopian water during the period (622-1420) AD. is 55.56 yr. It is also present at a reduced rate in Equatorial water . For Nile cycle 1(622-886) ,the 52.8 yr. is the strongest in Minimum (Equatorial) and Maximum Nile water. This periodicity is near the 51 yr. solar periodicity reported by Kane and Trivedi (1985) and 51.2 solar periodicity found by Yousef and Hady (1993) for the period 1749-1952 . The last two papers also found that solar periodicities do vary over different intervals of time. Burroughs (1994) and references therein reported strong 53 yr. cycle in historical Nile water.

4-THE 22 YEAR HALE SOLAR MAGNETIC PERIODICITY

The solar magnetic field reverses sign every 11 years and hence, returns to its original polarity every 22 years. The Nile periodicity around 22 years is only found in Equatorial water. It was reported by Shaltoot and Tadros (1989) as 22.2 years in Minimum Nile levels during the period (622-1470). These periodicities are to be compared to the 22 yr. magnetic solar cycle which is found to correlate better with atmospheric phenomena than the 11 year solar cycle (Herman and Goldberg 1978).

Why the 22 year cycle makes its effect only in equatorial water and not in Ethiopian Water remains a puzzle.

5-THE 11 YEAR CYCLE

kane and Trivedi (1985) and Yousef and Hady (1993) have carried out detailed periodicity of sunspot number. Although the strongest periodicity is around 11 years, other periodicities exist at 12.7 , 11.8 , 10.0 , 9.6 and 9.27 years. These periodicities are time dependant. Reports of periodicities in Nile water around these solar periodicities is given in Table 1., A fact that proves the solar

Enlargement of the periodogram for frequencies < 0.1 (i.e Periods > 10 years) is given in Figure 3(a,b).

The followings are Nile periodicities attributed to solar influence.

1-THE 266 YEAR PERIODICITY

The first long time span gives us the opportunity to find long term perlodicities. The strongest periodicity for both of the Equatorial and the Ethiopian water is 265.96 yrs. It's harmonics are 132.98 . 88.65, 66.49 yrs i.e. n/2 ,n/3 ,n/4 respectively. The second strongest periodicity in equatorial water is 132.98 yrs.This periodicity is weaker for Ethiopian water. A 137-138 yr. cycle was detected in ocean sediments (Burroughs 1994 and references therein).

It is suggested that the sun has a 266 year cycle.

2-The Wolf- Gleissberg Cycles

A long variation of roughly 80 yr. ,referred to as the Wolf-Gleissberg cycle is seen in sunspot cycle amplitudes, as measured by the annual mean sunspot number,(Gleissberg 1971, Siscoe 1978).

The 80 yr. periodicity (79.81) is the third strongest in the Equatorial water but ,it is still weaker in the Ethiopian water. Such periodicity is also reported by Shaltoot and Tadros (1989) in Max-Min NNile water during the period 1738 - 1914. The strongest periodicity for Nile cycle 3 Ethiopian water is 80.6 yr. and its harmonics:

80.6, 40.3, 26.9, 20.16, 16.12 yr. i.e.

n , n/2 ,n/3 , n/4 , n/5

Table 2 reproduced from Yousef (1995) shows the characteristics of the last three Wolf-Glelssberg cycles as well as the coming one. It indicates that the maxima of the previous two cycles are double humped. The interval between the start of the minimum duration of the cycles 2 and 3 is 79 years . The duration between the start of minima of cycles 3 and 4 . and the interval between the two

b) The Ethiopian source which is supplied by summer rain (about 84% at present)

Figure (1a) represents a general flood hydrograph of a river of sharp rise and exponential decay. The points x and y on the curve represent start and end of rain , respectively (from Hoyt and Langbein 1955 cited in Ward 1978). Figure(1 b)represents the Nile flood hydrograph showing the contributions of equatorial (White Nile) and Ethiopian (Atbara and Blue Nile). The minimum Nile level on the hydrograph is denoted by (Min) and represents mainly the Equatorial contribution to the Nile at Aswan. The maximum Nile level or discharge at Aswan (denoted by Max on Fig (1 b)) is the sum of both the Equatorial and Ethiopian water.

Equatorial water ≈ Min ; Ethiopian water ≈ Max-Min

III- NIIE CYCLES

Figure (2) a,b, and c are 79 years smoothing of Min level, Ethiopian contribution and the Ratio (Ethiopian / Mim). This filter is chosen to remove cycles of the order of 80 years. It is thus very clear that the levels of Ethiopian and the Equatorial contributions to the Nile are now distinguished into "Major Cycles" in anti coincidence with each other.

Nile Cycle 1 (622-886) AD   Nile Cycle 2 (887-1128) AD

Nile Cycle 3 (1129-1467) AD

Nile cycle 3 is double humped with a minimum at 1351.

IV- PERIODICITIES

Throughout the present paper, periodogram computations were carried out using the statgraph procedure (Statgraphics Manual 1986)

Table 1 lists periodicities of solar origin that are detected in Nile water i.e. Equatorial water (Minimum) and Ethiopian water (Maximum-Minimum) during the following periods : 622-1467 , Nile cycle 1 , Nile cycle 2, Nile cycle 3 , (1870-1945) and finally (1870-1988) AD.

was necessary to produce observed the 0.1-0.4° C variation in American air temperature.

Parameters investigated include drought and flood indices, tree-ring chronologies, rain -gauge data, floods of rivers, air temperature, air pressure, height of sea level, sea surface temperature, fish catches and crop yields. Lunar influences were sometimes confused with solar influences of similar periodicities. Yousef (1993 b) also found that a lunar nodal term of 17.5 years to be the dominant periodicity in Chile 7 (Gab tree) during the Maunder minimum. Murphy (1991) reported very strong 11.1 year periodicity in tree-ring data from a site in Taiwan, and found a significant lagged correlation that can exist between tree-ring indices and the 11 year solar cycle during periods of high solar activity, a feature which is not evident during quiescent periods. Yousef (1993 a) and Yousef and Hady (1993) reported several solar periodicities in trees from several parts of the world.. Yousef and El Raey (1995) also found the above two mentioned periodicities in Nile records during the period 622-1467 AD.

The objective of this work is to carry out a detailed long term time series of Nile data both old and recent to assess relationships among various climatic, terrestrial , solar and Lunar parameters. The originality of this paper comes from the fact that other peoples work studied Nile periodicities for the whole period of record (622-1467) however this paper discovered three Nile cycles in this period and looked for the strongest periodicities during each of the three cycles and for both the Equatorial and Ethiopian components of the Nile..

II - NILE DATA

Records of the annual minima and maxima of Nile levels are available with the exception of some gaps since the first year of Higra (622 AD.) . Such wealth of historical data have been published by Sami (1916) and Tousson (1925).

There are two sources of the Nile water:

a) The Equatorial source which represents supplies by Equatorial rain that is continuous all over the year (about 16% at present).

Cairo Univ. Afr. Stud. Rev. 20 (1998): P. 89 - 109

Solar and Lunar Terms in Ethiopian and Equatorial Components of the Nile Water

By

Shahinaz Moustafa Yousef *

ABSTRACT

Records of the Nile over the ages provide a suitable tool for detecting solar and lunar signals on climate. Solar influence has been proved through the existence of 11, 22, 80 cycles on Nile water. The existence of 266 yr. solar cycle is suggested. The 22 yr. Hale magnetic solar cycle is evident only in Equatorial component of the Nile, while very strong periodicities of the order of 2-3.5 years are present at certain times in the Ethiopian component of Nile water.

Lunar and solar semidiurinal tides arise from the orbital characteristics of the moon and sun respectively. The lunar nodal tide induces a 18.6 years quasi-stationary standing atmospheric wave. A luni-solar term of about 19 years is found in Nile Water. This term is time dependant. During the period 1870-1945 this term was the strongest in Nile periodicities.

A 14.8 years cycle was found to be the strongest of all periodicities in Equatorial Nile water and the fourth in strength in maximum flood level during the period (877-1128) AD. This periodicity may be related to the 14-15 year periodicity happened during the time of the prophet Yusof peace be upon him.

I - INTRODUCTI ON

Currie (1991) and references therein listed a multitude of papers reporting evidence for two signals in climate with periods near 19 and 10.5 years. They are identified as induced by the 18.6 year luni - solar constituent tide and a 10 to 11 year variations in the sun's luminosity of the order 0.1 , which Currie estimated

* Astronomy & Meteorology Dept., Faculty of Science-Cairo University

٢ - من رومانيًا إلى الشام إلى شرق الدلتا عبر سيناء.

٣ - من تنزانيا وكينيا على طول مجرى النيل إلى الفيوم وواحات الصحراء الغربية إلى ليبيا.

٤ - من أوغندا وجنوب السودان على طول مجرى النيل إلى واحات الصحراء الغربية .

٥ - من منطقة مستجمع الأمطار فى غرب أفريقيا (كوت ديفوار - غينيا - سييراليون) بطول مجرى النيل أيضا إلى منطقة بركة دهشور بالجيزة . وقد أمكن لهذه الهجرات أن تحدث فى عصور مطيرة مختلفة وتحت ظروف تضاريسية وجيومورفولوجية مختلفة أيضا .

ديدان الأرض فى مصر ومصادرها الأفريقية

للأستاذ الدكتور/ سـمير أبراهيـم غبـور

قسم الموارد الطبيعية، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة

ملخص

يقدم هذا البحث صورة لتاريخ استكشاف ديدان الأرض فى مصر منذ أول من بحث عنها ودرسها فى كتاب « وصف مصر » الشهير، وفيه وصف العالم الفرنسى سافينيى نوعين، وحتى وقتنا هذا . ثم جاء إلى مصر العديد من العلماء الأوروبيين خلال القرن التاسع عشر وأوئل القرن العشرين وأضاف كل منهم شيئا إلى معلوتنا عن فونة ديدان الأرض فى مصر . وفى أواخر الثلاثينات بدأ الدكتور عطا الله خلف الدوينى فى كلية العلوم بجامعة القاهرة دراساته الجادة بتوجيه من أستاذه الأستاذ الدكتور كامل منصور، وجاب مختلف أنحاء مصر لهذا الغرض وحصل على العديد من العينات وتأكد من وجود سبعة أنواع نشر عنها عام ١٩٤٠، وكان بذلك أول عالم مصرى يطرق هذا المجال . وفى عام ١٩٥٨ بدأ كاتب هذه السطور هو أيضا دراساته فى نفس المجال وجاب أرجاء مصر للمرة الثانية لنفس الغرض، ولكنه أتصل أيضا بمتاحف التاريخ الطبيعى فى أوروبا وشمال أمريكا لسؤالها عما لديها من عينات مصرية ، وجاءته ردود أوضحت له وجود أنواع لم يتم سوى مرة واحدة لندرتها. ونشر مع أستاذه الأستاذ الدكتور عطا الله خلف الدوينى عام ١٩٦٧ نتائج هذه الدراسات التى أوضحت أن العدد الحقيقى لأنواع ديدان الأرض فى مصر قد يزيد عن ٢٧ نوعا . ثم قام كلا الباحثين بدراسة سبل وصول كل هذه الأنواع من مواطنها الأصلية الى مصر، وأسباب شيوع بعضها وندرة بعضها الآخر. وتوالى نشر نتائج هذه الدراسات منذ عام ١٩٦٧ حتى وقت إعدادالبحث الحالى. ويتبين منها أن هناك خمس مسارات أستخدمتها الأنواع المختلفة من ديدان الأرض للهجرة من مواطنها الأصلية إلى مصر نذكرها من الغرب إلى الشرق كما يلى:

١ - من ايطاليا إلى تونس إلى ليبيا إلى واحة سيوة والساحل الغربى.

LEVINSEN, S. (1889) Om to nye Regnomsloegter fra Aegypten. *Vidensk Medd. Fra den Natur Hist. Fra Kjobenhaven*: 318-332.

MICHAELSEN. W. (1897) Neue und wenig bekannte afrikanische terricolen. *Mitt. Mus. Naturh. Hamburg*, XIV. (cit. KHALAF EL-DUWEINI 1940).

MICHAELSEN, W. (1900) *Die Tierreich. X, Oligochaeta*, Berlin. (cit. KHALAF EL-DUWEINI 1940).

MICHAELSEN, W. (1903) *Die geographische Verbreitung der Oligochaeten.* Berlin. (cit. KHALAF EL-DUWEINI 1940).

MICHAELSEN, W. (1934) Clitellata. In: KÜKENTHAL'£s *Handbuch der Zoologie*. Band 2, Hf. 2, Berlin. (cit. KHALAF EL-DUWEINI 1940).

MICHAELSEN, W. (1938) On a collection of African Oligochaeta in the British Museum. *Proc. Zool. Soc. London* 107 B: 501-528.

MOURSI, A. A. et DEKINESH, S. I. (1984) Studies on the ecology of earthworms in Alexandria soils. *Proc. Zool. Soc. A.R.E.* 7: 229-248.

OMER-COOPER, J. (1947) The Armstrong College zoological expedition to Siwa Oasis (Libyan Desert) 1935. *Proc. Egypt. Acad. Sci.* 3: 1-51.

OMODEO, P. (1955) Oligocheti dell'Indocina e del Mediterraneo orientale. *Mém. Mus. Civ. St. nat., Veronaa* : 5: 321-336.

Note added in proof:

1. Bishai *et al.* (2000) moted the presence of the following oligichaetes in loke Nasser (p. 210)

    1- *Limnodrilus hoffmeisteri* Claparéde 1862

    2 - *L. udekemianus* Claparéde 1862

    3 - *Pristina* sp.

2. Bishai. H.M.; Abdel-Malek, S.A. and Khalil, M. T. (2000) Lake Nasser. Publ. Nat'l Biodiversity Unit, 11, EEAA, Cairo: 577 pp. (En.), 40 pp. (Ar.).

KHALAF EL-DUWEINI, A. (1945) Notes on a fresh-water oligochaete of the genus *Branchiura. Bull. Fac. Sci. Cairo* Univ. 25: 15-24.

KAHALAF EL-DUWEINI, A. (1965 a) Studies on the anatomy of *Pheretima californica* Kinberg. *Bull. zool. Soc. Egypt* 20: 11-30.

KHALAF EL-DUWEINI, A. (1965 b) The excretory system of *Alma nilotica Grube. Ibid.* 20: 31- 46.

KHALAF EL-DUWEINI, A. et GHBBOUR, S. I. (1963) A study of the specific distribution of megadriline oligochaetes in Egypt and its dependence on soil properties. *Bull. zool. Soc. Egypt* 18: 21-30.

KHALAF EL-DUWEINI,. A. et GHABBOUR, S. I. (1964) Effect of pH and of electrolytes on earthworms. *Ibid.* 19: 89-100.

KHALAF EL-DUWEINI, A. et GHABBOUR, S. I. (1965) Population density and biomass of earthworms in different types of Egyptian soils. *J. appl. Ecol.* 2: 271-285.

KHALAF EL-DUWEINI, A. et GHABBOUR, S. I. (1967) Records of Oligochaeta in Egypt. *Pedobiologia* 7 : 135-141.

KHALAF EL-DUWEINI, A. et GHABBOUR, S. I. (1968 a) The geographical speciation of north-east African oligochaetes. *Ibid.* 7: 371-374.

KHALAF EL-DUWEINI, A. et GHABBOUR, S. I. (1968 b) The zoogeography of oligochaetes in North-East Africa. *Zool. Jb., Syst.* 95 : 189-228.

KHALAF EL-DUWEINI. A. et GHABBOUR, S. I. (1968 c) Nephredial systems and water balance of three oligochaete genera. *Oikos* 19: 61-70.

KINBERG, M. (1867) (cit. MICHAELSEN 1900).

LAVELLE, P.; BRUSSARD, L. et HENDRIX, P. (1999) *Earthworm Management in Tropical Agro-ecosystems.* CABI Publ., Oxon : 300 pp.

LEE, K. E. (1959) The earthworms of New Zealand. *Division of Scient. & Ind. Res., New Zealand Bull.* 130 : 486 pp.

GHABBOUR, S. I. et ROUBET, C. (1984) Mariut: A model for eco-development. *Egyptian Bull.*, Londres 10: 8-10.

GRANVAL, Ph. et MUYS, B. (1999) Vers de terre et biodiversité. *Bull. mens. Off. Nat'l de la Chasse* 248: 18-21.

GRESSON, R. (1927) On the structure of the branchiae of the gilled oligochaete *Alma nilotica. Ann. Mag. Nat Hist.* (9), 19. (cit. KHALAF EL-DUWEINI 1940).

GRUBE, A. (1855) (cit. MICHAELSEN 1897).

HABIB, A. et ISSA, G. (1958) The population density of earthworms in different cultivations. *Ann. Agr. Sci., Fac. Agr., Ain Shams Univ.*, Le Caire 3: 201-208.

IMAM, M. et GHABBOUR, S. I. (1972) Contribution to the moss flora of Egypt. *Bot. Notiser 125: 518-522.*

JAMIESON, B. G. M. (1957) Some species of *Pygmaeodrilus* (Oligochaeta) from East Africa. *Ann. Mag. Nat. Hist.* (12) 10: 449 - 470.

JAMIESON, B.. (1962) New specie of Ocnerodrilinae (Oligochaeta). *Proc. Zool. Soc. London* 139: 607- 626.

JAMIESON, B. G. M. (1969) A new Egyptian species of *Chuniodrilus* (Eudrilidae, Oligochaeta) with observations on internal farlization and parallelism with the genus *Stuhlmannia. Nat. Hist.* 3:41-51.

JAMIESON, .B. G. M. et GHABBOUR, S. I. (1969) The genus *Alma* (Microchaetidae: Oligochaeta) in Egypt and the Sudan. *Ibid.* 3: 471- 484.

KHALAF EL-DUWEINI, A. (1940 a) The earthworms of Egypt. *Bull. de l'Inst. d'Egypte.* 22 : 99-122 + 5 planches.

KHALAF EL-DUWEINI, A. (1940 b) The anatomy of *Allolobophora caliginosa* (Savigny) f. *trapezoides* (Dugès), the common Egyptian earthworm. *Bull. Fac. Sci. Fouad I Univ.* 21: 59-151.

GHABBOUR, S. I. (1988) Research on soil fauna at the Department of Natural Resources, Institute of African Research and Studies, Cairo University. *Rev. Zool. Afr.-J. afr. Zool.* 102: 369-379.

GHABBOUR, S. I. (1991) Late Pleistocene climate of northeast Africa: Evidence from earthworms and other aquatic Oligochaeta. Recherche présentée au Colloque: *Paléomilieux et Peuplement Préhistorique saharien au Pléistocène supérieur, Programme international de Corrélation géologique, Evolution passée et future des Déserts, 4e Groupe de Travail: Les Hommes et les Déserts,* Abbaye de Solignac, Univ. de Limoges, juin 1991, 2ème synthèse annexe : 3 pp.

GHABBOUR, S. I. (1995) Histoire de l'écologie en Egypte, un aperçu. *Ecologie* 26:67-80.

GHABBOUR, S. I. (1996) Soil fauna diversity in arid lands of North Africa. In: *Biodiversity in Arid Lands of North Africa, Regional North Africa Workshop on Biodiversity in Arid Lands of North Africa,* Cairo, Dec. 1994, eds. K. H. BATANOUNY et S. I. GHABBOUR, National Egyptian IUCN Committee, Acad. Of Sci. Res. & Technol., and IUCN, Gland, Suisse, Palm Press, Le Caire :73-89.

GHABBOUR, S. I. (1998) Les rapports culturels entre l'Egypte et la France ne datent pas de 2 siècles. Coopération franco-égyptienne dans le domaine de l'environnement. Discours fait au Muséum National d'Histoire Naturelle, Paris, le 7 mai 1998 à l'occasion du bicentenaire de la mission scientifique française en Egypte : 12 pp.

GHABBOUR, S. I. (1999) Adaptations in earthworms (Oligochaeta), in comparison with their aquatic allies. Recherhe présentée au: *8ème Congrès sur la Zoogéographie et l'Ecologie de la Grèce et des Régions Voisines,* Kavala, Grèce, mai 1999 : 24 pp. (MS).

GHABBOUR, S. I. et SHAKIR, S. H. (1982) Population density and biomass of earthworms in agro-ecosystems of the Mariut region, Egypt. *Pedobiologia* 23:189-198.

COGNETTI de MARTIIS, L. (1901) Gli oligocheti della Sardegna. Bull. *Mus. Zool. Anat. Comp. Torino,* No. 404: vol. XVI.

COGNETTI de MARTIIS, L. (1905) Lombrichi Liguri del Museo Civico di Genova. *Ann. Mus. St. nat. Genova,* ser. 3, Vol. II (XLII).

CROSSLAND, C. (1923) Some Red Sea worms. *Cairo Sci. J.* 12. (112): 18-29.

DEKINESH, S. I. (1978) *Ecological Studies on Earthworms of Alexandria District.* Thèse Ph.D., Dépt. de Zoologie, Fac. des Sciences, Univ. d'Alexandrie, Egypte.

DEKINESH, S. I. (1990) Effects of commomnly used insecticides on the hatchability of earthworm cocoons. *J. egypt. ger. Soc. Zool.* 1: 47-55.

DEKINESH, S. I.; MOURSI, A. A. et ALY, A. N. H. (1987 a) Comparative toxicities of organophosphates, carabamates and synthetic pyrethroids to earthworms. Part I: Detection of the lethal doses as evaluated by laboratory tests. *Bull. Fac. Sci. Alex. Univ.* 27 (A): 17-36.

DEKINESH, S. I.; MOURSI, A. A. et ALY, A. N. H. (1987 b) Idem. Part II: Sublethal toxicological studies. *Ibid.* 27 (A): 37-51.

EDWARDS, C. A. (1998) *Earthworm Ecology.* St. Lucie Press, Boca Raton, USA : 389 pp.

EL-KIFL, A. H. et GHABBOUR, S. I. (1984) Soil fauna. In: Sahara Desert, ed. J. L. Cloudsley-Thompson, Pergamon Press, Londres: 91-104.

GHABBOUR, S. I. (1966) Earthworms in agriculture: A modern evaluation. *Rev. Ecol. Biol. Sol* 3: 259-271.

GHABBOUR, S. I. (1974) Insecticides and cotton in Egypt. *Biol. Conserv.* 6:62-63.

GHABBOUR, S. I. (1976) The faunal relationships of Oligochaeta in the Nile Basin. In : *The Nile, Biology of an Ancient River,* ed. J. RZ6SKA, Dr. W. JUNK B.V., La Haye :117-125.

GHABBOUR, S. I. (1987) Nubia: Bridge or barrier? Communication présentée au: *International Symposium on the Nile Basin,* Inst. of African Research & Studies, Cairo University, 1987: 12 pp.

pluviosité de 500 mm/an sur la côte méditerranéenne. pour savoir combien elle put être dans le reste du Sahara oriental. Avec cette carte on peut facilement savoir combien d'eau souterraine on pourrait s'attendre à trouver dans les nappes phréatiques. Ceci faciliterait beaucoup les fourrages pour l'eau dans les déserts de cette région, et économiserait les efforts de choix d'emplacement des puits. Voilà comment la taxonomie et la biogéographie des vers de terre pourraient donner un coup de pouce au développement économique du pays.

Ne passons pas cette histoire des recherches sur la faunistique des vers de terre en Egypte, en particulier, et la faune du sol, en général, sans rendre hommage à la coopération étroite entre chercheurs égyptiens et leurs collègues français, qui ont donné tout l'appui possible afin de promouvoir les capacités de la recherche égyptienne en écologie, et qui continue sans ralentissement jusqu'à présent (GHABBOUR 1988, 1995 et 1998). Dans le domaine de la faunistique et l'écologie des vers de terre, un remerciement spécial est dû à M. Marcel BOUCHÉ (CEFE/Montpellier) pour son encouragement et son aide précieuse, toujours offerts sans réserves et sans hésitation.

POUR EN SAVOIR PLUS

ARRHENIUS, (1921) Influence of soil reaction on earthworms. *Ecoolgy* 2. (cit. KHALAF EL-DUWEINI 1940).

BEDDARD, F. E. (1896) Earthworms and leeches. In: *The Cambridge Natural History* 2: 347-391.

BEDDARD, F. E. (1900) A revision of the earthworms of the genus *Amyntas (Perichaeta) Proc. Zool. Soc. London, 1900.*

BODENHEIMER, F. (1935) Soil conditions which limit earthworm distribution. *Zoogeog.* 2 (4).

BOUCHÉ, M. (1972) Lombriciens de France, Ecologie et Systématique. INRA, *Ann. Zool.-Ecol. Anim.*, no. h-s 1972 : 671 pp.

CERNOSVITOV, L. (1938) Oligochaeta. In: *Mission scientifique de l'Omo.*, Paris 4: 255-318.

actuellement une barrière biogéographique, fut donc à l'époque du Pléistocène plutôt un pont de passage plus ou moins facile pour ces vers (GHABBOUR 1987). Le rôle de l'homme est évidemment exclu pour effectuer les migrations de ces époques préhistoriques, beaucoup avant qu'il ne devienne un agent de translocation de telles espèces animales qui lui n'intéressaient guère, ni même par hasard. Mais, en revanche, ce rôle est évident dans le cas des vers originaires de l'Asie méridionale et orientale, due à l'importation de plantes exotiques, de l'Europe aussi bien que de l'Asie, pour garnir les jardins du Khédive ISMAÏL au 19ème siècle.

Maintenant, y-a-t-il un intérêt à gagner de tout cela? Certes. Puisque les vers de terre, et surtout les espèces aquatiques, ne peuvent point traverser un sol sec, celui-ci doit être assez humide pour que ces espèces puissent effectuer leurs migrations. Mais quel taux d'humidité est bon pour elles ? Et quelle pluviosité pourrait rendre le sol assez humide pour cela ? D'après les travaux de plusieurs chercheurs, la pluviosité qui permettrait la migration des vers de terre à travers un sol humide devrait être 500 mm/an, au minimum. Donc les déserts égyptiens ont vécu des époques ou la pluviosité dépassait 500 mm/an, a comparer avec moins de 200 mm/an sur la côte méditerranéenne d'aujourd'hui. Quand aurait pu une telle pluviosité prendre place ? Il est évident que de telles pluviosités ont dû prendre place plusieurs fois dans l'histoire géologique du Sahara oriental, mais il fallait aussi qu'elles continuent sur plusieurs milliers d'années pour qu'elles soient vraiment efficaces. La dernière de ces époques pluviales, qui a permis la migration de *Alma nilotica* vers Bahariya, la dernière vague de migrations, est mise vers 70,000 ans avant notre ère, c-à-d, en correspondance approximative, mais pas forcément exacte, avec la Glaciation Würm de l'Europe. D'autres époques pluviales précédantes, correspondant plus ou moins avec les Glaciations antérieures de l'Europe, ont certes permis les migrations des vers de terre vers Siwa et, encore plus loin, vers Tripoli en Libye. Ces époques fluviales ont dû durer donc beaucoup plus longtemps. Il est fort probable que les vers de terre du Sinaï auraient effectué leurs migrations du Levant vers le Delta pendant ces époques antérieures, plutôt que pendant le Würm, qui est la dernière. GHABBOUR (1984, 1991, et 1996) a dessiné des cartes de pluviosité de l'Afrique du nord-est, pour cette dernière époque (70,000 ans), en supposant une

Nil, et l'Asie du sud et du sud-ouest (via l'importation des plantes). Mais pourquoi rien sur l'Ethiopie, et le Nil Bleu, avec ses crues torrentielles ? En effet, il est fort curieux de constater que le Nil Bleu et l'Ethiopie ont une faune d'oligochètes totalement différente de celles du reste du Soudan et de I'Ouganda, et que cette faune s'étend tout le long du Nil Bleu, mais s'arrête brusquement à quelques kilomètres au sud de Khartoum, avant sa confluence avec le Nil Blanc, qui lui abrite des espèces comme celles de l'Ouganda et de l'Egypte (GHABBOUR 1976).

Si le Nil égyptien et son Delta ont constitué une barrière empêchant le contact entre les vers de terre vraiment terrestres (y compris l'espèce aquatique *Eiseniella tetraedra*), originaires de l'Europe occidentale d'un côté, et de l'Europe orientale de l'autre côté, il a beaucoup facilité, par contre, la migration des espèces aquatiques de l'Afrique de l'ouest, du centre, et de l'est, vers les Oasis de notre Désert occidental, et même vers la Libye, jusqu'à Tripoli. Cette migration a été faite probablement à deux reprises, ou même trois. La première a facilité la migration des espèces de l'Afrique orientale (*Pygmaeodrilus, Gordiodrilus, Nannodrilus,* et autres) vers les Oasis lointaines de Siwa et de Tripoli, la deuxième celles de l'Afrique centrale (*Alma, Allonais, Aelosoma*) et de Fayoum (et aussi l'ouest du Delta et la région de Gizeh, ces espèces ne se trouvant guère à l'est du Nil), vers l'Oasis plus proche de Bahariya, pour *Alma nilotica.* Pourtant, *Alma* n'existe pas au Fayoum. La troisième vague de migration, concomitante ou séparée, est celle de l'espèce ouestafricaine *Chuniodrilus ghabbouri,* vers l'étang de Dahshour, toujours à Gizeh, à l'ouest du Nil. On peut voir que ces vagues de migration doivent signifier de très hautes crues du Nil de certaines époques pluviales de l'Afrique centrale et équatoriale, tandis que les avancées des vers d'origine européenne doivent signifier des époques pluviales méditerranéennes. Il est aussi à noter que toutes ces hautes crues de l'ancien Nil ne se jetaient que ver l'ouest, puisqu'on trouve ces espèces à l'ouest du Nil et non pas à l'est. Hormis ces crues, la Nubie, qui est actuellement une des zones les plus arides du monde, parait avoir jouir d'une double pluviosité, celle des extensions du régime méditerranéen (hivernal) vers le sud, et du régime sahélien (estival) vers le nord, à la fois. C'est pourquoi on compte sept périodes pluviales majeures en Nubie, au lieu de quatre seulement sur la côte méditerranéenne. La Nubie, qui est

ont pris place dans plusieurs époques, qui seraient sans doute des époques pluviales. Pour commencer, prenons le cas des espèces de Siwa et du ouest du Delta. Il semblerait que l'espèce de lombricidé parmi celles-ci (*Eisenia rosea* f. *bimastoides*) est venue par voie de la côte méditerranéenne de l'ouest, de l'Italie, la Tunisie, puis la Libye. Les autres espèces, toutes aquatiques, d'origine équatoriale de l'est de l'Afrique, ont dû arriver a Siwa par le Nil, mais pourquoi n'existent-elles pas dans la Vallée du Nil ? Peut-être à cause du système d'irrigation de bassins, qui s'y est établi depuis plus de 5000 ans. L'espèce *Nannodrilus*, venue du sud Soudan et de l'Ouganda (avec son frère *Gordiodrilus* de Siwa, KHALAF EL-DUWEINI et GHABBOUR 1968 a), se trouve également à l'ouest du Delta et dans le Kharga, donc de la même vague. Notons que *Gordiodrilus zanzibaricus*, toujours d 'origine de l'Ouganda et du Kenya, existe dans l'Oasis Sélima à l'ouest du Nil, dans le nord du Soudan. Une espèce de *Gordiodrilus* existe aussi en Libye, près de Tripoli (KHALAF EL-DUWEINI et GHABBOUR 1968 b). *Allolobophora jassyensis* f. *orientalis*, elle, ne dépasse pas le Delta, mais du côté de l'est, elle a dû donc traverser le Sinaï dans une certaine époque. Par contre, les deux Alma, se trouvent principalement dans le Nil, l'espèce *nilotica*, qui existe au nord du Soudan, ne dépassant pas Bahariya. On pourrait penser donc qu'elles représentent une vague ultérieure, avec l'espèce endémique *Chuniodrilus ghabbouri*, venue de l'Afrique de l'ouest. *Eiseniella tetraedra*, elle, a dû venir des deux côtés, de l'ouest jusqu'à Burg El-Arab, et de l'est, jusqu'à Ste. Catherine, au Sud Sinaï. Là où ces espèces aquatiques trouvaient de l'eau permanente, elles s'installaient, et disparaissaient ailleurs. Toutes les espèces de *Pheretima*, ainsi le *Branchiura sowerbyi*, sont arrivées, de toute apparence, de l'Asie de sud et du sud-ouest, probablement de l'Inde, avec les plantations de pépinières des plantes mésophytiques et aquatiques importées de ces pays au 19ème siècle, par le chef jardinier DELCHEVALERIE, d'origine belge, qui travaillait pour le Khédive Ismaïl, pour embellir les jardins qu'il érigeât partout au Caire et à Alexandrie (KHALAF EL-DUWEINI et GHABBOUR 1968 b).

Nous avons donc six origines des oligochètes de l'Egypte, l'Europe occidentale (via la Libye), l'Europe orientale (via l'Asie occidentale), l'Afrique de l'ouest, le sud Soudan et l'Ouganda, et l'Afrique de l'est (le Kenya) et les trois derniers via le

elles se trouvent, assez curieusement, dans les oasis du désert, bien éloignées de la Vallée du Nil. Prenons comme exemples *Allonais*, *Pygmaeodrilus*, et *Gordiodrilus* à Siwa, *Alma nilotica* à Bahariya, et *Nannodrilus* à Kharga. En plus, *Eiseniella tetraedra* à l'ouest d'Alexandrie et au Sinaï, et *Chuniodrilus* près des Pyramides de Gizeh, dans l'étang de Dahshour.

Plusieurs questions difficiles se posent alors. Etant donné que les vers de terre, et encore plus les espèces aquatiques, ne supportent guère rester pour plus qu'une dizaine d'heures en dehors du sol mouillé, et pas plus de 2 ou 3 heures dans le cas des espèces aquatiques, comment et quand ces espèces purent-elles traverser les centaines de kilomètres de déserts qui séparent la Vallée du Nil des Oasis, et l'Egypte de ses pays voisins ?

Pour pouvoir répondre à ses questions, il va falloir d'abord avoir un regard plus profond sur la répartition géographique des espèces égyptiennes, et essayer à partir de ce regard, d'énumérer les endroits d'origine des différentes espèces de la faune égyptienne, et puis jeter un coup d'oeil sur l'histoire géologique et plaéo-écologique des pays voisins, et en suite essayer de reconstruire l'histoire de migrations de ces espèces, d'un pays à l'autre.

Nous pouvons voir que la Vallée du Nil sépare, grosso modo, deux groupes d'espèces, celles de l'ouest, et celles de l'est. Les espèces de l'ouest du Delta sont différentes de celles de l'est. On peut facilement remarquer même, que l'espèce *Eisenia rosea* à l'ouest du Delta n'est pas exactement identique avec la forme de l'est du Delta. De plus, *Allolobophora jassyensis* se limite à l'est du Delta, le *Nannodrilus* se trouve à l'ouest de la Vallée du Nil. Les deux *Alma* se trouvent dans le Nil, mais pas en dehors, sauf *A. nilotica* qui se trouve dans l'Oasis Bahariya, à 350 km au sud-ouest du Caire. *Chuniodrilus* se trouve près des Pyramides mais n'a ses co-spécifiques qu'en Afrique de l'ouest. C'est vraiment une répartition énigmatique, et il semble qu'il faudrait résoudre les péripéties de chaque espèce, ou groupe d'espèces sympatriques (vivant ensemble dans le même lieu), séparément. Chacune a sans doute son histoire privée.

GHABBOUR (1984, 1991, et 1996) a opiné que plusieurs vagues de migration

des vers de terre filiformes semi-aquatiques à Helouan, une banlieue au sud du Caire, où ont jaillit des eaux sulfureuses en 1938. Ces spécimens étaient gardés au Musée de Warsowie, mais n'y sont plus, car perdus dans un accident de transport vers une personne qui devait les identifier. Une deuxième collection sur les bords du sud du Lac Manzalah, au nord-est du Delta, d'oligochètes qui semblaient être de la même espèce ou d'une autre espèce voisine, a subi, malheureusement, un sort semblable.

Mais la collection qui est la plus étonnante est un ver qui ressemblerait à *Nannodrilus* qui a été colligé à Fayoum, enfoncé entre les thalles d'une espèce de mousse, qui poussait sur les fameuses sakias (norias) de cette Province. Ce ver, ou d'autres d'une espèce voisine, a été trouvé, aussi associé avec une mousse à l'ouest du Delta. Sur les 61 espèces de mousses énumérées pour la flore égyptienne de mousses par IMAM et GHABBOUR (1972), la seule qui abritait ces vers, dans les deux cas de Fayoum et de l'ouest du Delta, était la même espèce de mousse, une espèce de *Philonotis*, une espèce tropicale originaire de l'Afrique centrale. Toutes les autres espèces de mousses (60 espèces) étaient d'origine méditerranéenne, et aucune d'elles abritait des oligochètes. Il est donc fort probable que cette association entre un ver d'origine centrafricaine, avec une mousse de même origine, serait une très ancienne association, et en Egypte, un relict d'une ancienne vague de migration via le Nil, et que Fayoum et l'ouest du Delta représentent deux cul-de-sacs, tandis que les nouvelles vagues du nord n'y ont pas encore pénétrées. Le ver de mousse de Fayoum n'a pas encore été identifié, mais il a été confié au Musée de Hambourg. Ce qui nous donne l'occasion de donner la bonne nouvelle que les collections d'avant guerre n'ont pas subi des dégâts pendant les bombardements, parce que, heureusement, elles furent bien cachées.

La faune des oligochètes de l'Egypte se présente donc comme un mélange d'espèces venant de tous les coins du Vieux Monde, témoignant une fois de plus, si besoin est, que l'Egypte est un vrai carrefour des trois Continents, Afrique, Asie, et Europe. Remarquons que l'espèce *Allolobophora caliginosa* n'a aucune valeur biogéographique à cause de son ubiquité, son anthropochorie, et son suivi de l'irrigation des champs (GHABBOUR et SHAKIR 1982 et GHABBOUR et ROUBET 1984). Certaines des espèces ci-haut mentionnées sont aquatiques, et

DEKINESH (1984) l'ont trouvée, mais rare, dans la région d'Alexandrie. OMODEO (1955) a noté lui aussi qu'il existe des individus de caractères mixtes, de cette espèce, au Punjab et au Tian Shan.

- *Dendrobaena* sp., espèce mentionnée par STEPHENSON (1930) pour l'Egypte.

DEKINESH (1990) a publié des dessins des cocons de six de nos espèces: *Allolobophora caliginosa, A. jassyensis, Eisenia rosea, Pheretima californica, Ph. elongata*, et *Ph. hawayana.* Il avait trouvé toutes ces 6 espèces dans la région entre Alexandrie et Rosette.

Une espèce trouvée par GHABBOUR en 1959 dans l'étang de Dahshour, près du Caire, a été baptisée par JAMIESON (1969) *Chuniodrilu ghabbouri.* Assez curieusement, elle n'a ses co-spécifiques qu'en Afrique de l'Ouest, et le genre n'était connu auparavant que de là, plus particulirèment au Mont Nimba, entre la Côte d'Ivoire et la Guinée. De plus, GHABBOUR a publié, avec EL-KIFL, en 1984, une trouvaille extra-ordinaire d'une espèce lombricidé, *Eisenielle tetraedra* (SAVIGNY 1826), dans des eaux de pluies accumulées au fond d'une citerne romaine à Burg El-Arab, 53 km à l'ouest d'Alexandrie. Cette même espèce a été trouvée en 1995 par T. PAVLICEK, C. CSUZDI, et E. NEVO (PAVLICEK et al. 1997), dans les eaux d'une source permanente de la région du Monastère de Ste Catherine, Sud Sinaï, à une altitude de ±1900 m au-dessus du niveau de la mer, en compagnie *d'Allolobophora caliginosa*, dont la forme n'a pas été précisée, mais qui se trouvait aussi près du Monastère (alt. ±1670 m) et sur la pente de Mont de Moïse (altitude ± 2470 m). Cette dernière espèce en compagnie là d'une troisième, *Allolobophora rosea (= Eisenia rosea)*, dont la forme n'est pas précisée. Que les espèces de vers de terre ont existé jadis dans le Sinaï n'est pas discutable, puisqu'elles se trouvent à la fois dans le Levant et dans le Delta, le Sinaï serait sans doute leur seule voie de migration, mais qu'elles y existent aujourd'hui, c'est ça qui est vraiment remarquable. Les auteurs auraient dû aller un peu plus loin pour reconnaître la forme ou la sous-espèce de ces taxons, afin de savoir leur origine, du Levant, ou bien le résultat d'une migration à partir du Delta, ce qui est très peu probable d'ailleurs.

En dehors des espèces ci-haut citées, un oligochètelogue polonais avait colligé

EL-DUWEINI (1940) HABIB et ISSA (1958), et KHALAF EL-DUWEINI et GHABBOUR (1963).

- *Eisenia rosea* var. ?, identification par MICHAELSEN (1938) pour les spécimens au British Museum provenant de l'Oasis de Siwa avec J. OMER-COOPER. CERNOSVITOV les a ré-examinées et les a trouvées un peu différents de la variété *typica*, mais ne leurs a pas donné d'autre nom.

- *Allolobophora caliginosa* f. *trapezoides*, espèce trouvée par MICHAELSEN (1897) sous le nom de *Allolobophora caliginosa*, et par KHALAF EL-DUWEINI (1940 a), au nom de la forme *trapezoides* (la forme *typica* n'a jamais été trouvée, ou retrouvée), et par HABIB et ISSA (1958) et KHALAF EL-DUWEINI et GHABBOUR (1963). Elle a été trouvée également par J. OMER-COOPER à Siwa, mais les spécimens sont déposés au British Museum sans être publiés. Cette espèce se trouve partout en Egypte ou il y a irrigation, même dans les Monastères du désert. L. BOULOS l'a colligée dans le jardin du Monastère St. Paul de la Mer Rouge, et à Ballâna, à l'extrême sud de la Nubie égyptienne, avant la construction du Haut Barrage. Le nom générique *Allolobophora* a été renommé par BOUCHÉ (1972) *Nicodrilus* (du mot grec nike = victoire, par référence à la capacité de cette espèce de se répandre en dehors de son aire originale de répartition). Plus tard, le nom a été changé pour devenir *Apporrectodea*. Nous retenons pourtant l'épithète de notre forma *trapezoides*. Ainsi notre épithète devient *Aporrectodea* (*Allolobophora*) *caliginosa* (Savigny) f. *trapezoides*. Cette espèce, avec *Pheretima californica*, a fait l'objet d'études écotoxicologiques (DEKINESH et al. 1987 a et b, et 1990).

- *Alolobophora jassyensis* var. *orientalis*, espèce trouvée par MICHAELSEN (1897), dans la région du Caire et l'est du Delta. A. J. CAIN (Oxford, in litt.) écrivit que les spécimens qui lui ont été envoyés par KHALAF EL-DUWEINI et GHABBOUR, colligés en 1958, et trouvés à l'Est du Delta, réunissent des caractères des deux variétés décrites de *jassyensis* (c-à-d *typica* et *orientalis*), ainsi confirmant son sentiment que ces différences sont tout simplement individuelles et ne désignent guère des variétés méritant cette séparation. MOURSI et

trouvée à l'Oasis Bahariya (Oasis Parva des Romains) en 1971 (GHABBOUR (1976) - DEKINESH l'a trouvée dans un canal de drainage à Metobus, au nord du Delta, les années '70 (comm. pers.). Elle se rencontre dans le Nil du Delta jusqu'à Khartoum, au Soudan. Beaucoup de travaux d'anatomie, histologie, reproduction, biogéographie, cycle de vie, écologie ont été menés sur cette espèce.

- *Alma* sp., mentionnée par MICHAELSEN (1897) et retrouvée par KHALAF EL-DUWEINI et GHABBOUR (1963) dans les ruisseaux d'Abou Rawwash, près du Caire. JAMIESON et GHABBOUR (1969) l'ont identifié comme *Alma stuhlmanni*, qui existe en Egypte dans un seul endroit, le village d'Abou Rawwash, mais est bien répandue en Afrique centrale, qui abrite 11 autres espèces de ce genre, mais pas *A. nilotica*, qui s'arrête à Khartoum. Des spécimens colligés par KHALAF EL-DUWEINI existent dans le British Museum (no 1937,6,4,12/13), "près du Caire", leg. M. R. EL-TOUBI (sans date). Cette espèce fut l'objet de recherches anatomiques par KHALAF EL-DUWEINI (1965 b) et physiologiques par GHABBOUR (1999). Il faut noter ici que tous les spécimens d'oligochètes au British Museum provenant de l'Egypte et datés 1937 ont été en effet colligés par KHALAF EL-DUWEINI et non pas par M. R. EL-TOUBI, qui a été chargé tout simplement de les emmener à Londres. Cette espèce a fait l'objet de travaux physiologiques, notamment sur son équilibre hydrique, en comparaison avec *Allolobophora caliginosa* f. *trapezoides* et *Pheretima californica* (GHABBOUR 1999).

Eisenia foetida, aussi écrit parfois *E. fetida*, espèce trouvée une seule fois à "Theben" (peut-être Luxor), donc Haute Egypte. Il est fort probable que cette espèce européenne se trouvait dans le jardin de l'Hôtel Winter Palace à Luxor, donc importée par accident. Elle fut colligée par SCHRÖDER (sans date) et gardée dans le Humboldt University Zoological Museum.

Eisenia rosea var. *bimastoides*, espèce trouvée par MICHAELSEN (1897 et nommée *E. r. typica*, mais rebaptisée *E. r.* var. *bimastoides* par COGNETTI, voir ci-haut), et retrouvée dans la région du Caire et le Delta par KHALAF

Nannodrilus et *Gordiodrilus*, mais aussi, peut-être, entre l'Egypte et le Soudan. Nous avons trouvé cette espèce dans l'Oasis Kharga (Ain Khosh, une ancienne source à l'Oasis de Bâris, au sud de Kharga) en 1959 et à l'ouest du Delta en 1961.

- *Gordiodrilus siwaensis*, espèce trouvée par J. OMER-COOPER à l'Oasis de Siwa et identifiée par MICHAELSEN (1938) comme *Gordiodrilus* sp. JAMIESON (1962) a donné le nom *G. siwaensis* à quelques uns seulement de ces spécimens, laissant les autres sans nomination au delà de l'appellation de MICHAELSEN.

- *Gordiodrilus* sp., l'indication qu'on doit garder pour les spécimens de Siwa qui n'ont pas été nommés par JAMIESON (voir *G. siwaensis*).

- *Pygmaeodrilus* sp., toujours au British Museum de la collection de J. OMER-COOPER de l'Oasis de Siwa. Ni MICHAELSEN (1938), qui a identifié le genre, ni JAMIESON non plus, a voulu aller plus loin.

- *Alma nilotica* (l'âme du Nil), trouvée par GRUBE (1855), LEVINSEN (1889) et MICHAELSEN (1897), GRESSON (1927), puis par KHALAF EL-DUWEINI (1940), KHALAF EL-DUWEINI et GHABBOUR (1963). JAMIESON et GHABBOUR (1969) ont étudié des spécimens de cette espèce en provenance de l'Egypte et du Soudan, de la collection privée de A. KHALAF EL-DUWEINI, pour établir ses rapports avec *Alma stuhlmanni*, de plus petite taille et de comportement différent, jusqu'à lors confondues ensemble. Les spécimens-type de *A. nilotica* se trouvent dans le Humboldt University Zoological Museum de Berlin, provenant du Caire, leg. RÜPPEL, coll. GRUBE, et de Bedrashin, près du Caire (leg. et det. MICHAELSEN). D'autres spécimens de cette même espèce se trouvent dans les collections de plusieurs musées d'Europe, à Göteburg (leg. JÄGERSKIÖLD, det. MICHAELSEN), provenant du Caire en 1900, le musée de Stockholm, provenant aussi de Bedrashin, leg. MICHAELSEN. GHABBOUR l'a

par KHALAF EL-DUWEINI et GHABBOUR (1963) toujours au Caire. Des spécimens provenant de l'Egypte se trouvent au British Museum sous l'épithète *Ph. bardensis*, qui devrait être *Ph. morrisi* (R. W. SIMS in litt.). G. W. GATES (in litt.), également, ne reconnaît aucune sous-espèce, variété, ou forme pour les *Pheretima* égyptiens.

- *Ph. morrisi*, voir la note sur *Ph. hawayana.*

- *Ph.* sp., des spécimens au British Museum, colligés près du Caire. D'après R. W. SIMS (in litt.), ils appartiennent probablement à *Ph. posthuma.*

- *Pontodrilus* sp., espèce appartenant à un genre cosmopolite d'oligochètes de milieu marin, trouvée par KHALAF EL-DUWEINI à Hurghada, Mer Rouge, en 1938, lorsqu'il fut Directeur de la Station d'Hydrobiologie à cette ville, et gardée au British Museum. Le britannique Cyril CROSSLAND, qui a précédé KHALAF EL-DUWEINI comme Directeur de cette même Station en 1935, et qui alla en suite créer une autre station similaire à Port Sudan, a trouvé dans les eaux de cette dernière ville des spécimens qui furent nommés *Pontodrilus crosslandi.* Il est fort probable que les spécimens de Hurghada soient eux aussi *P. crosslandi.*

- *Nannodrilus staudei*, espèce trouvée par KHALAF EL-DUWEINI (1940) et puis par KHALAF EL-DUWEINI et GHABBOUR (1963). Le Musée de Göteburg (Suède) possède des spécimens colligés par L. A. JÄGERSKIÖLD, durant son expédition suédoise en Egypte et au Soudan en 1901, et nommés *Gordiodrilus standei* (sic) par MICHAELSEN, qui a ajouté sur sa note de 1920 identifiant ces spécimens, que cette espèce n'a jamais été trouvée en Egypte. Il est fort curieux que MICHAELSEN écrivit *standei* au lieu de *staudei* , sur cette note, aussi bien que dans sa dernière publication de 1938, bien qu'il avait dit clairement dans sa publication originale de 1897 qu'il nomma cette espèce d'après le pharmacien allemand STAUD. Les règlements de taxonomie exigent retenir l'épithète de la première description. MICHAELSEN a donc répété une faute d'orthographe deux fois, au bout de 18 ans. Il y a là, apparemment, une certaine confusion entre

1. *Dendrobaena* sp.

Il a pu paraître, grâce à ces réponses, que certaines espèces n'ont été colligées qu'une seule fois, par des voyageurs visitant l'Egypte pour de courtes périodes. C'est le cas de :

- *Aelosoma hedleyi*, espèce colligée au Fayoum par le suédois I. TRÄGARDH en 1901.

- *Ae.* sp. (probablement *Ae. hemprichi*), espèce mentionnée par BEDDARD dans un ouvrage sur les vers de terre et les sang-sues, publié à Cambridge en 1896.

- *Paranais* sp., espèce mentionnée par STEPHENSON (1930) pour le Fayoum.

- *Allonais paraguayensis*, espèce qui se trouve aussi au Kenya, trouvée à l'Oasis de Siwa par " The Armstrong College Expedition", sous la direction de J. OMER-COOPER, en 1935 (publié en 1947), et identifée par L. CERNOSVITOV en 1938. Elle est gardée dans le British Natural History Museum. R. W. SIMS (in litt.) dit que cette espèce devrait se trouver dans tout le Bassin du Nil.

- *Branchiura sowerbyi*, espèce trouvée pour la première fois par KHALAF EL-DUWEINI en 1945, et retrouvée par GHABBOUR en 1961 au Delta, et par BELA ENTZ (comm. priv.) au Lac Nasser, en abondance, en 1975. Cette espèce est utilisée pour nourrir les poissons des aquariums. Elle correspond à *Tubifex tubifex* de l'Europe.

- *Pheretima californica*, l'espèce de *Pheretima* la plus abondante après *Allolobophora caliginosa* f. *trapezoides*, se trouvant en particulier dans les jardins botaniques et les jardins privés ayant assez d'humidité constante.

- *Ph. elongata*, se trouve aussi en compagnie de l'espèce précédante, mais beaucoup moins nombreuse. Des spécimens nommés *Ph. biserialis* au British Museum appartiennent effectivement à cette espèce, car *Ph. biserialis* n'est qu'un synonyme de *Ph. elongata* (R. W. SIMS, in litt).

- *Ph. posthuma*, espèce trouvée par KHALAF-EL-DUWEINI (1940) au Caire.

- *Ph. hawayana*, espèce trouvée par KHALAF EL-DUWEINI (1940) et retrouvée

Sous-Famille Megascolecinae

Genre *Pheretima* KINBERG 1867

*1. *Pheretima* californica KINBERG 1867

*2. *Ph. elongata* PERRIER 1872

*3. *Ph. posthuma* VAILLANT 1868

*4. *Ph. hawayana* ROSA 1891

*5. *Ph. morrisi* BEDD ARD 1892

*6. *Pheretima* sp.

Genre Pontodrilus PERRIER 1874

1. *Pontodrilus* sp.

Sous-Famille Ocnerodrilinae

Genre *Nannodrilus* BEDD 1894

*1. *Nannodrilus staudei* MICH 1897

Genre *Gordiodrilus* BEDD. 1892

1. *Gordiodrilus siwaensis* JAMIESON 1962

Genre *Pygmaeodrilus* MICH. 1890 em. JAMIESON 1957

1. *Pygmaeodrilus* sp.

Famille GLOSSOSCOLECIDAE

Sous-Famille Microchaetinae

Genre *Alma* GRUBE 1855

* 1. *Alma nilotica* GRUBE 1855

* 2. *Alma* sp.

Famille LUMBRICIDAE

Genre *Eisenia* MALM 1877 em. MICH. 1900

1. *Eisenia foetida* (SAVIGNY) 1826

* 2 *Eisenia rosea* f. *bimastoides* COGNETTI 1901

2 *Eisenia rosea* var. ?

Genre *Allolobophora* EISEN 1874 em. ROSA 1893

* 1. *Allolobophora caliginosa* SAVIGNY 1826) f. *trapezoides* DUGÈS 1828

* 2. *Allolobophora jassyensis* var. *orientalis* MICH. 1897

Genre *Dendrobaena* EISEN 1874 em. ROSA 1893

première d'entre elles, d'origine européenne, est inféodée aux sols ayant un taux d'humidité entre 25 et 45%, tandis que la deuxième, d'origine asiatique méridionale, est inféodée, par contre, aux sols ayant un taux de 45 à 55% (KHALAF (ELHDUWEINI et GHABBOUR 1968 c).

Lorsque GHABBOUR a entamé ses travaux sur les oligochètes en 1958, il a parcouru lui aussi le pays entre 1958 et 1962 pour colliger des vers de terre et pour étudier leurs peuplements dans les sols égyptiens. En 1963, il a fait une enquête auprès des musées d'histoire naturelle de l'Europe et des Etats Unis sur les vers de terre qui puissent être originaires de l'Egypte, et qui se trouvent dans leurs collections. Vingt-quatre de ces musées lui ont répondu et lui ont donné les détails pertinents. La correction du malentendu sur les vers de terre de Siwa a été faite grâce à une de ces correspondances, de la part du professeur E. TORTONESE, de Gènes. Les résultats de cette enquête ont été publiés par KHALAF EL-DUWEINI et GHABBOUR en 1967. Elles indiquent qu'au moins 23 espèces existent, ou pourraient exister en Egypte, dont la liste suit (* = espèce colligée par le présent auteur):

Famille AELOSOMATIDAE

Genre *Aelosoma* EHRBG. 1831

1. *Aelosoma headley i* BEDD. 1888

2. *Ae*. sp.

Famille NAIDIDAE

Sous-Famille Paranaidinae SPERBER 1948

Genre *Paranais* CZERNIAVSKY 1880

1. *Paranais* sp.

Sous-Famille Naidinae LASTOCKINS 1924

Genre *Allonais* SPERBER 1948*

1. *Allonais paraguayensis* MICH. 1905 ? var.

Famille TUBIFICIDAE

Genre Branchiura BEDDARD 1892

* 1. *Branchiura sowerbyi* BEDDARD 1892

Famille MEGASCOLECIDAE

et se trouvait dans la collection égyptienne de MICHAELSEN sans qu'il s'en aperçoive (*vide supra*), et on peut donc considérer que KHALAF EL-DUWEINI fut le premier à annoncer sa présence en Egypte. Cet auteur a conclu, à la suite de ses recherches laborieuses, que non seulement les vers de terre sont rares en Egypte, mais que leur diversité est aussi très pauvre (il a utilisé le mot "scarcity", car le mot "diversité" était encore méconnu). Il a donc confirmé, en 1940, les observations d'ARRHENIUS et de BODENHEIMER. On peut dire que cela est dû au fait que ses collections étaient pour des objectifs systématiques et faunistiques, plutôt qu'écologiques. Cet auteur trouvait, quan'même, les vers dans les endroits riches en matières organiques, où le pH est remarquablement acidique. *Alma nilotioca*, l'espèce aquatique, se trouve dans les eaux stagnantes ou presque stagnantes, les étangs, les ruisseaux lents, etc., où s'accumule la matière organique.

Pourtant, KHALAF EL-DUWEINI ajoute qu'on peut colliger les vers de terre pendant toute l'année des jardins et des sols qui reçoivent l'eau d'irrigation en permanence. Donc ils ne se rencontrent pas dans les terres cultivées en Haute Egypte, où la terre est laissée sèche pour une longue période de l'année. C'était le système d'irrigation unique (système dit des "bassins") à la suite de la crue du Nil, ce qui n'est plus le cas actuellement (depuis 1963), grâce au Haut Barrage d'Assouan, qui assure une irrigation permanente toute l'année. En Haute Egypte, les vers de terre se rencontraient seulement aux bords des canaux, ou submergés sous la surface de l'eau dans les étangs peu profonds. Dans les sols irrigués de la Basse Egypte, et les jardins du Caire et ses environs, on pouvait les voir en abondance (relativement parlé) pendant les mois de l'hiver et le début du printemps (de décembre au mois de mars), le temps de leur reproduction, quand on pouvait colliger leurs cocons.

Le même auteur ajoute que l'espèce la plus abondante était *Allolobophora caliginosa* f. *trapezoides*, qu'il pouvait colliger pratiquement de chaque jardin en Egypte, et aussi de la plupart des champs de la Basse Egypte. D'après cet auteur, *Pheretima californica* était la deuxième espèce en termes d'abondance, se trouve uniquement dans les jardins. En fait, la séparation écologique entre ces deux espèces est due à leurs différences des aires d'origine, et par la suite, leurs grandes différences anatomiques et adaptations physiologiques (GHABBOUR 1999). La

BEDDARD 1900, UDE 1929, STEPHENSON 1930, et MICHAELSEN lui-même, 1934).

Les travaux sur des champs de travail autre que la systématique furent peu nombreux. Le chimiste suédois ARRHENIUS, l'inventeur du concept de pH (mesure d'acidité), qui avait prévu une vingtaine d'années auparavant, l'effet global de serre, grâce à l'augmentation du CO_2 industriel dans l'atmosphère de la terre, a publié en 1921 un article intéressant sur l'effet du pH du sol sur les vers de terre, basant ses conclusions sur des expériences mises en place en Egypte. Il a expliqué la rareté des vers de terre dans nos sols par leur pH élevé (trop alcalin). Mais ses conclusions ne se sont pas avérées aussi candides que celles concernant l'effet de serre, car KHALAF EL-DUWEINI et GHABBOUR (1963, 1964, et 1965) ont démontré, aussi bien par des expériences minutieuses que par des échantillonnages sur le terrain, que la cause n'en est pas le pH, mais plutôt l'aridité.

En 1927, GRESSON a étudié les branchies *d'Alma nilotica,* qu'il avait colligé en Basse Egypte. BODENHEIMER (1935) a donné un aperçu sur "les conditions du sol qui limitent la distribution des vers de terres", où il a discuté les conclusions d'ARRHENIUS, en se basant sur des expériences qu'il a menées lui-même en Egypte, en Palestine, en Syrie, etc.

Les échantillonnages de A. KHALAF EL-DUWEINI ont commencé en 1935 dans plusieurs endroits du pays. Il a pu trouver (1940 a) les espèces suivantes:

1. *Allolobophora caliginosa f. trapezoides*
2. *Eisenia rosea* f. *bimastoides*
3. *Alma nilotica*
4. *Pheretima californica*
5. *Pheretima elongata*
6. *Pheretima posthuma*
7. *Pheretima hawayana*

Le professeur KHALAF EL-DUWEINI a donc découvert les trois dernières espèces de *Pheretima* (un genre de l'Asie du sud et du sud-est) pour la première fois en Egypte. L'espèce *Eisenia rosea* f. *bimastoides* était déjà connue de la Sardaigne,

et l'a ainsi séparé en une forme particulière. Pourtant, MICHAELSEN (1903) ne fut pas d'accord et dit : "die COGNETTI'sche Form *Eisenia rosea* forma *bimastoides* stehtt meiner Ansicht nach in keiner nähren verwandtschaftlichen Beziehungen zu *Eisenia rosea*; sie gehört der Gattung *Helodrilus* und der Untergattung *Bimastus* an. Ich bezeichne sie als *Helodrilus (Bimastus) bimastoides* (COGNETTI)". Pour lui répondre, COGNETTI (1905) a ré-étudié le ver et y a découvert des "mucocytes" (une variété de corpuscules coelmiques), dont la présence est une particularité propre à l'espèce *Eisenia rosea* (Sav.) -synonyme *Allolobophora mucosa* Eisen-, et il insista de référer ces spécimens à cette espèce, et non pas au genre *Bimastus*". MICHAELSEN fut convaincu et l'a reconnue comme une "forme" définitive, lorsqu'il a écrit dans une lettre privée à KHALAF EL-DUWEINI en 1938 : "Cette espèce est une vraie *Eisenia* avec les organes sexués aberrants du genre *Bimastus*..". Il a ajouté que lui-même avait colligé *E. rosea* f. *bimastoides* au Caire-Geziereh et l'a mis, après un examen superficiel, sous le nom *Allolobophora rosea* (MICHAELSEN 1897), et que lorsque la collection de son correspondant égyptien lui fut parvenue, il a ré-étudié ces spécimens qu'il a trouvé, à sa surprise, identiques avec la forme *bimastoides* de COGNETTI. C'était peut-être son dernier travail scientifique.

Les quatrième et cinquième espèces de la collection de MICHAELSEN (1897), c-à-d, *Allolobophora caliginosa* et *Alma nilotica*, furent aussi colligées par KHALAF EL-DUWEINI, qui a publié une série d'articles sur leur anatomie et histologie, aussi bien que leurs cycles de vie (cf. 1940 b)

Plus tard, en 1900, MICHAELSEN reprend les mêmes espèces dans son ouvrage "Tierreich", où il a ajouté une sixième, *Pheretima californica*, qui fut, elle aussi, l'objet de plusieurs études anatomiques et histologiques par KHALAF EL-DUWEINI (1965 a).

Plus d'autres collections furent faites depuis lors. Mais les différents auteurs ont repris les données de MICHAELSEN, et ont mis l'Egypte, ou au moins la région du Caire, parmi les aires de répartition des espèces ci-haut mentionnées (voir

(5)

1896 pour colliger assez d'échantillons afin de vraiment enrichir nos connaissances sur la faune des vers de terre égyptiens. Il a parcouru plusieurs endroits, surtout autour du Caire, et a publié en 1897 son article classique sur les vers de terre inconnus ou peu connus de l'Afrique, y compris l'Egypte. Il y a décrit brièvement cinq espèces:

1. *Nannodrilus staudei*

2. *Allolobophora jassyensis var. orientalis*

3. *Allolobophora rosea*

4. *Allolobophora caliginosa et*

5. *Alma nilotica*

Le *Nannodrilus* est ainsi nommé d'après un pharmacien allemand du Caire (Herr STAUD), tandis que la deuxième a gagné son nom spécifique de la ville de Jassy en Roumanie, mais indique une variété de répartition du côté oriental. Le nom générique *Allolobophora* signifie "porteur de lobules semblables". *A. rosea* est nommé d'après ROSA, un grand maître italien d'oligochètologie, tandis que caliginosa signifie "bien connu".

KHALAF EL-DUWEINI, 1940 (a), a pu retrouver les deux premières espèces, *Nannodrilus staudei* et *A. j.* var. *orientalis*, malgré les efforts qu'il avait exercé. Le présent auteur a retrouvé, en 1959, *Nannodrilus* dans l'Oasis Kharga, au sud du Désert occidental, et à l'ouest du Delta. Il a aussi, retrouvé *A. j.* var. *orientalis*, qui, d'après MICHAELSEN se trouve à l'est du Delta du Nil, dans la même région.

La troisième espèce a depuis lors été renommée *Eisenia rosea* forma *bimastoides*, (d'après EISEN, un autre grand oligochètologue) et se trouve assez fréquemment dans le Delta. En fait, on n'est plus sûr de de la retrouver, vu les grandes quantités d'insecticides utilisés abondamment depuis 1950, qui ont atteint 3 gm/m2/an (GHABBOUR 1974). Cette forme fut découverte pour la première fois en Sardaigne par COGNETTI en 1901. Cet auteur a trouvé que cette forme possède des organes génitaux qui ressemblent à ceux du genre *Bimastus* (ou plutôt *Bimastos*)

1826), le nom générique qu'il donna à quelques espèces des deux genres *Allolobophora* et *Lumbricus,:* "La confusion de *N. longus* avec *N. terrestris* étant fréquente en raison de leur étroite parenté, peu de travaux peuvent être rattachés avec certitude à l'espèce que nous étudions présentement". Si l'une ou l'autre de ces identifications est acceptée, une espèce avec ces caractères, quoiqu'elle soit, doit être exclue de la faune égyptienne, car aucune d'entre elles n'a jamais été retrouvée en Egypte.

L'article de 1940 (a) mentionne qu'en suite, ROSA a décrit en 1888 deux espèces de l'Oasis de Siwa, à l'extrême ouest du Désert occidental égyptien, *Teleudrilus ragazzi* et *Acanthodrilus scioanus.* En effet, la localité de ces découvertes s'agit de la région de Scioa, en Ethiopie, et non pas de l'Oasis Siwa de l'Egypte. C'était une erreur d'interprétation des noms géographiques. Il ne faut pas donc considérer ces deux espèces comme appartenant à la faune égyptienne, comme l'article de 1940 pourrait laisser croire. Ce malentendu a été corrigé plus tard par KHALAF EL-DUWEINI et GHABBOUR en 1967, en traitant les nouvelles données sur la faune oligochètologique de l'Egypte.

Une découverte spectaculaire fut faite par LEVINSEN en 1890 (cit. MICHAELSEN 1900), qui a trouvé un ver de terre "aquatique" dans les boues aux bords du Nil, au-dessous du niveau de l'eau. Il s'agit du ver *Alma nilotica*, mais auquel il a donné deux noms, *Siphonogaster aegyptiacus* et *Digitibranchus niloticus.* Pourquoi? C'est probablement parce qu'il avait examiné des spécimens découpés et séparés, des deux extrémités du ver, de devant et d'arrière. La partie antérieure du ver possède deux extensions tubiformes (à la suite de la fixation en alcool), qui poussent d'un point reculé de la partie antérieure, d'où le nom *Siphonogaster*, tandis que la partie postérieure possède sur chaque segment des branchies en forme de doigts minuscules, d'où le nom *Digitibranchus.*

Il a fallu que MICHAELSEN (allemand d'origine danoise) visite l'Egypte en

ans, le dernier, étant le cinquième, était tenu en 1994 à Columbus, Ohio, aux Etats unis (EDWARDS 1998). Un autre ouvrage plus pratique a paru sur leur aménagement dans les agro-systèmes tropicaux (LAVELLE, BRUSSARD et HENDRIX 1999). Tout récemment une publication affirme l'importance des vers de terre pour le maintien de la biodiversité dans les écosystèmes terrestres, car il parait que plus de deux tiers des effectifs du petit gibier chassé en France consomment cette proie (GRANVAL et MUYS 1999).

Mais l'histoire de leurs découvertes en Egypte a été sans doute initié par SAVIGNY, mais leur étude extensive n'a pu être possible qu'à la main des scientifiques du pays. Le professeur Atallah KHALAF EL-DUWEINI, le pionnier des oligochètologues égyptiens, en faisant le bilan des vers de terre découverts en Egypte, jusqu'à 1940 (1940 a), a écrit que SAVIGNY (1809) avait donné la description de deux espèces de notre pays, *Enterion terrestris* et *Hypogeon hirtum.* SAVIGNY a cité *Enterion terrestre* comme synonyme de *Lumbricus terrestris* Linné. Les descriptions de ces deux espèces, pourtant, ne sont pas claires et ne s'appliquent de manière exacte à aucune espèce connue, à l'heure actuelle, des vers de terre. La description de la première espèce dont l'arrangement des chètes (soies) est de type lombricidé, avec la présence des pores génitaux mâles sur le segment XV, aussi bien que la forme de selle du clitellum (selle), suggèrent qu'elle puisse être un lombricidé. SAVIGNY l'a considéré identique avec l'espèce européenne *Lumbricus terrestris* Linn., mais la situation du clitellum, d'après sa description, et le fait qu'aucune espèce du genre *Lumbricus* n'a jamais été trouvée en Egypte, nous empêchent d'accepter cette hypothèse. La description de l'arrangement des chètes de l'autre espèce, *Hypogeon hirtum*, avec une " lignée dorsale impaire", est fort bizarre et rend sa liaison avec d'autres espèces de vers de terre, elle aussi, impossible. Le lyonnais TÉTRY (1937) a examiné ces spécimens et a conclu que les spécimens nommés *Enterion terrestre* par SAVIGNY appartiennent en effet à *Allolobophora terrestris* (SAVIGNY) f. *longa*. LEE (1959) s'est déclaré de même avis. Pourtant, BOUCHÉ (1972) a écrit sur *Nicodrilus Nicodrilus terrestris terrestris* (SAVIGNY,

Cairo Univ. Afr. Stud. Rev. 20 (1998): p 61 - 88.

LES VERS DE TERRE DE L'EGYPTE ET LEURS AFFINITES AFRICAINES

Par

Samir I. GHABBOUR*

Les vers de terre appartiennent à la Classe Oligochaeta, du Phylum des annélides. Ils s'appellent en Egypte *didan el-ard* (= vers de terre), ou *to'm* (= appât, vu leur utilisation ainsi à la pêche). Dans les ouvrages classiques arabes, ils sont appelés *kharateen* (= excréments de boue). Au Soudan, dans la Vallée du Nil, ils sont appelés *sarguél* (= ?, probablement un ancien mot hamitique) mais à la région de Jebel Marra, à l'ouest du pays, ils sont connus par le terme arabe *habl el-wata* (= cordes du sol).

Le rôle des vers de terre dans les processus biologiques du sol arable est bien connu depuis le temps de DARWIN, qui a en effet eu ses idées sur l'évolution des êtres vivants par des transformations lentes et continuelles, en observant le travail laborieux des vers de terre dans son jardin. Suivant DARWIN, plusieurs recherches ont été menées pour approfondir nos connaissances sur ce rôle, et GHABBOUR en a publié (GHABBOUR 1966) une évaluation compréhensive avec le pour et le contre. La majorité des oligochètes sont des vers de terre, donc vivant sous le sol, mais un certain nombre de Familles comprend des espèces aquatiques, et encore plus rares, sont les espèces vivant dans les eaux salées dans les mers du monde, tout près des côtes. Pour fêter le centenaire de la parution du livre de DARWIN sur les vers de terre, un symposium sur leur rôle a été tenu a Grange-over-Sands, Grande Bretagne, en 1982 (SATCHELL 1983). Un symposium international est tenu tous les 5 ou 6

* Département de Ressources Naturelles, Institut de Recherches et d'Etudes Africaines, Université du Caire 12613 Giza (Le Caire), EGYPTE

معارفنا الراهنة عن حياة الحشرات فى الصحارى الأفريقية، وعلى الأخص قافزات الذنب (الكولمبولا)

بقلم

الأستاذ جان - مارك تيبو

رئيس قسم الحشرات ، المتحف الوطنى للتاريخ الطبيعى - باريس

يمثل هذا البحث المحاضرات التى ألقاها المؤلف بالمعهد أثناء وجوده كأستاذ زائر فى شهر مارس عام ٢٠٠٠

ملخص

يتكون هذا العرض للوضع الراهن عن معارفنا عن حياة الحشرات فى الصحارى الأفريقية من ثلاث أجزاء هى: الأول عن الفونا الحشرية فى الصحارى الموريتانية، والثانى نبذة عن الحشرات قافزة الذنب (الكولمبولا)، والثالث عن بعض المعطيات الخاصة بالكولمبولا فى الصحارى الأفريقية. (١) الفونا الحشرية فى الصحارى الموريتانية: ذهبت بعثتان موريتانية - فرنسية مشتركة لدراسة الفونا الحشرية فى سبع مواقع من الكثبان الرملية الساحلية أولها موقع على بعد ٢٣٠ كم شمال العاصمة نواكشوط، وآخرها على بعد ٢٠٠ كم جنوب نواكشوط، وذلك فى خلال شهرى أبريل ونوفمبر عام ١٩٩٥. ويضم البحث قائمة بأنواع الحشرات التى وجدت فى هذه المواقع. (٢) نبذة عن الحشرات قافزة الذنب (الكولمبولا): كانت تصنف الكولمبولا فى السابق على أنها «حشرات عديمة الأجنحة» (أبتيريجوتا)، ولكنها تصنف الآن على أنها ليست حشرات، بل ضمت فى مجموعة جديدة خاصة تسمى «أليبيورا»، وتنضم فى ذلك مع (البروتيورا). وتنقسم الكولمبولا إلى ثلاث تحترتب، هى: الأرثروبليونا، وهى ذات جسم مستطيل ومقسم إلى عقل واضحة، والسيمفيبليونا، وجسمها مكور والبطن أوضح نمواً من الصدر، وأخيراً النيبليبليونا، وجسمها مكور أيضاً، ولكن الصدر هو الأوضح نمواً من البطن. وكل هذه الأنواع لها أهمية كبرى فى تدوير المواد العضوية وصون خصوبة التربة. (٣) بعض المعطيات الخاصة بالكولمبولا فى الصحارى الأفريقية: لا تزال فونة الكولمبولا فى صحارى شمال أفريقيا غير معلومة إلى حد كبير، والمعروف منها حتي الان: المغرب: حوالى ١٢٠ نوع معروف، منها ١١ نوع متفرد، الجزائر: حوالى ٦٠ نوع معروف، منها ١٧ متفرد، تونس: حوالى ١٢ نوع معروف، منها ٤ أنواع متفردة، ليبيا: حوالى ١٠ أنواع معروفة، منها نوع واحد متفرد، مصر: حوالى ٤٠ نوع معروف، منها نوعان متفردان. ومن هذا يتبين أنه مازال المجال متسعاً أمام الباحثين الأفارقة كى يستمروا فى التعرف على ما تخبؤه بلادهم من موارد طبيعية ومن تنوع أحيائى.

Our Present Knowledge About the Entomofauna of African Deserts, With Special Reference to Collembola

Summary

The present review of our knowledge of the entomofauna of African deserts is composed of three parts: (1) the entomofauna of the deserts of Mauritania' (2) a note on springtails (Collembola), and (3) some new data about Collembola in African deserts.

(1) The entomofauna of the deserts of Mauritania: Two Mauritanian-French missions studied the entomofauna in seven localities on the Mauritanian coastal dunes, from a site 230 km north of Nouakchott, to a site 200 km south of Nouakchott, in April and November 1995. The paper gives a list of the insects that were found.

(2) A note on springtails (Collembola): Collembola were formerly placed under Insectae as "Apterygota" (wingless insects), but they are now classified not as insects, but as part of a new group, the Ellipura. They are grouped here with Protura. Collembola are divided into three sub-Orders: Arthropleona, with an elongated and clearly segmented body, Symphypleona, with a rounded body and the abdomen more well developed than the thorax, and Neelipleona, with a rounded body also, but with the thorax more well developed than the abdomen. All these Collembola are of great importance in the recycling of organic matter and maintaining soil fertility.

(3) Some new data about Collembola in African deserts: The collembolan fauna in African deserts is still poorly known. In North Africa, it is known that Morocco has about 120 species (11 endemic), Algeria has about 60 species (17 endemic), Tunisia has about 12 species (4 endemic), Libya has about 10 species (1 endemic), and Egypt has about 40 species (2 endemic). This shows that African researchers have a lot to discover about the species richness and biodiversity of their Continent.

prospection de ce groupe et tout spécialement en Afrique. Les chercheurs africains sont ainsi invités à continuer ces travaux afin d'enrichir leurs connaissances sur leur continent.

Bibliographie

1 - CAUSSANEL. C., DIA, A. T., NEL, A., OULD BOURAYA. I. et THIBAUD, J.-M. (1997) - Prospection préliminaire de la biodiversité des Insectes des sables littoraux de Mauritanie. *Bull.* Soc. *entomol. Fr.*, 102 : 67-72.

2 - CONDÉ, B., BITSCH, J., CHAUDONNERET, J., FRANCOIS, J., PAGÈS, J. et THIBAUD, J.-M. (1997) - Que sont nos Aptérygotes devenus ? *Bull. Soc. zool. Fr.*, 122 : 303-311.

3 - THTBAUD, J.-M. (1980/1984) - Variations sur les Insectes Collemboles, particulièrement ceux d'Afrique du Nord et d'Egypte. Cairo Univ. Afr. Stud. *Rev.*, 9:1-8.

4 - THIBAUD, J.-M. (1994) - For a biological and ecological class)fication of cavernicolous Collembola. *Mémoires de Biospéologie*, 21 : 147- 149.

5 - THIBAUD, J.-M. (1996) - Etudes des Collemboles interstitiels des sables littoraux de Mauritanie. *Ann.* Soc. *Entomol. Fr.*, 32 : 475-479.

6 - THIBAUD, J.-M. et MASSOUD, Z. (1980) - Etude des Collemboles de certains milieux du Maroc et considérations biogéographiques sur la faune du Maghreb. *Revue suisse Zool.*, 87: 513-548.

7 - THIBAUD, J.-M. et CHRISTIAN, E. (1997) - Biodiversity of interstitial Collembola (Insecta) in sand sediments. *Eur. J: Soil Biol.*, 33 : 123-127.

8 - THIBAUD, J.-M. et COINEAU, Y. (1998) - Nouvelles stations pour le genre *Gordialycus* (Acarien : Nematalycidae). *Biogeographica*, 74 : 91-94.

This paper is the body of two lectures given by Prof. Jean-Marc Thibaud at the Dept. of Natural Resources, Inst. of African Reasearch and Studies, Cairo University, while he was invited as Visiting Professor in March 2000.

- en Libye, environ 10 espèces connues, dont 1 endémique,

- en Egypte, environ 40 espéces connues, dont 2 endémiques.

Presque toutes ces espèces ne sont d'ailleurs pas connues de l'écosystème désertique, mais des forêts, des zones cultivées et des grottes.

Seul mon travail de 1996 sur les Collemboles des sables littoraux de Mauritanie apporte quelques données sur les espèces interstitielles désertiques. J'ai ainsi trouvé dans les sables les espèces suivantes :

- Hypogastruridae: *Xenyllogastrura arenaria* Fjellberg, 1992, espèce décrite des sables littoraux des îles Canaries ;

- Onychiuridae: *Mesaphorura subitalica* Thibaud, 1996, espèce nouvelle, retrouvée dans des sables littoraux aux Antilles (Anguilla et Cuba) ;

- Isotomidae: *Folsomina onychiurina* Denis, 1931, espèce cosmopolite, trouvée ici pour la première fois en Afrique; *Folsomides parrulus* Stach, 1922, espèce cosmopolite, déjà signalée d'une île du Cap Vert et des îles Canaries ; *Cryptopygus caussaneli* Thibaud, 1996, espèce endémique.

Nous avons montré (Thibaud et Christian 1997) que les peuplements collembologiques interstitiels des sables sont liés à une certaine granulométrie de ceux-ci (vers 180 à 200 µm). Leur biodiversité est moins riche que celle des peuplements des sols et des litières; ainsi, par prélèvement de 2,000 cm3, on rencontre 0 à 12 espèces (en moyenne 3 à 4) et 0 à 180 individus (en moyenne 24). Ce milieu sableux est en effet assez pauvre trophiquement, avec des facteurs climatiques drastiques. C'est un milieu « extrême » comme d'ailleurs le cavernicole.

Nous pouvons constater ainsi le peu de connaissances sur les Collemboles d'Afrique du Nord! Il y a de grandes lacunes dans la

de type (r) pour les hemiédaphiques-troglophiles et de type (k) pour les troglobies.

Tout ceci corrobore les idées généralement exprimées en Biospéléologie sur le statut des troglobies qui représenteraient le terme d'une évolution régressive, comportant une réduction, puis une perte à peu prés totale des facultés d'autorégulation, avec un metabolisme ralenti par rapport à celui des édaphiques ou des épigés.

En conclusion, le fait que certaines espèces de Collemboles aient encore une possibilité de vie sub-aquatique, nous permet de mieux imaginer la vie de ces Insectes «primitifs» dans les forêts marécageuses du Carbonifère. A l 'apparition des forêts de feuillus (fin du Crétacé inferieur), au sol couvert d'humus, les Collemboles ont alors colonisé le sol et le soul-sol en occupant les niches disponibles. Cette expansion a été possible grâce à leur polyphagie, leurs caractères physiologiques et leur faculté d'adaptation écologique.

Ce sont, pour certains, de véritables « fossiles vivants », dont les larges aptitudes éco-physiologiques leurs ont permis de traverser les ères gèologiques en conservant le faciès de leurs lointains ancêtres.

III - LES COLLEMBOLES EN AFRIQUE DU NORD ET DANS LES DESERTS

La faune des Collemboles d'Afrique du Nord est très peu connue.

Ainsi :

- au Maroc, environ 120 espèces connues, dont 11 endémiques,
- en Algérie, environ 60 espèces connues, dont 17 endémiques,
- en Tunisie, environ 12 espèces connues, dont 4 endémiques,

longues et fines, sensilles allongées. Mais certains de ces caractères sont déjà présents chez des formes édaphiques. Donc, chez les Collemboles la connaissance de l'habitat et l 'étude de la morphologic ne permettent pas de faire une distinction entre les troglobies et les autres !

Il semble bien établi que seule une connaissance précise de la biologic et de l'écophysiologie permette de les classer «écologiquement». En effet, j'ai montré (Thibaud 1994) que les troglobies présentent :

- une productivité plus faible,

- un ralentissement des processus biologiques (durées des développements embryonnaire et postembryonnaire et du cycle d'intermue),

- une tendance à augmenter la teneur en graisse de leurs tissus,

- une tendance à diminuer la teneur en eau de leurs tissus,

- une diminution de leur pouvoir de régulation et de rétention hydrique (type hygrophile),

- une diminution de leur métabolisme respiratoire,

- une nette tendance à la géophagie,

- une plus grande résistance au jeûne.

Toutes ces caractéristiques mettent bien en évidence le ralentissementde la vie et de la productivité des troglobies et les diverses stratégies employées par les Collemboles dans l'occupation des niches écologiques vides et dans la régulation de leurs peuplements: stratégie

Les Collemboles sont parfois parasités par des Grégarines et des Nématodes.

Distribution, densité de population, biomasse

La majorité des Collemboles du sol vivent dans la litière ou les couches superficielles. Ils ont une répartition par “agrégats” . Ceci peut s'expliquer par l'hétérogéneité des sols et donc des sources de nourriture et aussi par le fait que les pontes sont groupées chez la plupart des espèces et qu'enfin ces animaux ne se déplacent pas beaucoup.

Les densités sont très variables selon les biotopes et les...auteurs : ils vont de 1000 à 1 million par m^2, avec des moyennes de 10,000 à 100,000. Par exemple, dans une chênaie en Ile-de-France nous avons trouvé les chiffres suivants = litière : 6,000/m^2; 0 à -5cm: 20,000/m^2; -5 à- 10cm : 2,000/m^2; soit un total de 28,000/m^2.

Le poids frais d'un Collembole varie de 0,20 à 1,5 mg selon les espèces. Le poids sec d'un Collembole varie de 0,05 à 0,3 mg selon les espèces. Ceci donne une biomasse allant, pour 50,000 individus au m2, de 10 a 75 g/P. frais et de 2,5 a 15 g/P. sec.

Ajoutons enfin que les Collemboles, qui sont les Arthropodes les plus nombreux, par espèces et par individus, apres les Acariens, sont aussi les Arthropodes les plus répandus dans les grottes. Cependant, leur petite taille et leur aptitude à sauter les rendent difficiles à observer et ils sont done encore très méconnus !

Les Collemboles troglobies

Ils se caractérisent par des caractères morphologiques dits «troglomorphes»: absence de pigment et de cornéule, pattes et griffes

Signalons que nous avons immergé sous l'eau des oeufs de plusieurs espèces de Collemboles et qu'ils se sont développés normalement. Cette possibilité de survie sous l'eau confère aux Collemboles une grande résistance aux inondations et un pouvoir de dissémination par les eaux. De plus, les jeunes et les adultes peuvent vivre plus d'un mois sous l'eau.

Nourriture

Ce sont pour la plupart des polyphages. Ils se nourrissent de débris organiques: parenchyme foliaire, bois en décomposition, excréments, cadavres, pollen, mycélium et spores de Champignons, Bactéries... Ce sont donc des détritivores et ils jouent un rôle non négligeable dans les processus complexes de la biodégradation. Les troglobies sont aussi limivores: ils absorbent des limons argileux enrichis par des Bactéries et des Champignons en substances azotées et en facteurs de croissance.

Prédateurs et parasites

Les prédateurs des Collemboles sont surtout des Myriapodes chilopodes, des Araignées, des Opilions, des Pseudoscorpions, des Insectes diptères, coléoptères et Formicidae, ainsi que certains Reptiles et Batraciens. Ce rôle important des Collemboles comme nourriture dans les chaînes trophiques est encore trop souvent négligé dans les travaux d'écologie!

Signalons que les Collemboles Onychiuridae sont épargnés par les prédateurs car ils sécrètent par leurs pseudocelles des substances "repoussantes".

Influence des facteurs du milieu

Rappelons que les températures léthales sont conventionnellement celles auxquelles 50% des individus d'une population meurent en 24 heures. Entre les températures léthales inférieure et supérieure existe une zone favorable à la vie, à l'intérieur de laquelle se trouve les optimums thermiques, global ou absolu, qui combinent une zone de températures favorables ou une température très favorable, avec la célérité des phénomènes biologiques et physiologiques et une mortalité basse. Pour les espèces européennes, les températures léthales inférieures sont situées, selon les espèces, vers - 1 à- 4°C et les supérieures entre 20 et 30°C. Pour les espèces tropicales, les températures léthales inférieures sont situées, selon les espèces, vers 2 à 4°C et les superieures vers 30 à 32°C' parfois plus pour certaines. Les durées des développements et celle de l'intermue diminuent au fur et à mesure que la température augmente.

En Europe, les optimums thermiques sont compris entre 9 et 14°C; sous les tropiques ils sont de 28°C. Ils correspondent tous aux températures moyennes des biotopes. Les Collemboles sont des eurythermes. L 'optimum hygrométrique se situe vers 96 a 100% d'humidité relative de l'air: ce sont, pour la plupart' des sténygrobies.

Les Collemboles repondent au dessèchement du substrat après pF 4,2 : ce sont des eurydrobies. Ils fuient le substrat avant que le point d'hygroscopie maximale ne soit atteint, c'est-à-dire après le départ de l'eau capillaire et au moment où il regne encore dans les interstices une HR de 100%. C'est l'impossibilité pour ces animaux d'utiliser l'eau du substrat qui détermine leur fuite.

puisqu'elle est conditionnée par les mues, alors que la croissance pondérale est continue.

Cycle vital, longévité, cycle d'intermue

Toutes les durées sont de plus en plus longues au fur et à mesure que l'on passe des espèces épigées aux espèces hémiédaphiques, édaphiques et enfin troglobies. Cycle vital (de l'oeuf à l'oeuf) variant, selon les espèces, de 2 mois à 1 an. Longévité variant, selon les espèces, de 3 mois à 3 ans, en général 1 an. L'existence de mues chez l'adulte est un caractère primitif que les Collemboles partagent avec les autres "Aptérygotes", certains Myriapodes, Archnides et Crustacés. Lors de ces mues adultes ni la taille ni la morphologie ne changent chez les Collemboles. Cycle d'intermue (de la mue n à la mue n+1) variant selon les espèces et les conditions du milieu de 1 semaine à 3 mois, en général 2 à 4 semaines. Durant sa via adulte un Collembole peut ainsi muer jusqu'à une trentaine de fois.

Chaque intermue est divisée en 3 péroides: une 1ère période de jeûne de 1 jour, avant l'exuviation, le nouveau mésentéron n'étant pas encore fonctionnel; une péroide d'alimentation le mésentéron étant fonctionnel; une 2ème période de jeûne de 3 à 7 jours, correspondant à la dégénérescence du vieux mésentéron et à la formation de la nouvelle cuticule. Ceci explique l'alternance régulière de jeûne et d'alimentation chez ces animaux. Cette donnée est très importante en écologie, car un Collembole doit être considéré comme "inactif" dans le système saprophage pendant près de 40% de la durée de sa vie! Ceci n'est jamais pris en condsidération dans les études d'écologie "globale".

plupart des Symphypléones, se sont, grâce au développement de trachées, “émancipés” du sol plus ou moins humide et ont envahi le milieu épigé.

Reproduction et développement

Les sexes sont séparés. Il y a peu de différences morphologiques entre les sexes; seule la forme des orifices génitaux diffère. Chez quleques espèces cependant on rencontre des caractères sexuels secondaires chez les mâles.

La reproduction se fait généralement sans accouplement: le mâle dépose des spermatophores “au hasard” et la femelle est fécondée en les frôlant. Chez de plus rares espèces, le dépôt et la réception sont plus ou moins “dirigés” par les deux partenaires. Quelques espèces sont parthénogénétiques: *Folsomita candida, Isotoma notabilis.* Les oeufs sont pondus par paquet de 10 à 40, mais parfois isolément comme chez les *Tomocerus.* Chez les Dicyrtomina les oeufs sont enrobés dans les excréments. Les oeufs sont sphériques (0,1 à 0,3 mm de diamètre), avec une paroi lisse ou ornemeñtée selon les groupes. La durée du développement embryonnaire varie selon les espèces et les conditions physiques du milieu: de 1 jour à 2 mois, en général 2 semaines. Il n’y a pas de métamorphose, ce sont des “amétaboles”: le premier stade sort de l’oeuf morphologiqument pratiqument identique, mais plus petit, à l’adulte. Selon les espèces, il faudra encore 3 à 15 mues à ce jeune pour parvenir à la maturitè sexuelle. Puis il continuera à grandir légèrement pendant encore quelques mues et à muer sa vie durant. La durée du développement postembryonnaire est elle aussi très variable selon les espèces et les conditions du milieu: 1 semaine à 5 mois, en général 1 à 2 mois. La croissance linéaire est discontinue,

Systématique

Ils sont divisés en 3 sous-ordres:

- les Arthropléones au corps allongé et segmenté, subdivisés en 2 sections: les Poduromorpha au pronotum bien développé et les Entomobryomorpha au pronotum réduit;

- les Symphypléones au corps globuleux et à l'abdomen plus développé que le thorax;

- les Néelipléones au corps globuleux et au thorax plus développé que l'abdomen.

Paléontologie

Les fossiles les plus anciens parmi les Hexapodes et les Insectes sont des Collemboles. Les quatre individus découverts en Ecosse dans le Dévonien moyen (vers 400 millions d'années) ont été nommés *Rhyniella praecursor* en 1926 et furent rapprochés ensuite des Neanuridae actuels. Une étude en cours fait penser que ces fossiles seraient en fait des Hypogastruridae, des Neanuridae et des Isotomidae semblables aux genres actuels! L'explosion évolutive a dû se produire très tôt, avec ensuite un ralentissement.

Habitats

Les Collemboles ont envahi tous les biotopes; on les rencontre ainsi depuis les bords de mer jusqu'aux neiges éternelles, sous tous les climats et sous toutes les latitudes. Ils vivent le plus souvent à la surface du sol et dans les premiers centimètres de celui-ci. Certains se sont adaptés plus récemment à la vie dans les grottes. D'autres, la

Morphologie:

Hexapodes de petite taille (1 à 2 mm), constitué d'une tête et de neuf segments postcéphaliques, sans aile.

La tête porte une paire d'antennes formées de 4 segments parfois subdivisés, dont le III est muni d'un organe sensoriel typique et le IV de sensilles. Elle porte aussi, au maximum, 8 paires de cornéules, nombre souvent réduit chez les formes édaphiques ou troglobies, et un organe postantennaire de forme variable situé entre la base antennaire et la plage oculaire. Les pièces buccales, placées dans une cavité, sont généralement broyeuses, parfois styliformes-piqueuses chez certains Neanurides.

Le thorax est formé de 3 segments, portant chacun une paire de pattes terminées par des griffes plus ou moins longues et pointues.

L'abdomen est constitué de 6 segments dont certains avec des restes d'appendices ventraux: le premier avec un tube ventral qui joue un rôle dans l'équilibre hydrique, le troisième avec un rétinacle sur lequel vient se fixer la furca appendice de saut du quatrième; ces deux derniers appendices sont parfois régressés ou disparus dans certaines lignées édaphiques. Les orifices génitaux, mâle ou femelle, débouchent sur le cinquième et l'orifice anal sur le sixième. Chez certains groupes, secondairement, l'abdomen peut compter moins de 6 segments par fusion des derniers.

La pigmentation et, surtout, la chétotaxie jouent, dans certains genres, un rôle important en systématique. Le corps de certains genres est couvert d'écailles, qui sont des soies transformées.

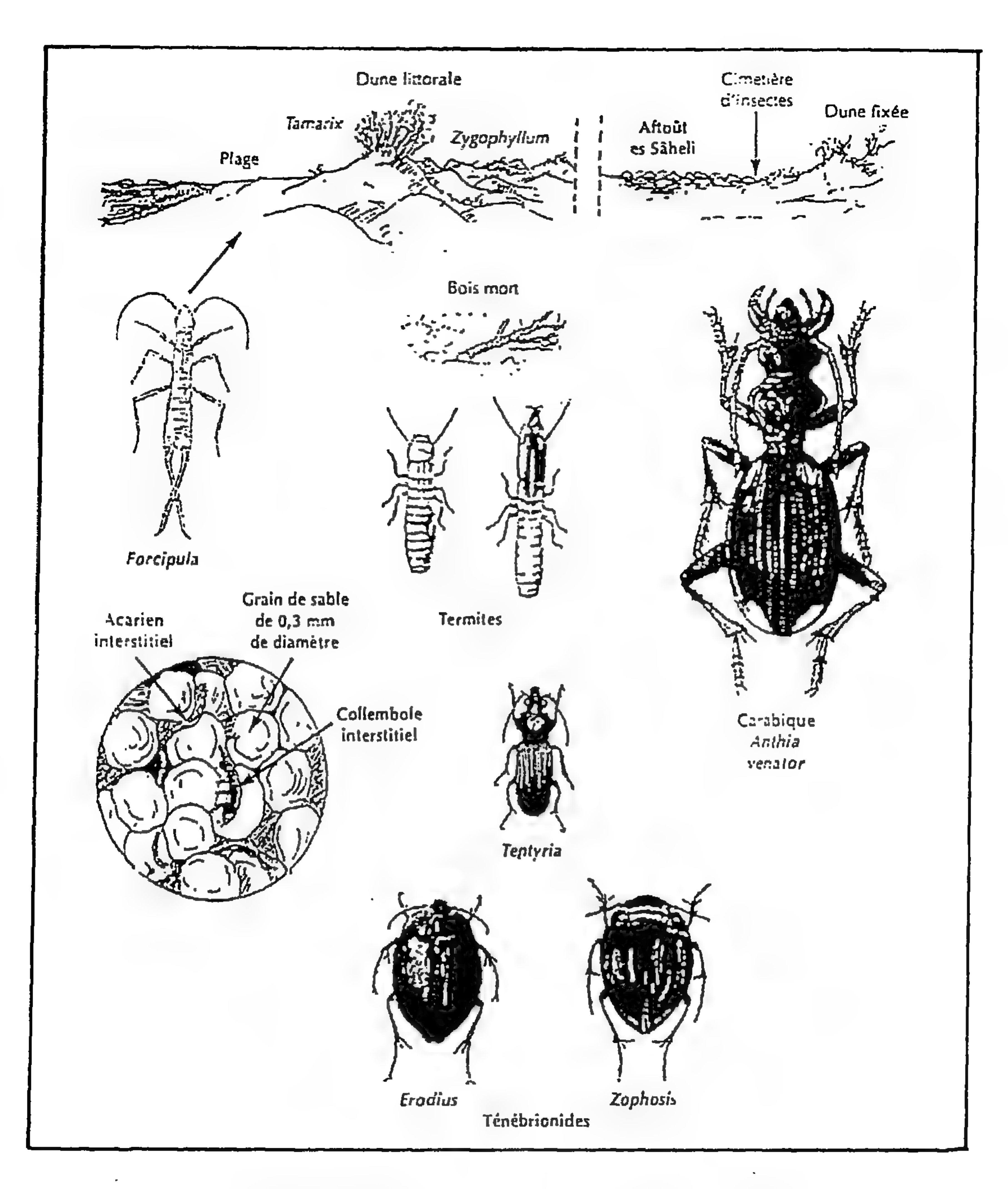


Fig. 6 – Quelques Insectes récoltés dans la zone de Tamzkate.

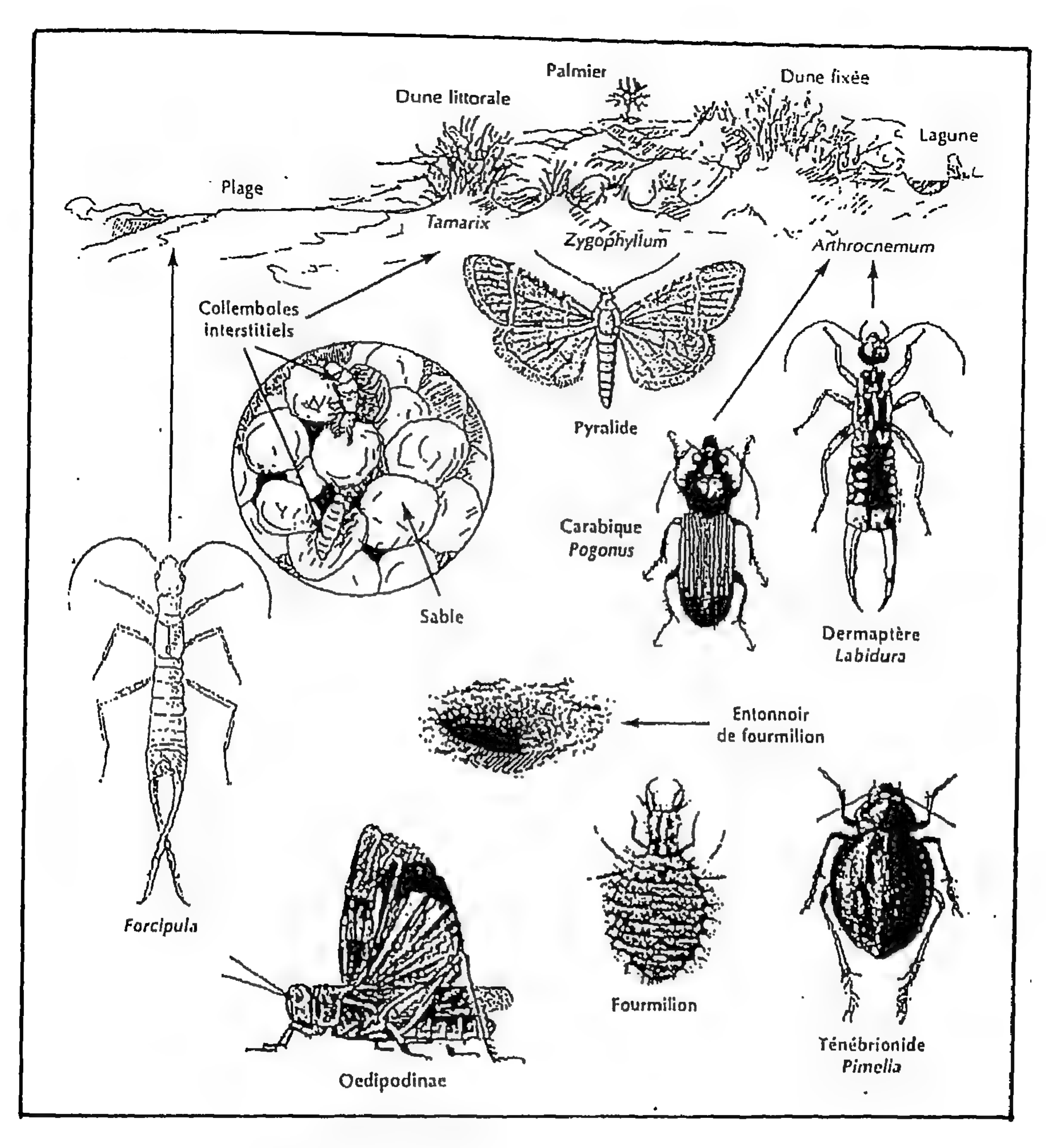


Fig. 5 – Quelques Insectes rencontrés dans la zone de Chott-Bull.

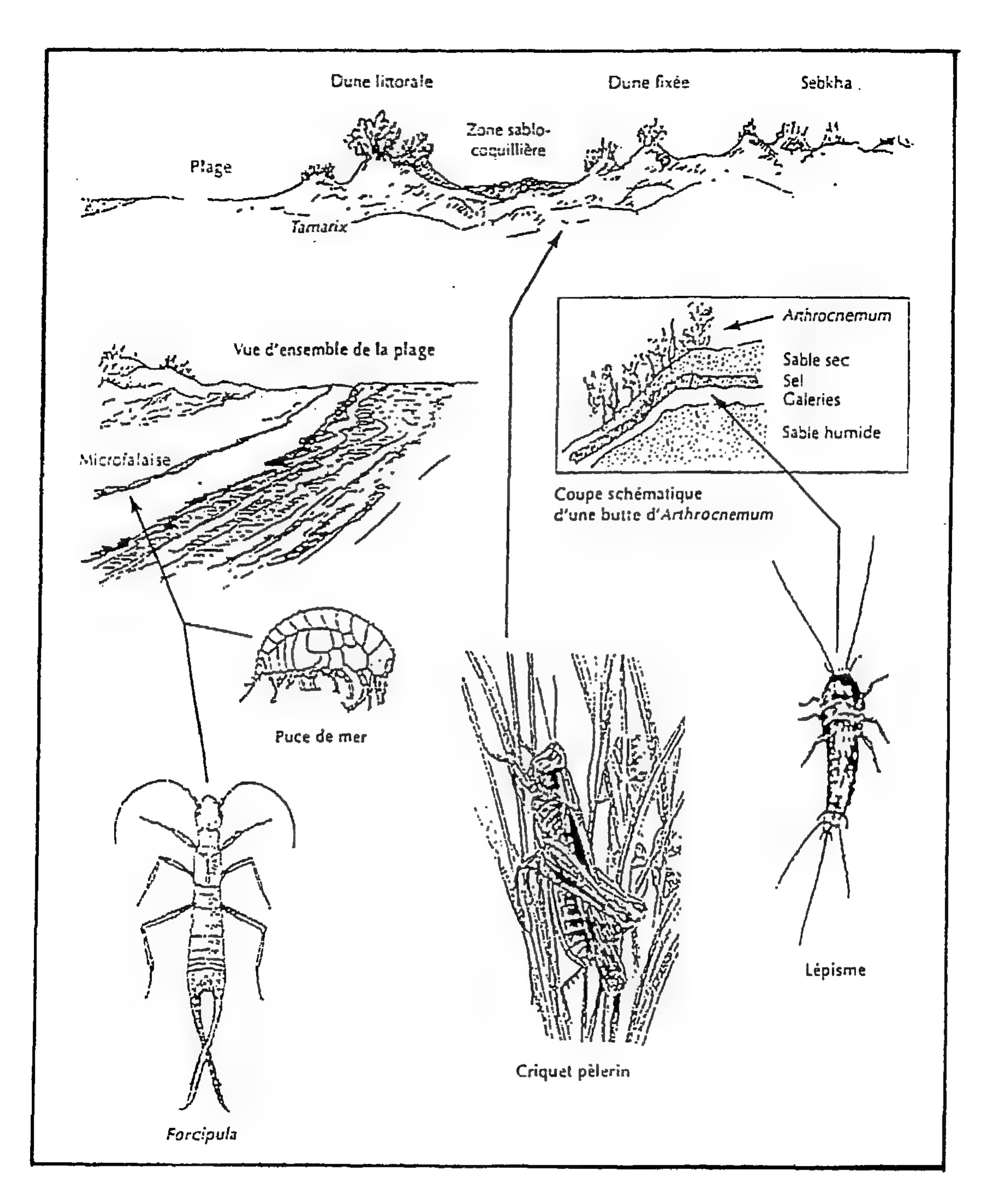


Fig. 4 – Quelques Insectes rencontrés à la Baie de Tanit.

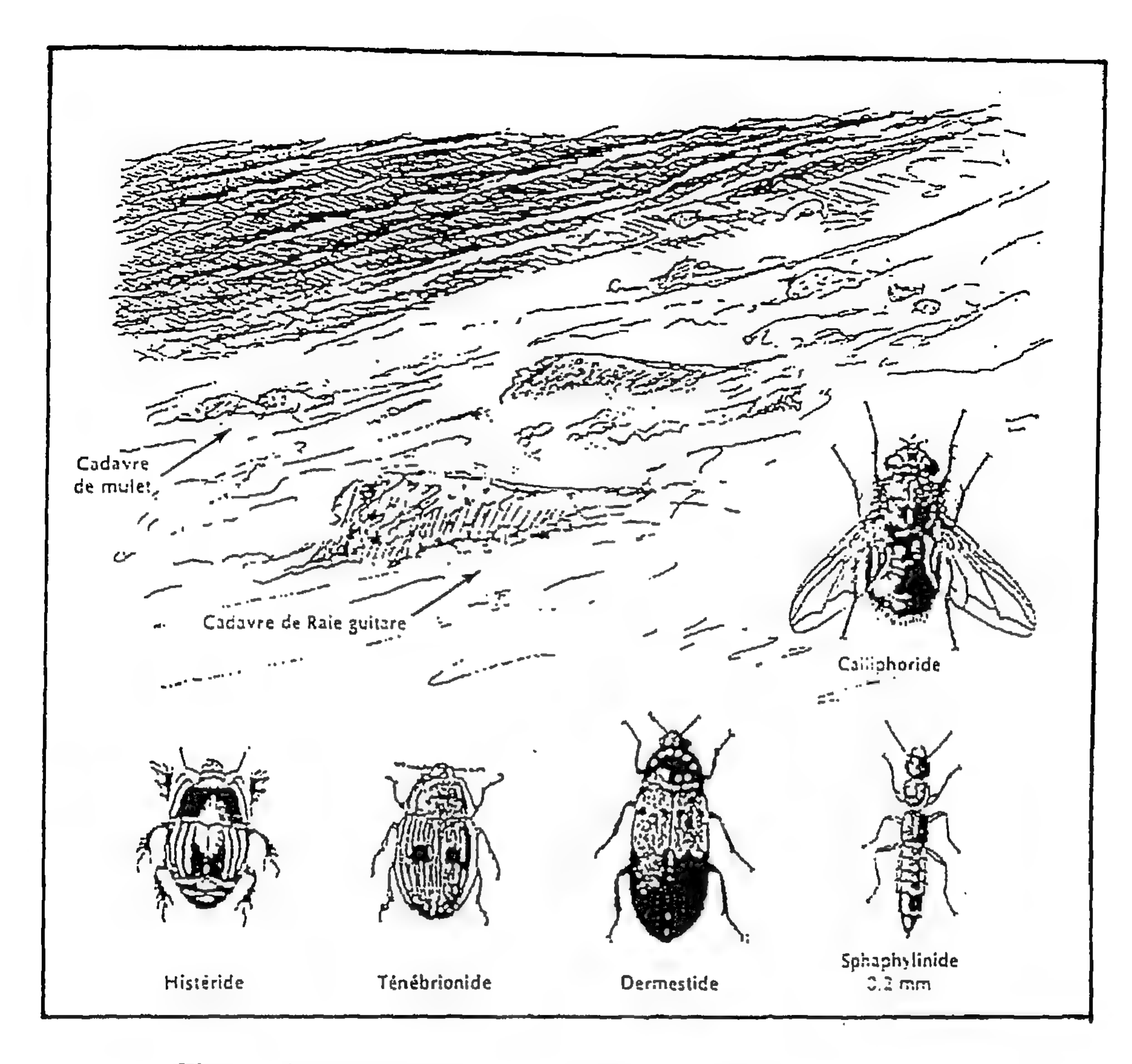


Fig. 3 – Quelques Insectes de la plage de Tiwilit.

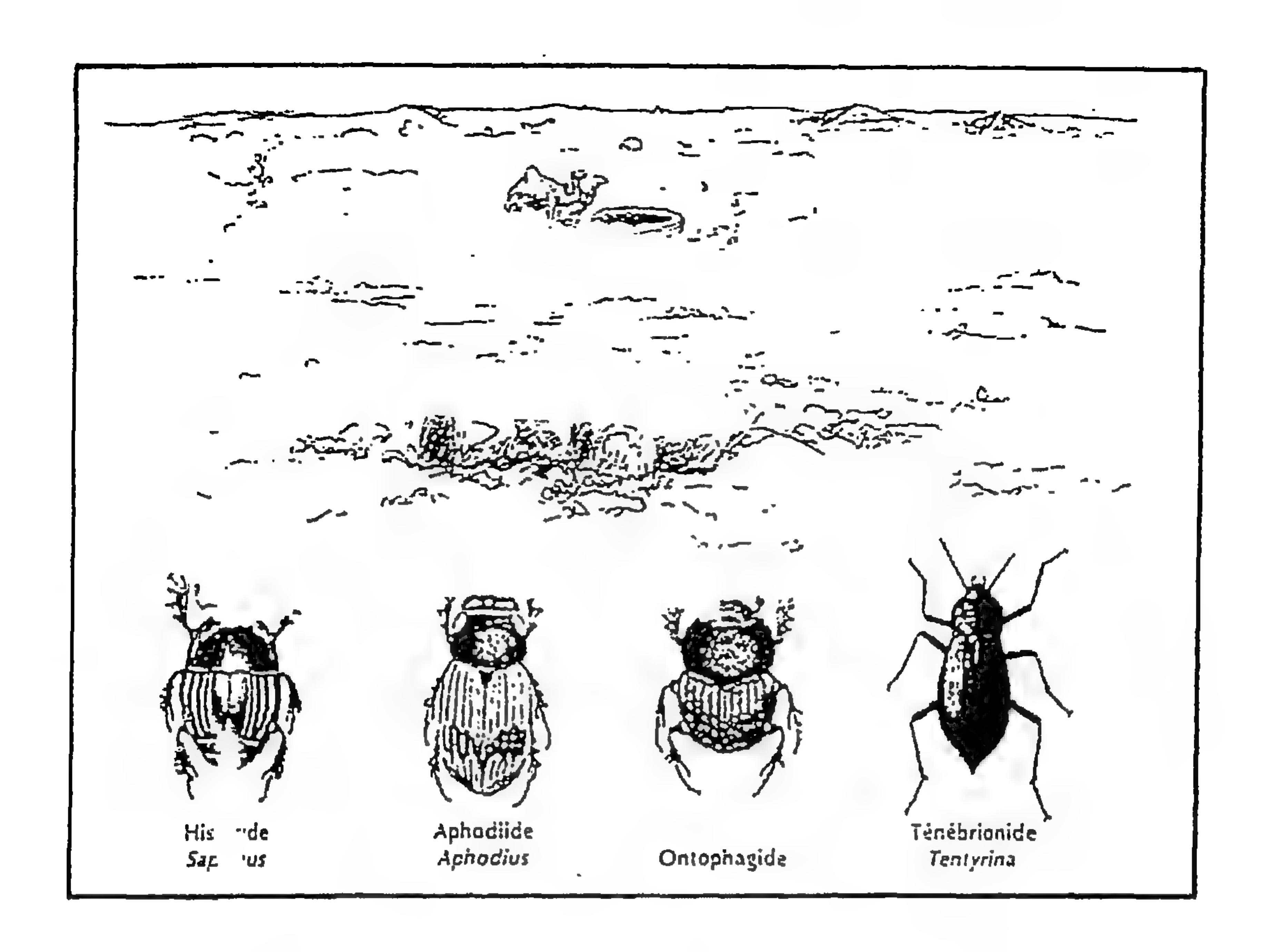


Fig. 2 – Quelques Insectes autour du puits d'Anagoum.

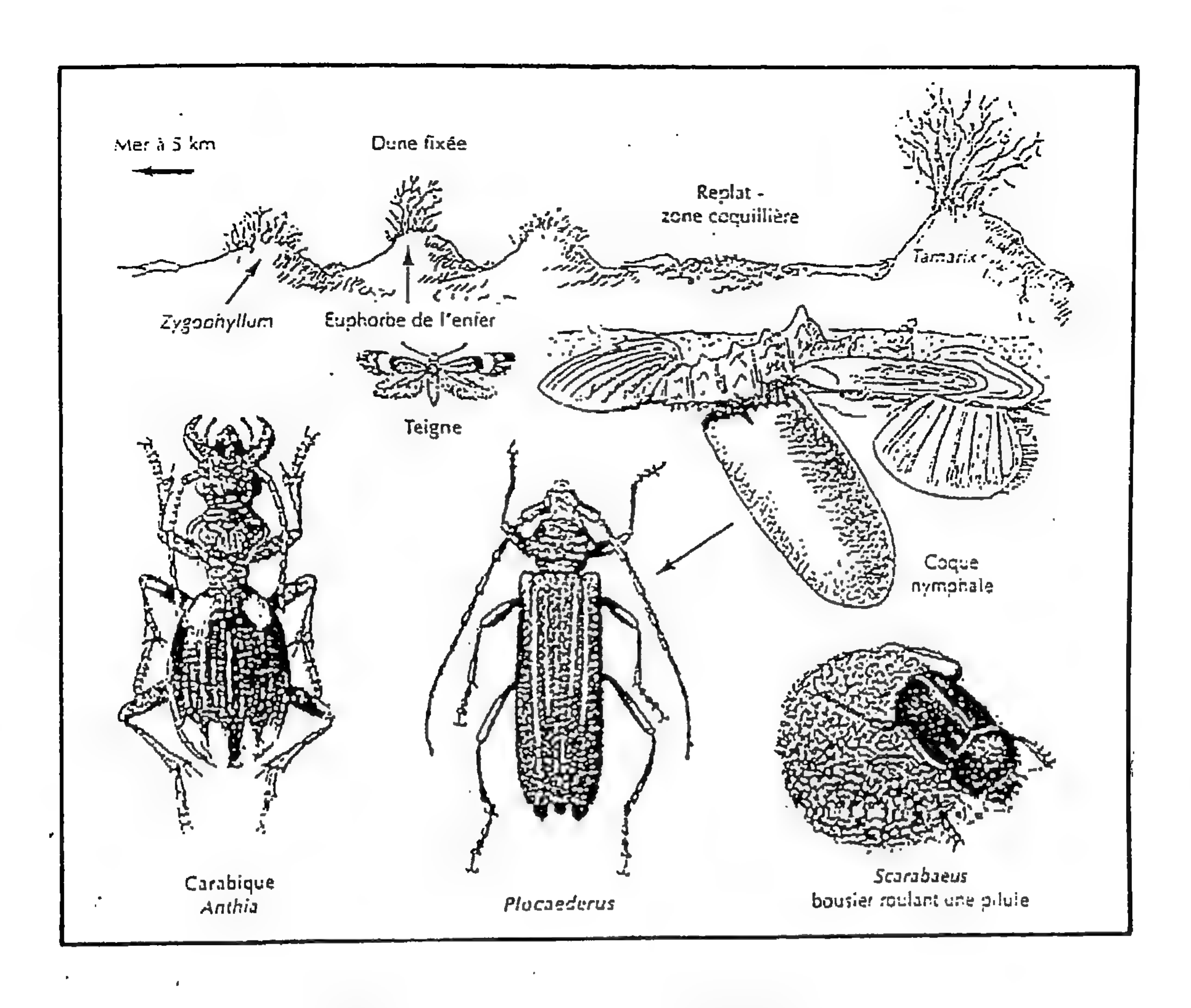


Fig. 1 – Quelque Insectes de la zone de l'Agkneitir.

Coléoptères Tenebrionidae: *Pimelia, Tentyria, Erodius.*

Hyménoptères - Formicidae: *Camponotus*, fourmis moissonneuses et chasseresses;

- Sphecidae, guêpes chasseresses; - Ammophilidae; Pompilidae chassant les araignées.

6) Tamzkate (transect et zonation rappelant ceux de la Baie de Tanit) Fig. 6. Collemboles - Onychiuridae (*Mesaphorura subitalica*); Hypogastruridae (*Xenyllogastrura arenaria*); Isotomidae (*Folsomina onychiurina, Folsomides parvulus, Cryptopygus caussaneli*, ce dernier endémique), tous de très petite taille (vers 0,3 mm), dépigmentés, souvent aveugles, fusiformes.

Dermaptère Labiduridae: *Forcipula caussaneli.*

Coléoptères - Carabidae: *Anthia sexmaculata* et *A. venator,* plus grande et plus rare; Tenebrionidae: *Tentyrina, Tentyria, Pimelia, Erodius, Zophosis, Adesmia.*

Signalons la présence dans les dunes sableuses, avec les Collemboles, de l'Acarien filiforme Nematalycidae (*Gordialycus*) déjà connu dans le même biotope en France, en Afrique du Sud, en Namibie, au Turkménistan, à Cuba, en Nouvelle-Calédonie et au Venezuela (Thibaud et Coineau, 1998).

Les croquis sont dus au talent du regretté Professeur Claude Caussanel.

II - APERÇU SUR LES COLLEMBOLES

Les Collembola, anciennement compris dans les "Aptérygota", sont considérés actuellement comme des Ellipura (avec les Protura), groupe-frère des Insecta *s. str.* (avec les Diplura et les Ectognatha, ces derniers comprenant les Archaeognatha, les Zygentoma et les Pterygota).

Insectes nécrophages:

Diptères-Calliphoridae, dont les larves se développent dans les chairs en début de décomposition, puis - Muscidae (*Musca, Phannia*) qui pondent, eux aussi, tôt sur les cadavres.

Coléoptères qui arrivent ensuite:- Histeridae *(Saprinus)*;- Dermestidae;

- Tenebrionidae; - Staphylinidae.

4- Baie de Tanit (transect depuis la zone supra-littorale jusqu'à la zone d'arrière dune, via la dune littorale fixée) Fig. 4.

Les végétaux dunaires dominants (*Zygophyllum, Euphorbia, Tamarix*) sont concentrés sur les monticules sableux, chacun comprenant une seule espèce. "Thysanoure": Lépisme.

Dermaptère Labiduridae: *Forcipula caussaneli,* endémique, de 2 cm de long et dépigmentée.

Orthoptère: *Schistocerca gregaria*, migrateur redoutable, peu abondant en avril, un traitement par insecticide ayant été effectué peu auparavant, mais avec des vols massifs en novembre.

5) Chott-Bull (transect et zonation rappelant celle de la Baie de Tanit) Fig. 5. Collemboles - Onychiuridae (*Mesaphorura subitalica*); Isotomidae (*Folsomina onychiurina*), de très petite taille (vers 0,3 mm), dépigmentés, aveugles fusiformes.

Dermaptère Labiduridae: *Forcipula caussaneli.*

Lépidoptères - Pyralidae blanchâtre et nocturne; Pterophoridae: Agdistis; - Gelechidae.

Acridien Oedipodinae: *Acrotylus*, petit criquet homochrome avec le sable, au vol de courte durée et de peu de distance.

avérées plus riches et variées. Néanmoins, l'entomofaune littorale de Mauritanie est relativement pauvre en individus et les espèces caractéristiques de la faune déserticole n'en représente qu'une partie.

1- Agkneitir (à 5 km de l'océan; arrière-dune fixé par des *Zygophyllum, Euphorbia, Leptadenia*) Fig. 1.

Coléoptères-Carabidae: *Anthia sexmaculata,* nocturne;-Cerambycidae: *Plocaederus caroli* qui se manifeste aussi par la présence de nombreuses coques nymphales, sortes de "tonnelets" à paroi calcaire beige de 3 à 4 cm de long;-Scarabaeidae: *Scarabaeus* sp. fouisseurs et enfouisseurs des déjection des ruminants, se signale aussi par la présence de pilules sphériques de 3 cm de diamètre;-Tenebrionidae: *Pimelia, Tentyrina, Erodius.*

Microlépidoptère Gelechiidae, teigne de 1 cm d'envergure.

2- Anagoum (puits en plein désert à 70 km à l'est de de l'océan, avec de nombreuses crottes et bouses) Fig. 2 .

Insectes coprophages:

Coléoptères-Histeridae: *Saprinus,* creusant les bouses fraîches et dont le vol rapide lui permet d'atteindre, même à de longues distances, de nouvelles sources de nourriture;.

- Scarabaeidae Aphodiinae: *Aphodius,* pond dans les crottes fraîches et ses larves se développent rapidement avant que les déjections ne se dessèchent;

- Scarabaeidae Ontophagini creusant, sous les déchets, des galeries et des chambres pour leurs larves;

- Tenebrionidae: *Tentyrina* résistant bien à la sécheresse.

3- Plage de Tiwilit (près d'un village de pêcheurs Imragen, nombreux cadavres de poissons: raies-guitares et mulets) Fig. 3.

Cairo Univ. Afr. Stud. Rev. 20 (1998): p37 - 59.

MISE AU POINT SUR LA VIE ENTOMOLOGIQUE DANS LES DESERTS AFRICAINS, PARTICULIEREMENT SUR LES INSECTES COLLEMBOLES

Par

Jean-Marc THIBAUD*

Cette mise au point est divisée en trois parties inégales: la première sur l'entomofaune du désert mauritanien, la deuxième sur les Insectes Collemboles et la troisième sur quelques données sur les Collemboles des déserts africains.

1- PRELIMINAIRE SUR LA BIODIVERSITE DES INSECTES DES SABLES LITTORAUX DE MAURITANIE

Deux missions franco-mauritaniennes se sont déroulées en avril et en novembre 1995. Elles ont permis d'établir un premier inventaire de sept stations du littoral dunaire depuis le sud du Banc d'Arguin (230 km au nord de Nouakchott) jusqu'au Pare de Dwaling près de la frontière avec le Sénégal (200 km au sud de Nouakchott).

Matériels et méthodes

Observations et récoltes ont été menées de jour comme de nuit par des chasses à vue, par la technique des pièges-trappes et par lavage de sable pour la microfaune. Le rendement du travail a été souvent contrarié par des vents assez forts. Les prospections en avril, mois assez chaud et sec, n'ont permis que des prises relativement faibles; celles de novembre, période plus fraîche après les pluies, se sont

* Laboratoire d'Entomologie du Muséum national d' Histoire naturelle 45, rue Buffon, 75005 Paris, France.

REFERENCES

Afifi. M.Y.. Genead. A.Y. Atta, S.Kh. A.A. 1992. -1. Impact of rainfall erosion and management practices on properties end productivity ofMarynt 'soil. Desert Inst. Bull., Egypt. 42. No.2: 73 - 184.

Ellison. W. D. 1947. Approach to the problem. Soil Erosion Studies - Part I Agricultural Engineering. pp 1-5.

Ellison, W. D. 1947. -Soil detachment hazard by raindrop splash. Soil Erosion Studies - Part II. Agricultural Engineering. pp 197 - 201.

Ellison, W. D. 1947. Some effects of soil erosion on infiltration and surface runoff, Soil Erosion Studies - Part III. Agricultural Engineering. pp 245 248.

Ellison, W. D. 1947. Soil erosion, soil loss and some effects of soil erosion. Soil Erosion.Studies - Part IV. Agrict 't :al Engineering. pp 297 - 300.

Ellison, W. D. 1947. Soil tran: portation in the splash process, Soil Erosion Studies - Part v. Agricuitural Engineering. pp 349 - 351.

Engelbert, G. 1970. Technicalprinciples: Technical Tables. Liebzeg(Translated by Nassar, M. A. in Arabic) 371 p.

Farmer, E. E. 1973. Relative,detachability of soil pa Soil Sci. Soc. Am. Proc., 37: 629 - 633.

Haan, C. T. and Barfield, B. J. 1978. Soil erosion and sediment yield. Hydrology and Sedi~nentology of Surface Mined Lands, University of Kentacky pp 178 - 206.

Hudson, N. W. 1993. Field measurement of soil erosion end runoff. FAO, Rome. 139 p.

Mcintyre, D. S. 1958. Soil splash and the fomnation of surface crusts by raindrop impact. Soil Science Society Proceedings, 85 (5): 261 - 266.

.Minshall, N. E. 1962. Effect of cower and soils on surface runoff. Journal of Soil and Water Conservation, 17 (6): 259 - 264.

Sharma, R. R. and Biswas, N. R. D. 1972. Erodibility of hill soils of Sutlej catchment area in Himacl~al Pradesh. Indian Journal of Agricultural Scinece 42 (2): 161 - 169.

Swanson, N. P. and Dedrick, A. R. 1967. Soil particles and aggregates transported in water runoff under various slope conditions using simulated rainfall. Soil and Water Division of ASAE, 10 (2): 246 - 247.

Walker, P. H., Kinnell, P. I. A. and Green, P., 1978. Transport of a noncohesive sandy mixture in rainfall and run of experiments. Soil Sci. Soc. of Am. J., 42: 793 - 801.

Wild, A. 1993. Soils and the environment an introduction. Cambridge University Press, USA. pp233-248.

Wischmeier, W. H., Smith, D. D. and Uhland, R. E. 1958. Evaluation of factors in the soil loss equation. Agricultural Engineering, 39: 458 - 469.

- ▲ - I15
—●- I30

0.04
0.035
0.03
0.025
0.02
0.015
0.01
0.005
0

"A / Rf "

0 8 16 32

Slope gradient %

Fig.23: The relation between "A / Rf " and slope gradient in sandy soil at I15 and I30

- ▲ - I15
—●- I30

1
0.9
0.8
0.7
0.6
0.5
0.4
0.3
0.2
0.1
0

"A / W"

0 8 16 32

Slope gradient %

Fig.24: The relation between "A/w" and slope gradient in sandy soil at I15 and I30.

In this context, "A/Rf3' (soil loss volume divided by rainfall amount), can also be utilized in order to know if there is a difference in the trend of sandy soil loss or not. "A/Rf" values in sandy soil at 90 and 120 mm/hr rainfall intensities at different slope gradients up to 32 % havé not shown a specific trend because their values equal zero. "A/Rf" values at I_{30} were more than those at I_{15} with 8 and 16% slope gradients. But, at 32% slope gradient, `(A/Rf) at I_{15} was more than I_{30} (Table 11).

Slope gradient	8%		16%		32%	
Type of rainfall / Criteria	I_{15}	I_{30}	I_{15}	I_{30}	I_{15}	I_{30}
Rainfall amount (liter)	12.500	12.500	12.500	12.500	12.500	12.500
Soil loss volume (liter)	00.072	00.099	00.195	00.449	00.395	00.373
"A/Rf"	00.006	00.008	00.016	00.036	00.032	00.030

Generally, "A/Rf" values empllasized the general trend of sandy soil loss at I_{15} and I_{30},which was influenced by the increase in slope gradient, (Fig.23)

A/W (It is defined as the soil loss volume divided by water used in runoff process) can also be used to know the ability of water used in runoff process to carry the broken soil aggregates "A/W" values in sandy soil also increased as the slope gradient increased up to 32 % at both of I_{15} and I_{30} Although, the sandy soil loss at I_{30} was higher than that at I_{15} at 8 and 16% slope gradients, "A/W" values at I_{15} were higher than those at I30 at the same slope gradients, (Fig.24).

It is evident that the "A/W" values in calcareous soil increased as the slope gradient increased. It emphasizes that the calcareous soil loss by water erosion increased as the slope gradient increased at different rainfall intensities.

3.7.1.3. Sandy soil loss at short time rain (90 and 120 mm / hr rainfall intensities)

No soil loss was detected in 9 replications of simulated rainfall at 90 mm/hr rainfall intensity (1.5 liter of water during a rain period of 4 minutes) and slope gradients of 8, 16 and 32%. The same results were also obtained in 9 replications at 120 mm / hr rainfall intensity (1.250 liter of water during a rain period of 2.5 minutes) and the same slope gradients (8, 16 and 32%).

3.7.1.4 Sandv soil loss at lone time rain (I~5 and 130)

I_{03} was more effective on the sandy soil in causing the loss of soil particles than I_{15}, at 8 and 16% slope gradient. But, at 32% slope gradient, the I_{15} was more effective in causing soil loss than 130. Generally, sandy soil loss increased as the slope gradient increased, (Fig. 22).

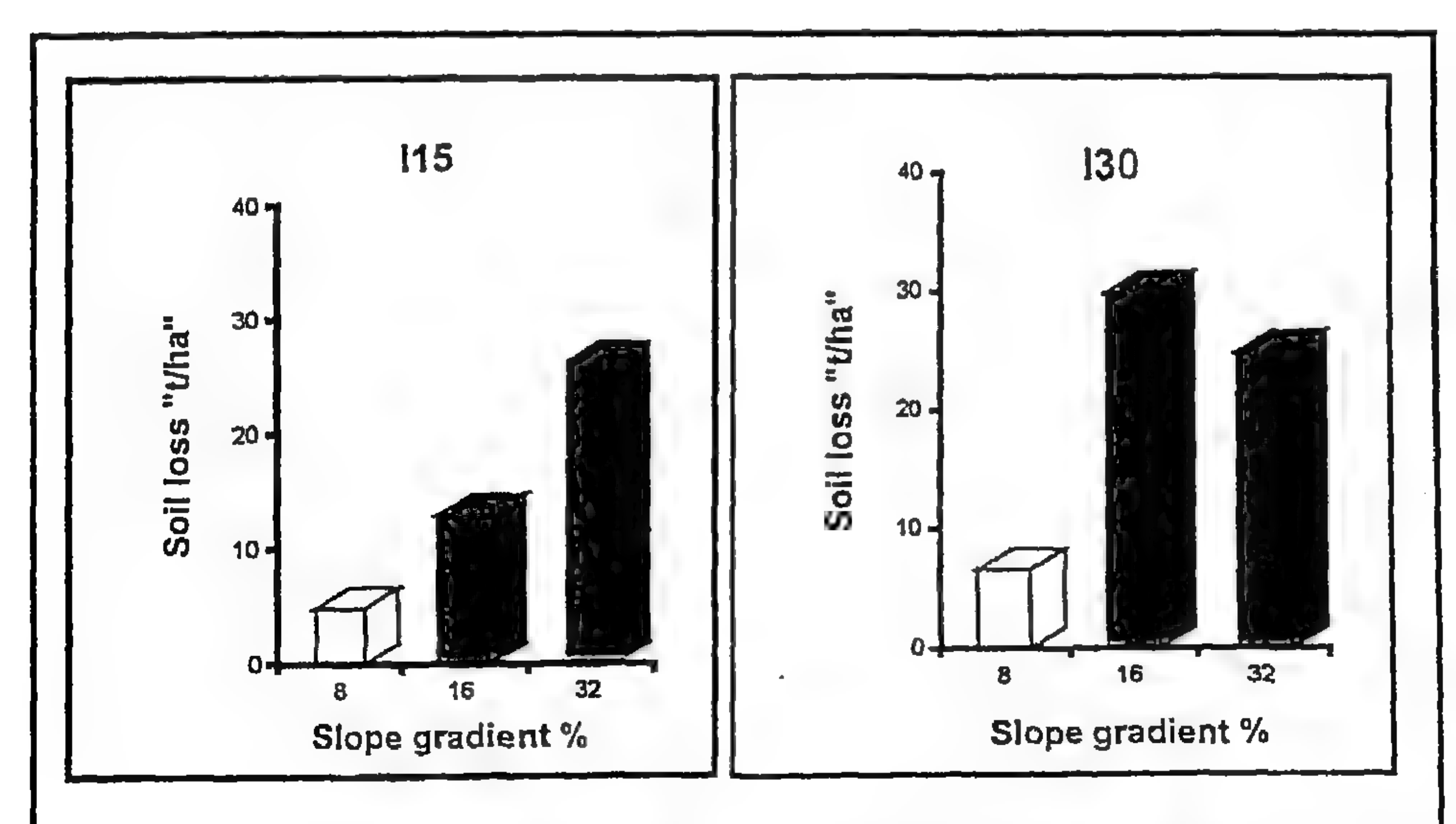


Fig.22: The relation between sandy soil loss and slope gradient at I15 and I30.

"A / Rf"

90 mm/hr
120mm/hr
I15
I30

Fig. 20: The relation between "A/ Rf" and slope gradient in calcareous soil at different intensities.

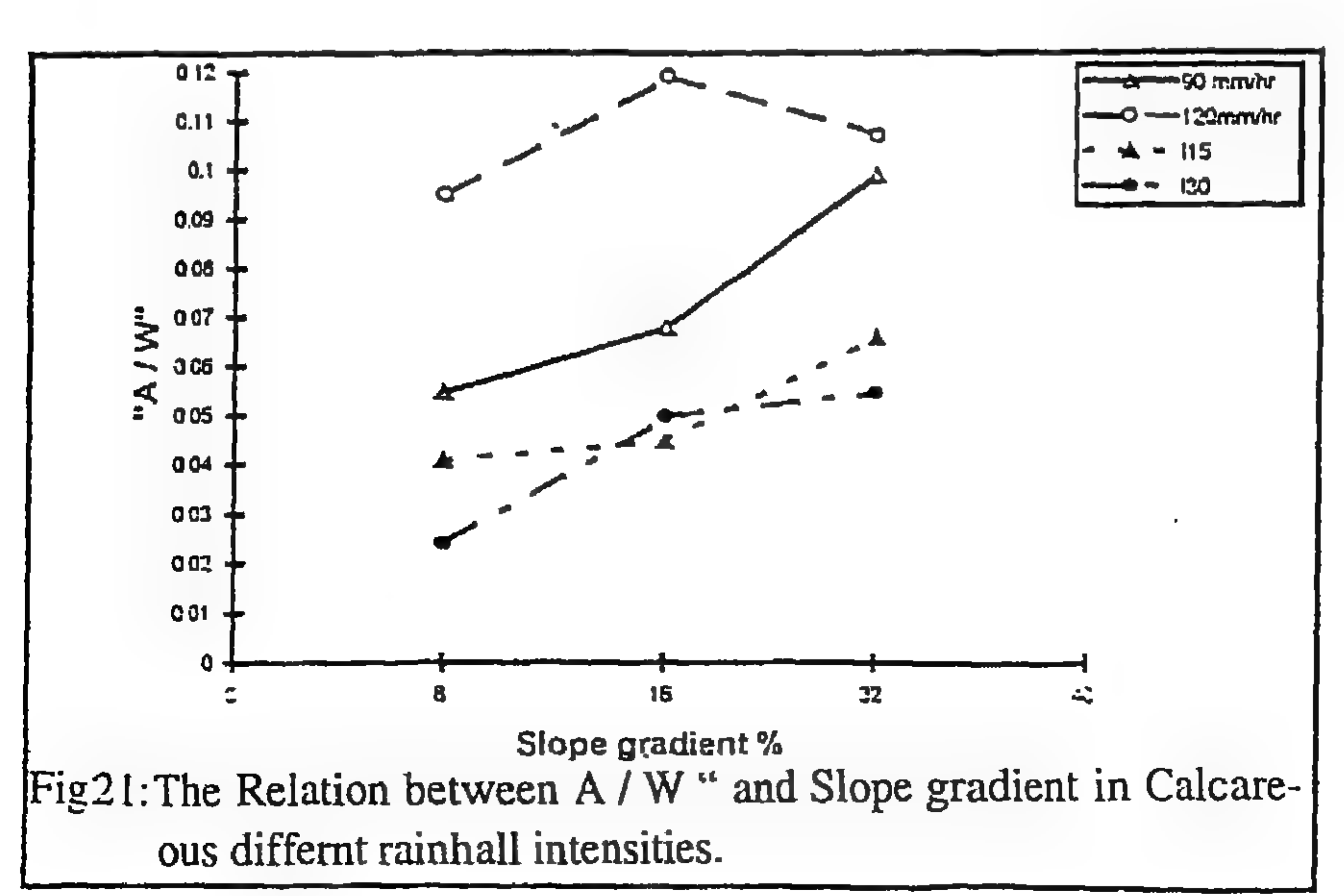


Fig21: The Relation between A / W " and Slope gradient in Calcareous differnt rainhall intensities.

Table10: "A/Rf" in calcareous soil at different rainfall intensities and slope "~radients

Slope grndient	8%				16%				32%			
Type of rainfall	Int. 90 Mm/hr	Int. 120 mm/hr	I_{15}	I_{30}	Int. 90 mm/hr	Int. 120 mm/hr	I_{15}	I_{30}	Int. 90 mm/hr	Int. 120 mm/hr	I_{15}	I_{30}
Rainfall amount liter	1.500	1.250	12.500	12.500	1.500	1.250	12.500	12.500	1.500	1.250	12.500	12.500
soil loss volume liter	1.003	0.002	0.233	0.179	0.021	0.010	0.276	0.436	0.038	0.018	0.514	0.445
"A/Rf"	0.002	0.002	0.019	0.014	0.014	0.008	0.022	0.035	0.025	0.014	0.041	0.036

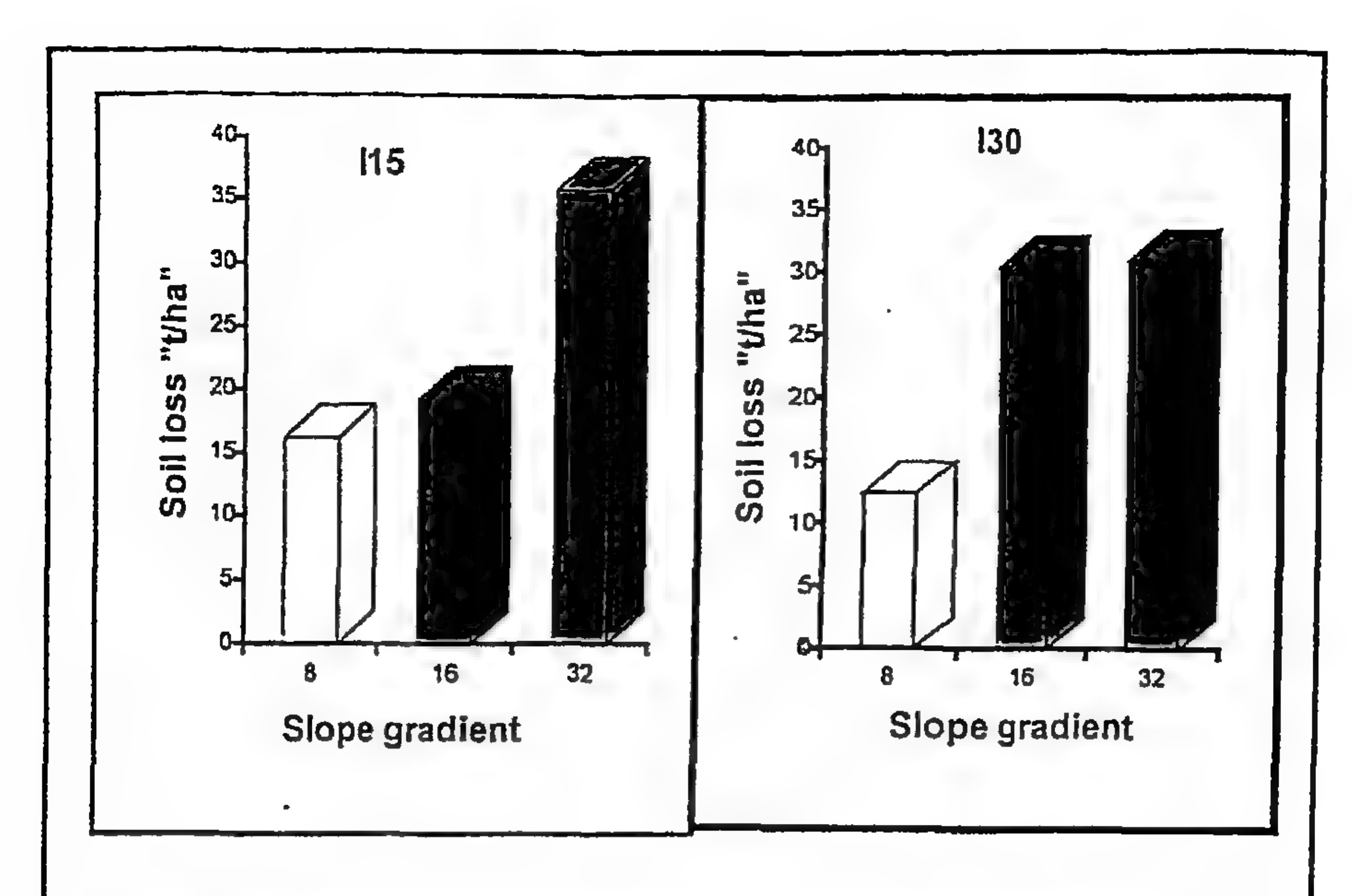


Fig.19: The relation between calcareous soil loss and slope gradient at I15 and I30.

The relation between soil loss and rainfall amount "A/Rf" ,which is defined as the soil loss volume divided by the rainfall amount, is an another parameter that must be onsidered to assist in identifying the general trend of soil loss at different slope gradient, (Table 10).

The relation between "A/Rf" and slope gradient in the calcareous soil is represented in Fig. (20). It increased when the slope gradient increased at short time rain (90 and 120 mm/hr rainfall intensities) and at long time rain (I_{15} and I_{30}).

There is another relation between soil loss and water used in runoff process (A/W) which reflects the ability of water used in runoff process to carry the disintegrated soil aggregates that have been broken down by falling raindrops. It was calculated by dividing the dry sediments volume on water used in runoff process. The relation between "A/W" and the slope gradient in calcareous soil is presented in Fig. (21).

3.7. Soil loss

3.7.1 The relation between soil loss empirical estimation and slope gradient

3.7.1.1 Calcareous soil loss at short time rain (90 and 120 mm/ hr rainfall intensities)

Soil loss depends on many factors such as rainfall erosivity, slope gradient, slope length, erodibility of the soil, plant cover, human practice and soil conservation practices. The effect of slope gradient on the loss of calcareous soil is depicted in Fig. (18).

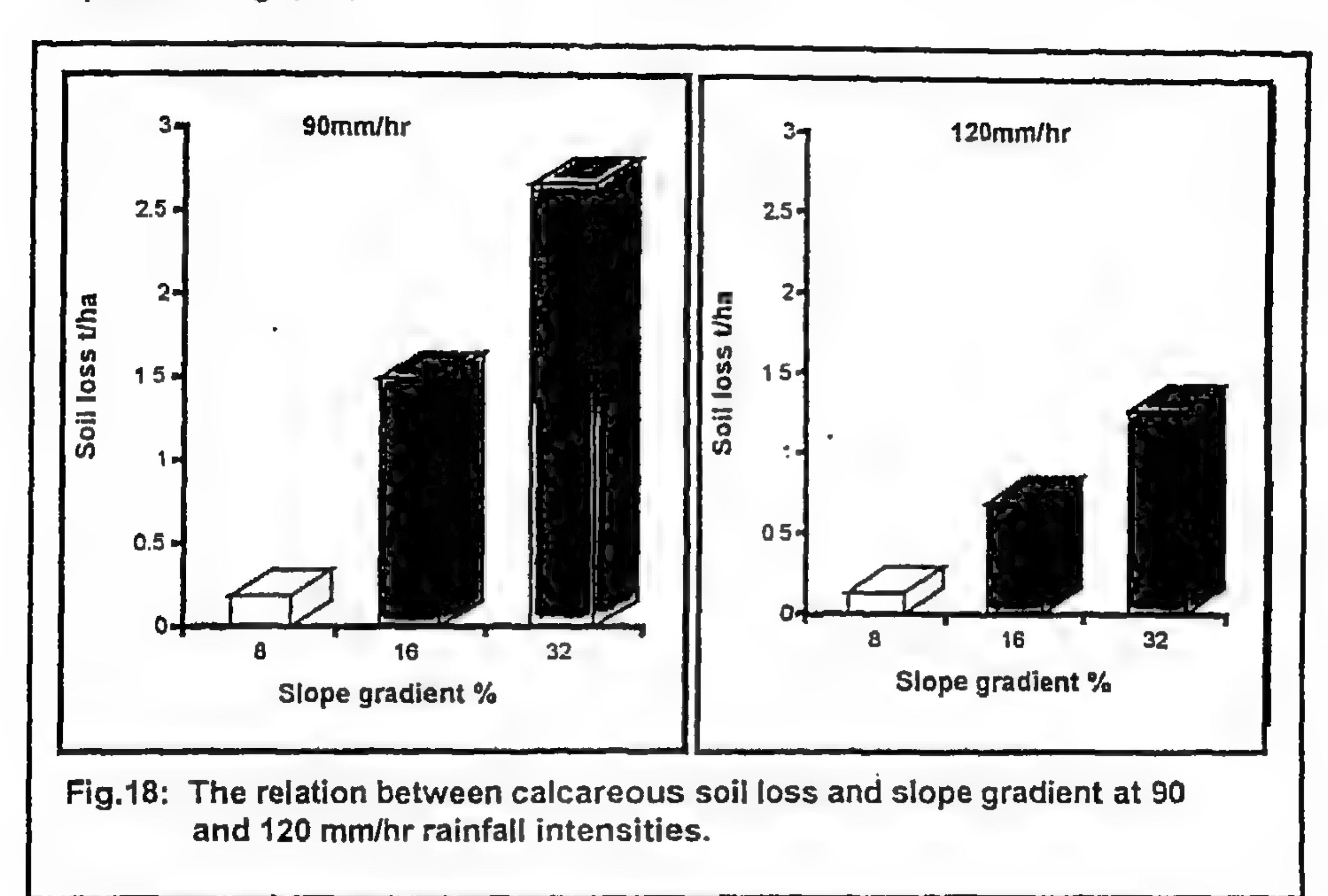


Fig.18: The relation between calcareous soil loss and slope gradient at 90 and 120 mm/hr rainfall intensities.

It is conspicuous that soil loss at 90 and 120 mm / hr rainfall intensities increased when the slope gradient increased. The soil loss at 90mm/hr rainfall intensity was higher than that at 120 mm / hr at all slope gradients.

3.7.1.2.Calcareous soil loss at lon~ time r ain " I_{1s} and I_{30} "

At I_{15} and I_{30} the soil loss increased by increasing the slope gradient. The effect of I_{15} on soil loss at 8 and 39 !O slope gradient was more than the effect of I_{30} at the same slope gradients. But, this effect at 16% slope gradient was less than the effect of I_{30} at the same slope gradient (Fig. 19).

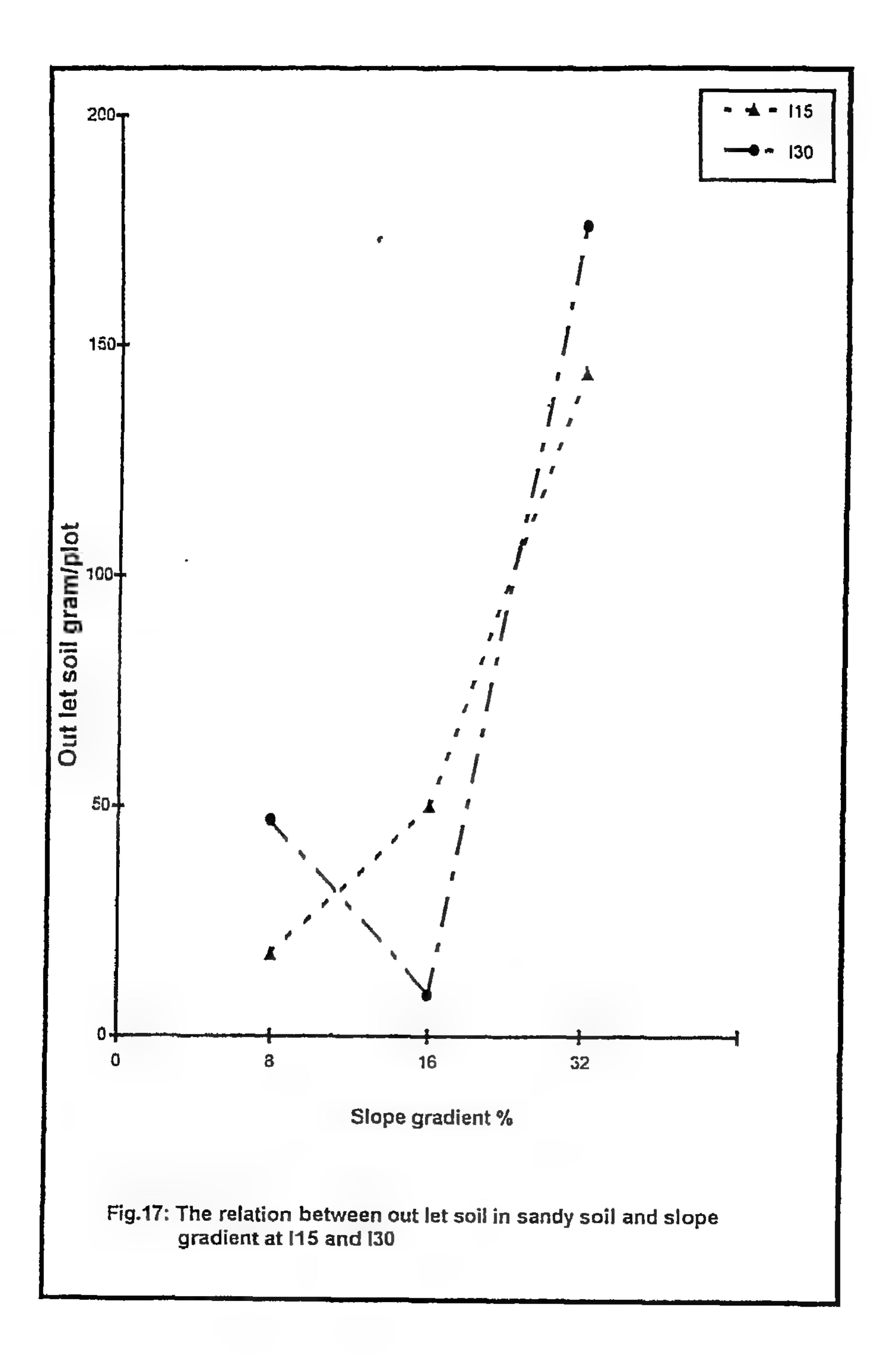


Fig.17: The relation between out let soil in sandy soil and slope gradient at I15 and I30

3.6.2. Out let soil

Infiltrated water through the soil surface played an important role during its movement by moving some soil particles through the breeches of the experimental plot. These downward soil particles have been called out let soil . It is a laboratory state that does not occur in nature. Out let soil did not appear in the calcareous soi under all conditions of short time rain (90 and 120 mm/hr rainfall intensities) and als at long time rain (Iis and 1_{30}) Generally, the out let soil is not only depending on the infiltrated water and its ratio but also on the type of the soil, physical and chemical soil properties and slope gradients. So, the disappearance of outletparticles in calcareous soil under all conditions of laboratory experiments is attributed to its higher wet stable aggregates (about 69%), (Table 6). On the other hand, the total calcium carbonate, which was about 19.6%, worked as a cementing agent and cased this higher value of wet stable aggregates. Although, the maximum value of "IA /Rf" was 1.0 in sandy veil at short time rain (90 and 120 mm/hr rainfall intensities), the out let of sandy soil did not appear under the experimental plot. This is due to the amounts of water, which were used at these rainfall intensities (1.5 &1.250 liters). And, this reflects the effect ofthe water amount during the rain and the raining period. At I_{15} and I30 the out let of sandy soil appeared under the experimental plot and it increased when the slope gradient increased (Fig.17). That was due to the "IA / Rf " , which increased at these experimental conditions as the slope gradient increased. Only one exception was at I30 and 16% slope gradient, where the out let soil decreased when the slope gradient increased, because "IA/ Rf " at this slope gradient was the smallest value (0.761).

There is a relation between water used in runoff process and rainfall amount (W/Rf) which is defined as the volume of water used in runoff process divided by the rainfall amount "W/R" increased in calcareous soil when the slope gradient increased. But, in sandy soil, it increased by increasing slope gradient unit 16% slope gradient, then, it decreased when the slope gradient reached 32%, (Fig. 15).

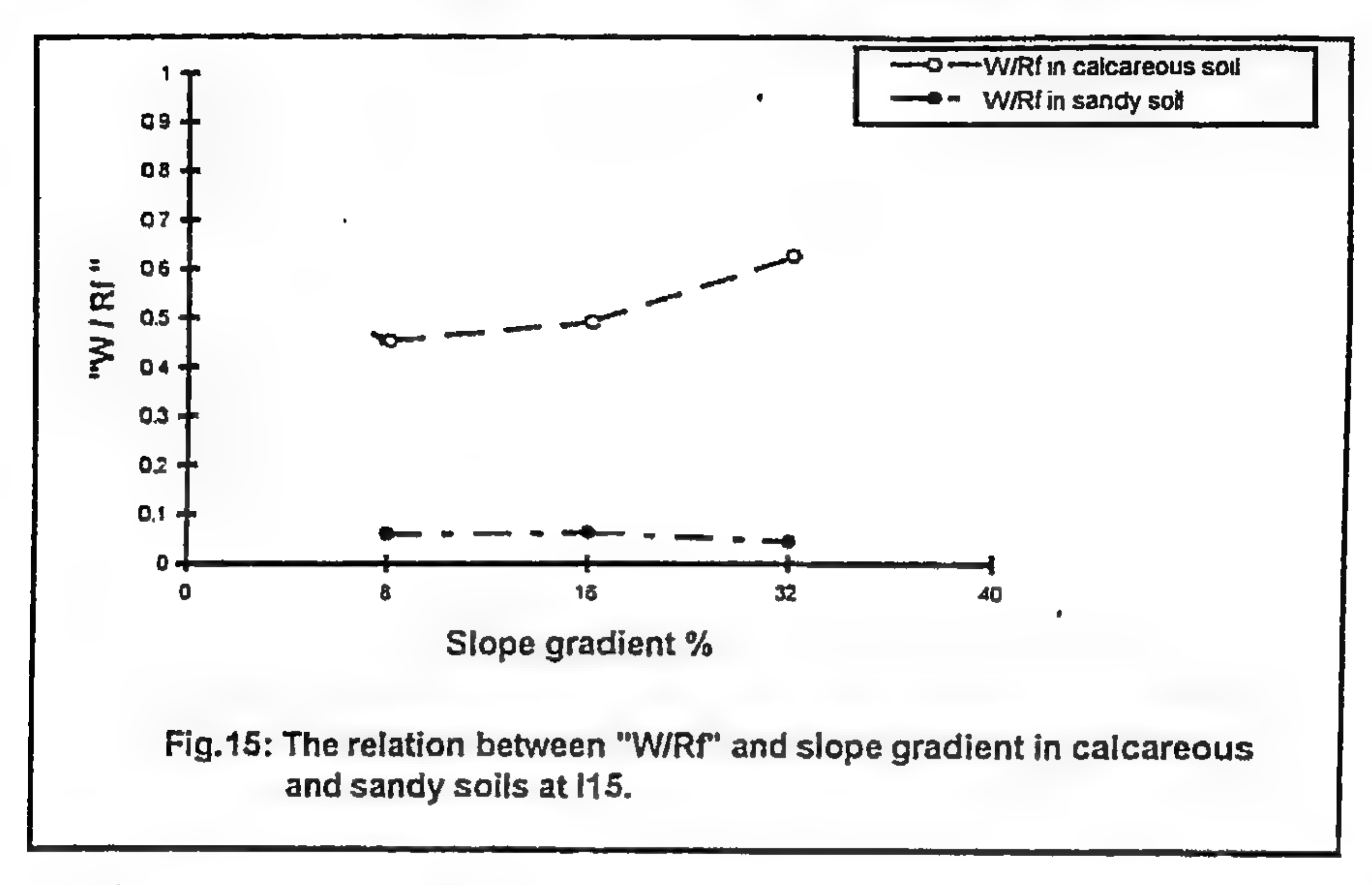


Fig.15: The relation between "W/Rf" and slope gradient in calcareous and sandy soils at I15.

At I_{30}, the trend of "W/RF" in calcareous and sandy soils was the same trend of the water used in runoff process at the same conditions, (Fig. 16).

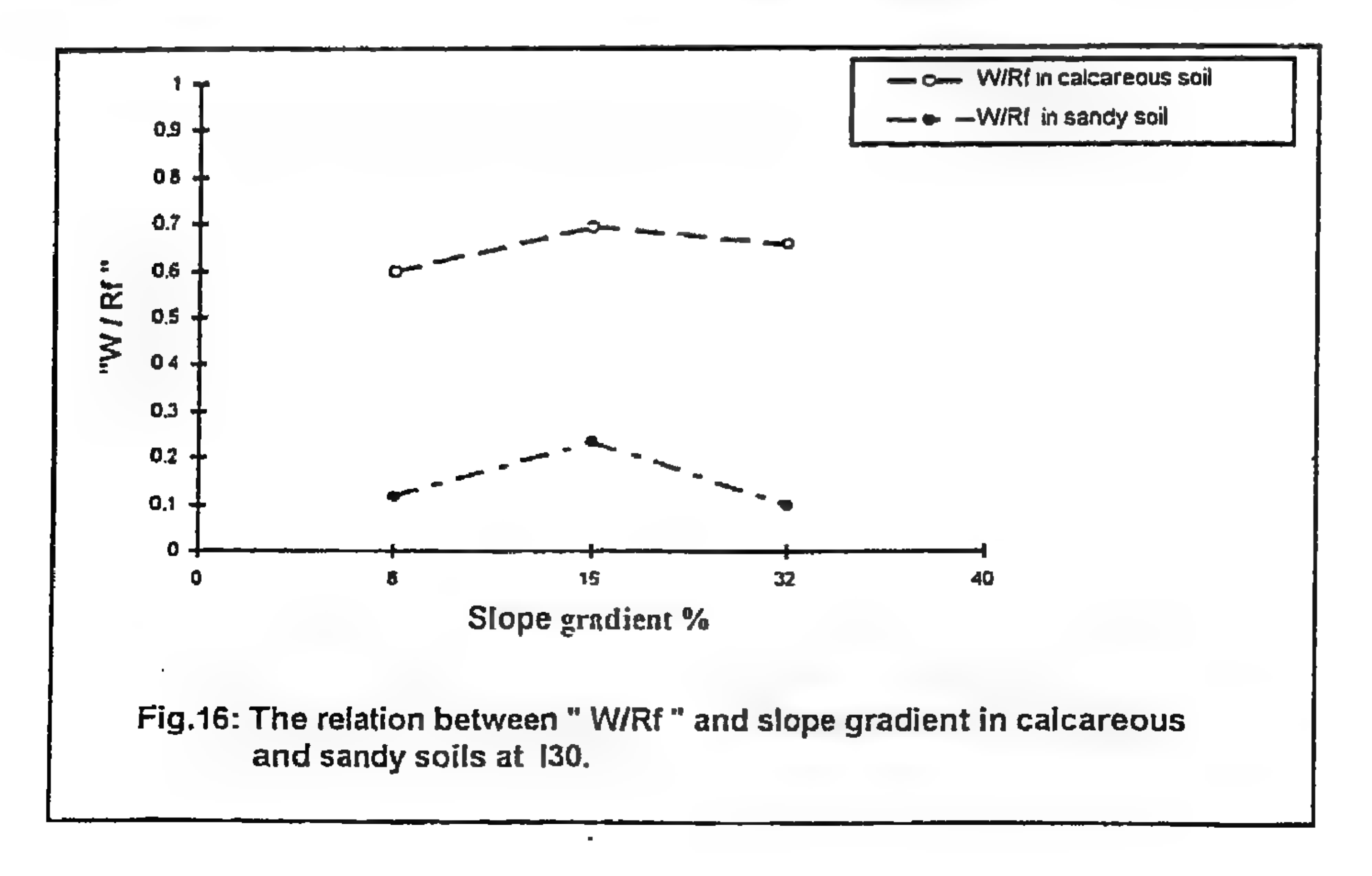


Fig.16: The relation between " W/Rf " and slope gradient in calcareous and sandy soils at I30.

3.6.1.3 At I15

The relation between runoff, water used in runoff process (w) and slope gradient in calcareous and sandy soil is illustrated in Fig. (13) .The runoff and ((W)) on sandy soil increased when the slope gradient increased until 16% slope gradient then they decreased at 32% slope gradient. But, incalcareoussoil,the runoff end water used in runoff process ((W)) increased wl len the slope gradient increased,.

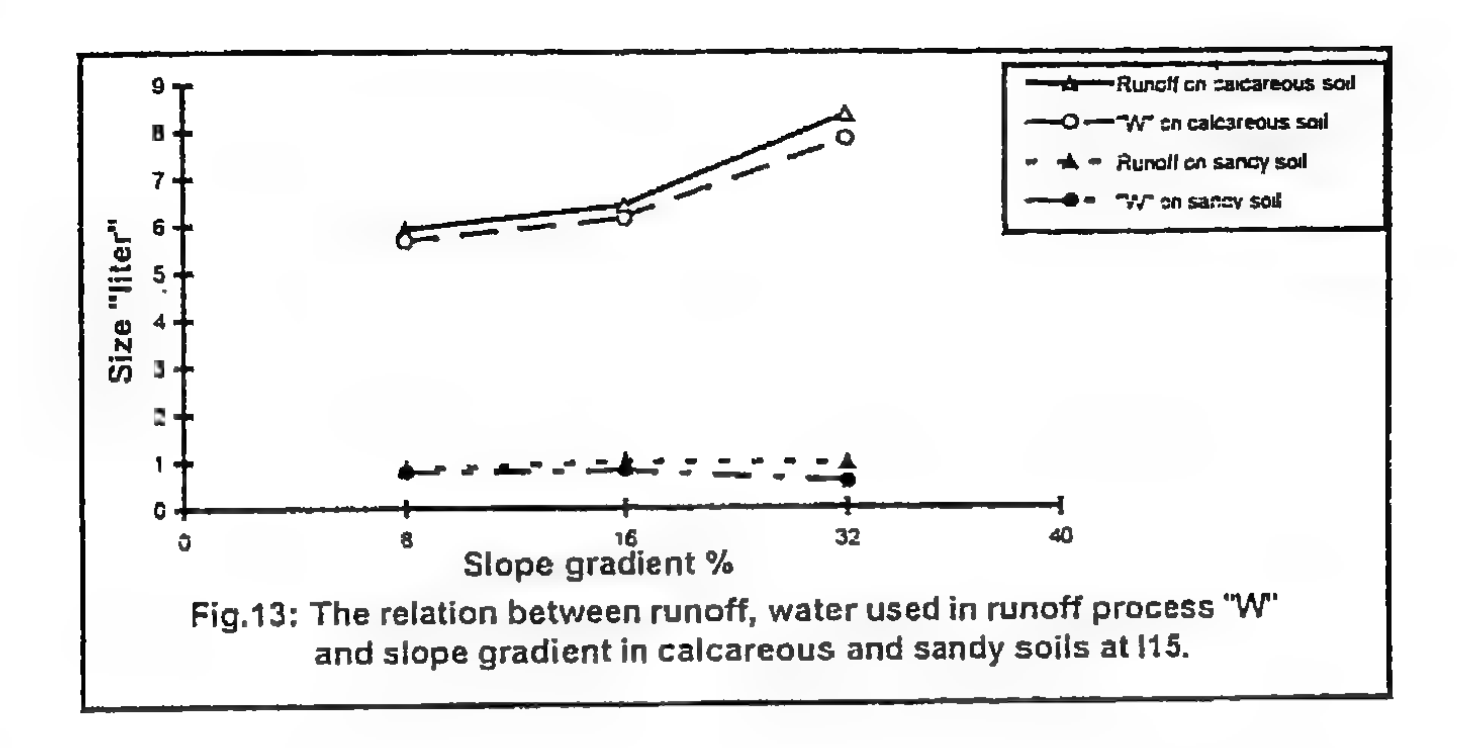


Fig.13: The relation between runoff, water used in runoff process "W" and slope gradient in calcareous and sandy soils at I15.

3.6.1.4 At I30

The runoff and water used in runoff process "W" in calcareous and sandy soil increased when the slope gradient increased with a maximum increase at 16% slope gradient, then they decreased when the slope gradient reached 32%, (Fig. 14).

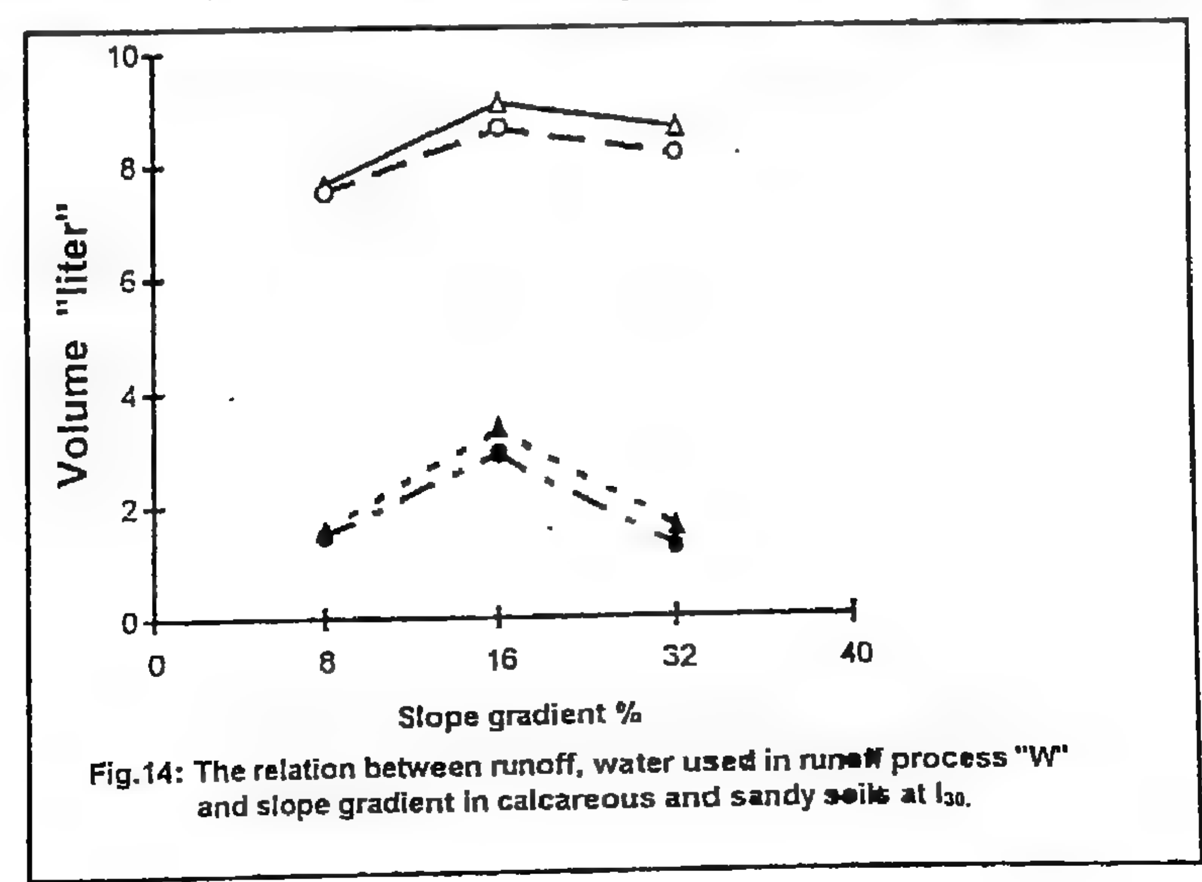


Fig.14: The relation between runoff, water used in runoff process "W" and slope gradient in calcareous and sandy soils at I_{30}.

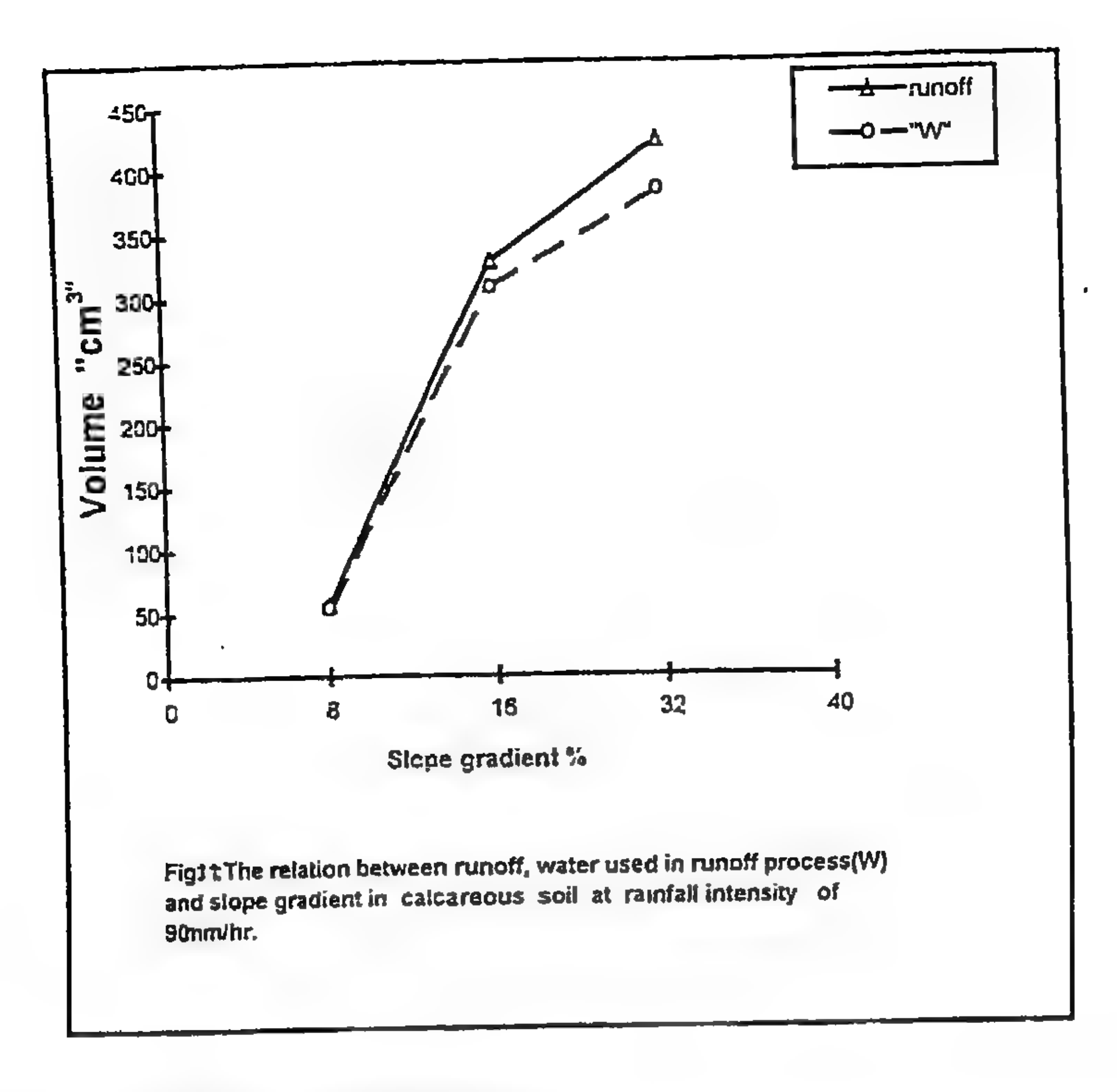


Fig11:The relation between runoff, water used in runoff process(W) and slope gradient in calcareous soil at rainfall intensity of 90mm/hr.

3.6.1.2 At 120 mm/hr rainfall intensity:

The influence of the fixed rainfall amount (1.250 liter) and its rainfall intensity (120 mm/hr) on runoff, water used in runoff process and sediments volume in calcareous soil is possessed in Fig. (12). Tlley increased when the slope gradient increased. In sandy soil, the same previous conditions didn't produce any quantities of runoff at any slope gradient.

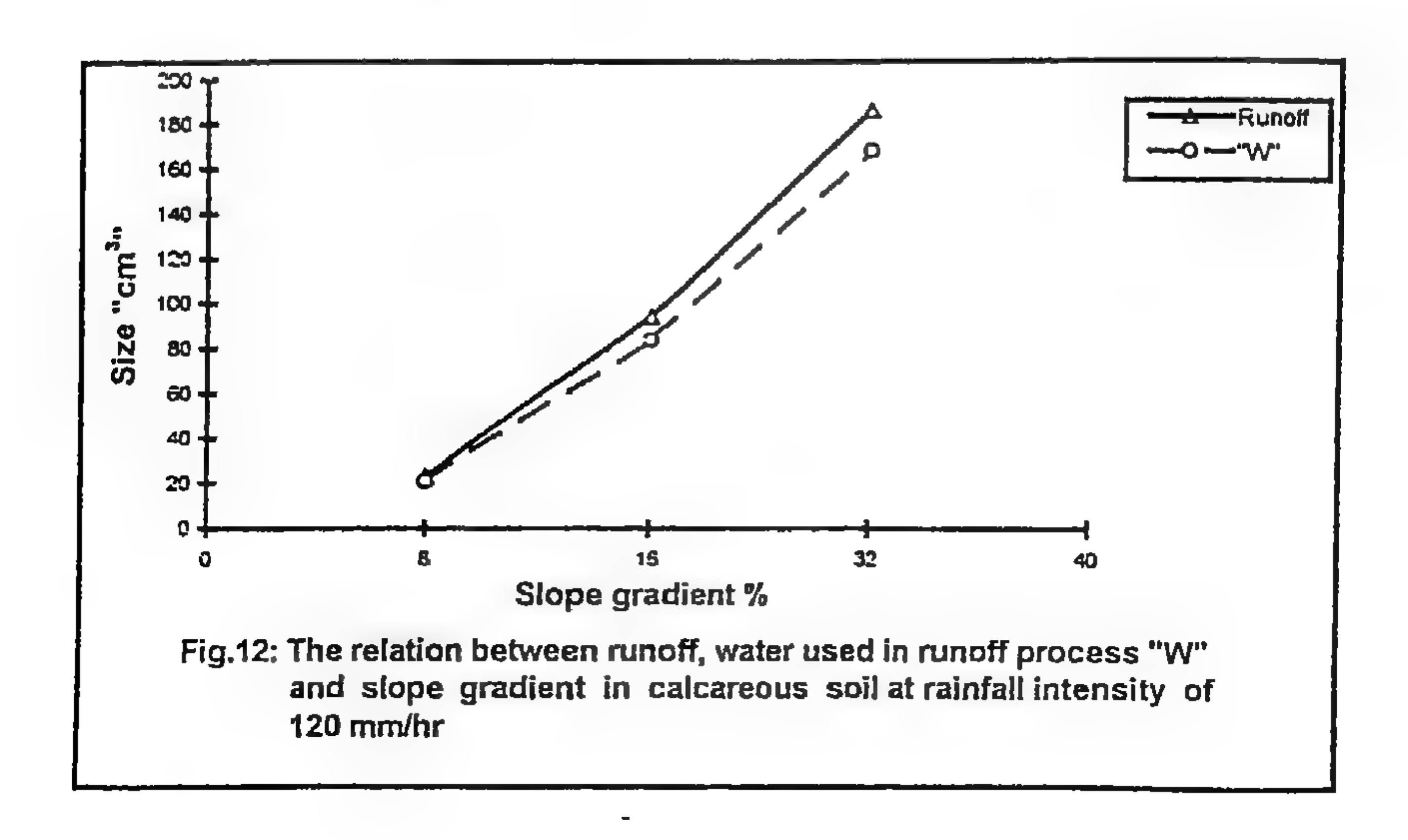


Fig.12: The relation between runoff, water used in runoff process "W" and slope gradient in calcareous soil at rainfall intensity of 120 mm/hr

But at I~s and I30 the capillary moisture in dry sandy veil decreased es the slope gradient increased, until 16% slope gradient, then its values were constant until 32% slope gradient, (Fig.10).

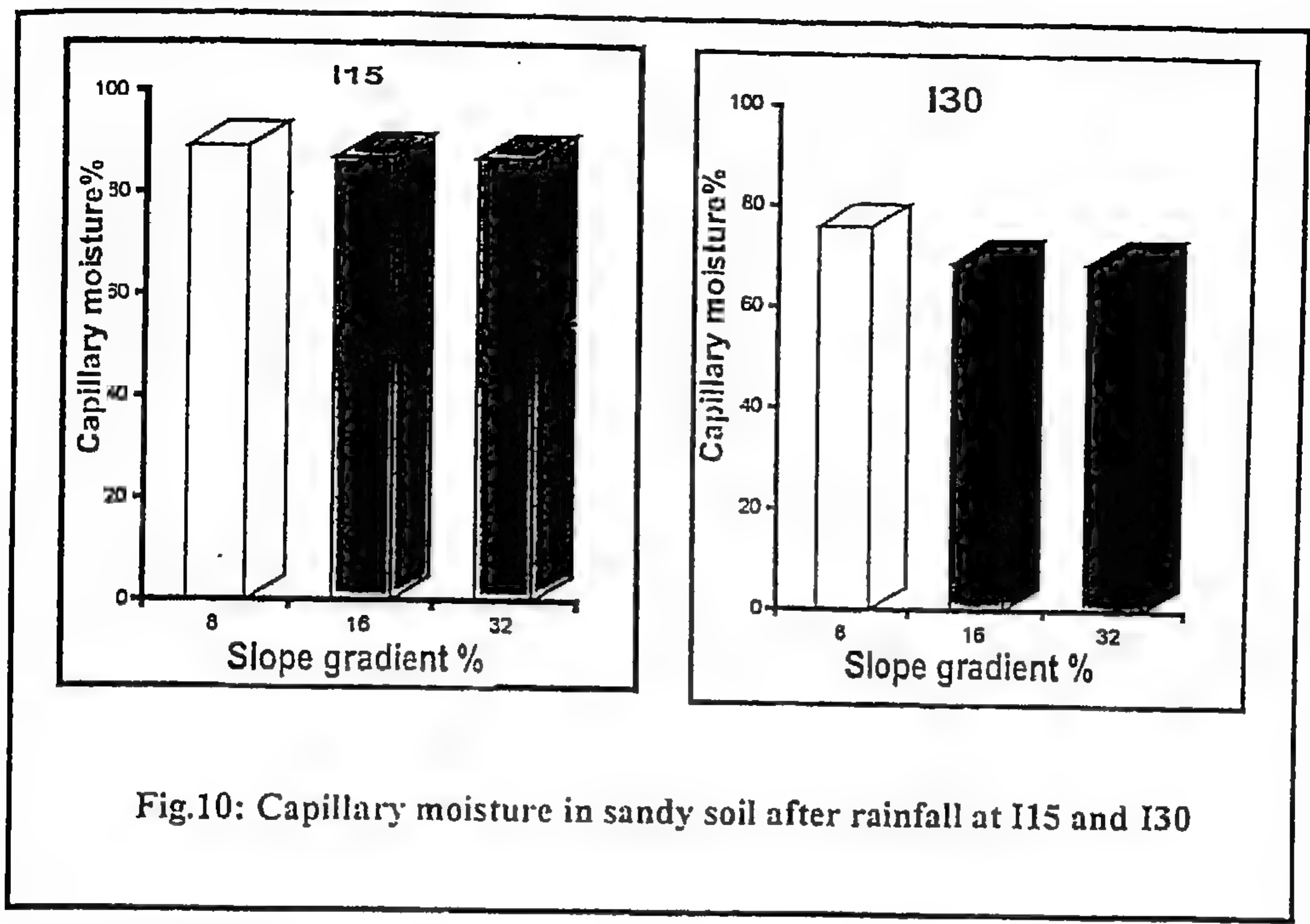


Fig.10: Capillary moisture in sandy soil after rainfall at I15 and I30

3.6 Runoff

3.6.1 The relationship between r unoff, water used in runoff process (W) and slope gradient

Water used in ruoff process (W) is defined as the runoff volume withot the sediment volume. It has been used to represent the real effect of the slope gradient on runoff and sediments yield.

3.6.1.1 At 90 mm/hr rainfall intensity

In calcareous soil, runoff, water used in runoffprocess (W) and sediments volume increased when the slope gradient increased at 90 mm/hr rainfall intensity, (Fig. 11).

On the other hand, in: sandy soil, the rainfall amount (1.5 liter) and its rainfall intensity (90 mm/hr) didn't produce any quantities of runoff at 8,16 and 32% slope gradients.

Table 9: Capillary moisture in sandy soil after rainfall at different intensities and slope gradients

Slope grndient	8%				16%				32%			
Type of rainfall	Int. 90 mm/hr	Int. 120 mm/hr	I_{15}	I_{30}	Int. 90 mm/hr	Int. 120 mm/hr	I_{15}	I_{30}	Int. 90 mm/hr	Int. 120 mm/hr	I_{15}	I_{30}
Infiltrnted water in wet depth ((liter))	1.500	1.250	10.412	8.368	1.500	1.250	10.332	6.634	1.500	1.250	10.425	7.699
Total infiltration ((liter))	1.500	1.250	11.736	11.053	1.500	1.250	11.706	9.573	1.500	1.250	11.938	11.154
Capillary moisture %	100	100	89	79	100	100	87	69	100	100	87	69

Table 8: Capillary moisture in calcareous soil after rainfall at different rainfall intensities and slope gradients

Slope grndient	8%				16%				32%			
Type of rainfall	Int. 90 mm/hr	Int. 120 mm/hr	I_{15}	I_{30}	Int. 90 mm/hr	Int. 120 mm/hr	I_{15}	I_{30}	Int. 90 mm/hr	Int. 120 mm/hr	I_{15}	I_{30}
infiltration water in wet depth liter	1.446	1.229	6.816	4.999	1.193	1.166	6.332	3.852	1.115	1.082	1.082	4.305
Total infiltration liter	1.446	1.229	6.816	4.999	1.193	1.166	6.332	3.852	1.115	1.082	1.082	4.305
Capillary moisture %	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100

3,5 The relation between capillary moisture after rainfall and slope garadient

The capillary moisture in the soils depends on many factors that related to the physical and chemical soil properties. After rainfall, capillary moisture in subsurface soil layer until 14 cm depth of dry calcareous and sandy soils has been studied in this research to know the effects of rainfall intensity, infiltration and wet depth on it at different slope gradients. The percentage of capillary moisture was calculated by dividing the real volume of infiltrated water that was held at 1/3 atmospheric pressure in wet depth by the total infiltration. In dry calcareous soil, the capillary moisture after rainfall was 100% at different rainfall intensities and slope gradients, (Table 8).

In dry sandy soil, tl e capillary moisture after rainfall was 100 !/O in short-time rain (90 and 120 mm /hr rainfall intensities) at different slope gradients, (Table 9).

In sandy soil, the percentage of water content also was used to reflect the state of sandy soil suction at different types of rainfall and slope gradients. It was a fixed percentage in the short time rain (90 and 120 mm/hr rainfall intensities) at 8, 16 and 32% slope gradients. At I_{15}, the water content values were similar when the slope gradient increased. But, at I_{30}, the water content decreased as the slope gradient increased with a maximum decrease at 16% slope gradient, (Fig.9).

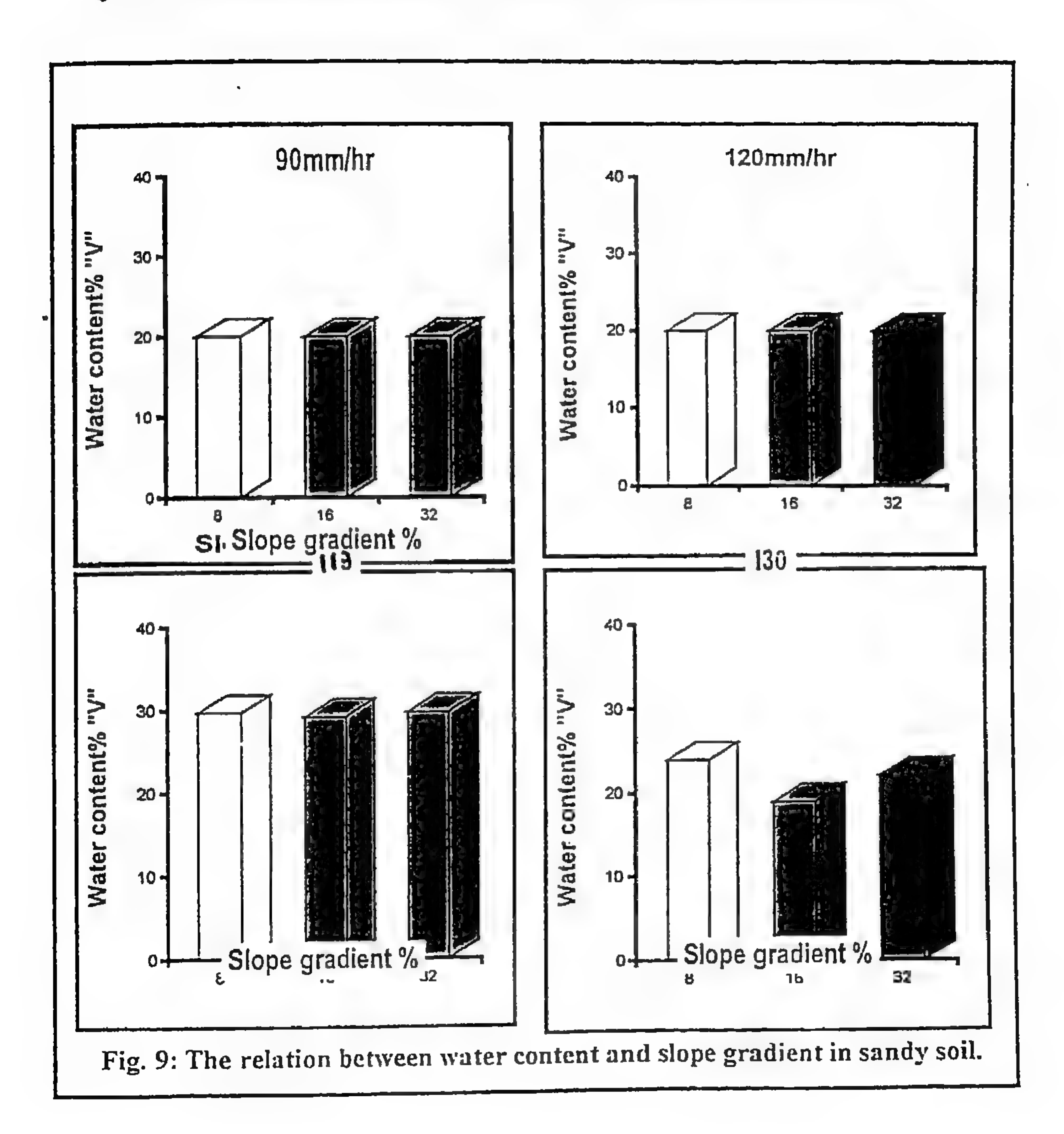


Fig. 9: The relation between water content and slope gradient in sandy soil.

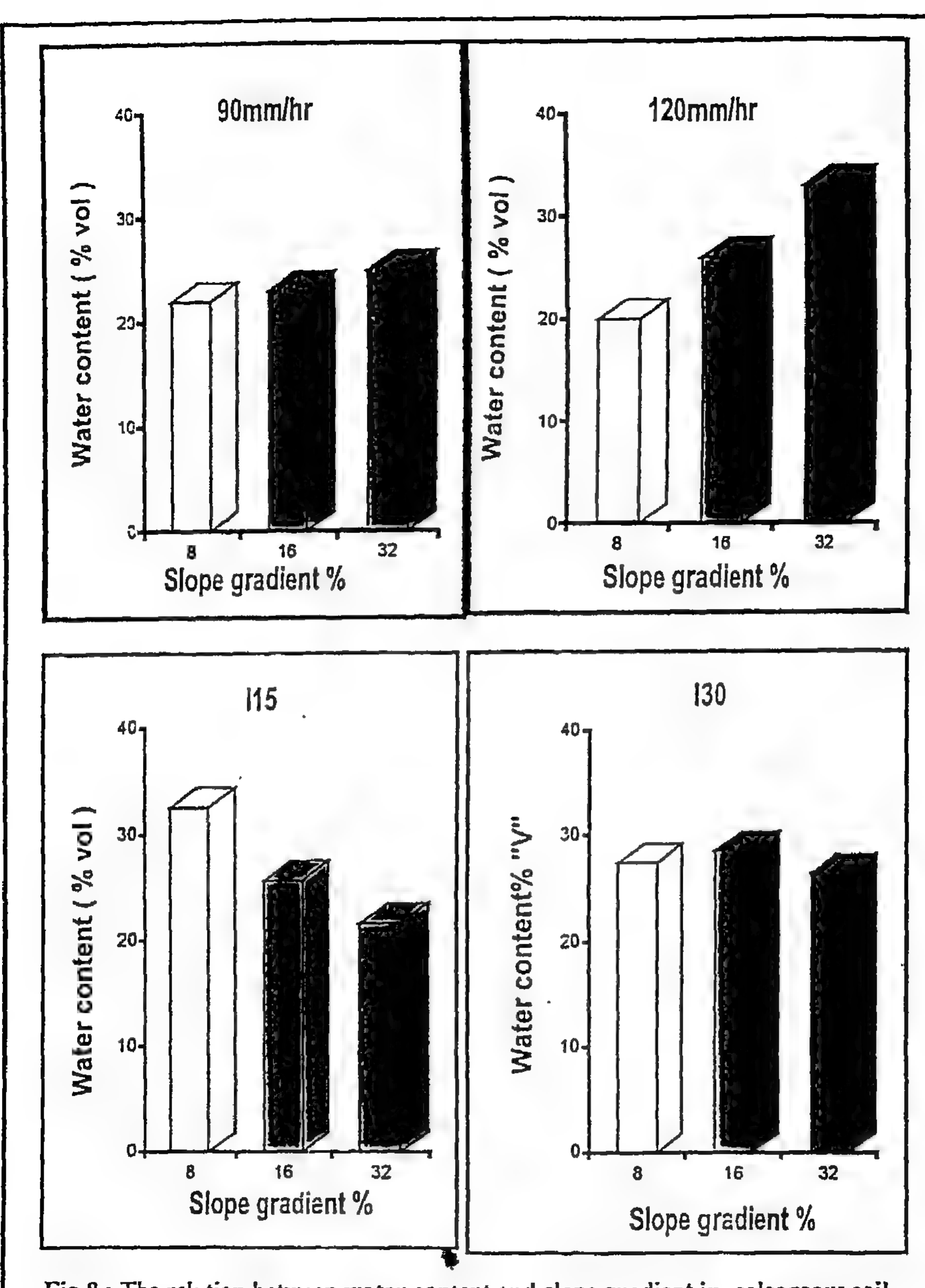


Fig.8 : The relation between water content and slope gradient in calcareous soil at different intensities.

In sandy soil, no change was noticed in the wet depths as the slope gradient increased. They were 2.5 and 3 centimeters under short time rain (90, 120 mm/hr rainfal l intensities) and 14 centimeters under long time rain (I_{15}, 130), (Fig.7).

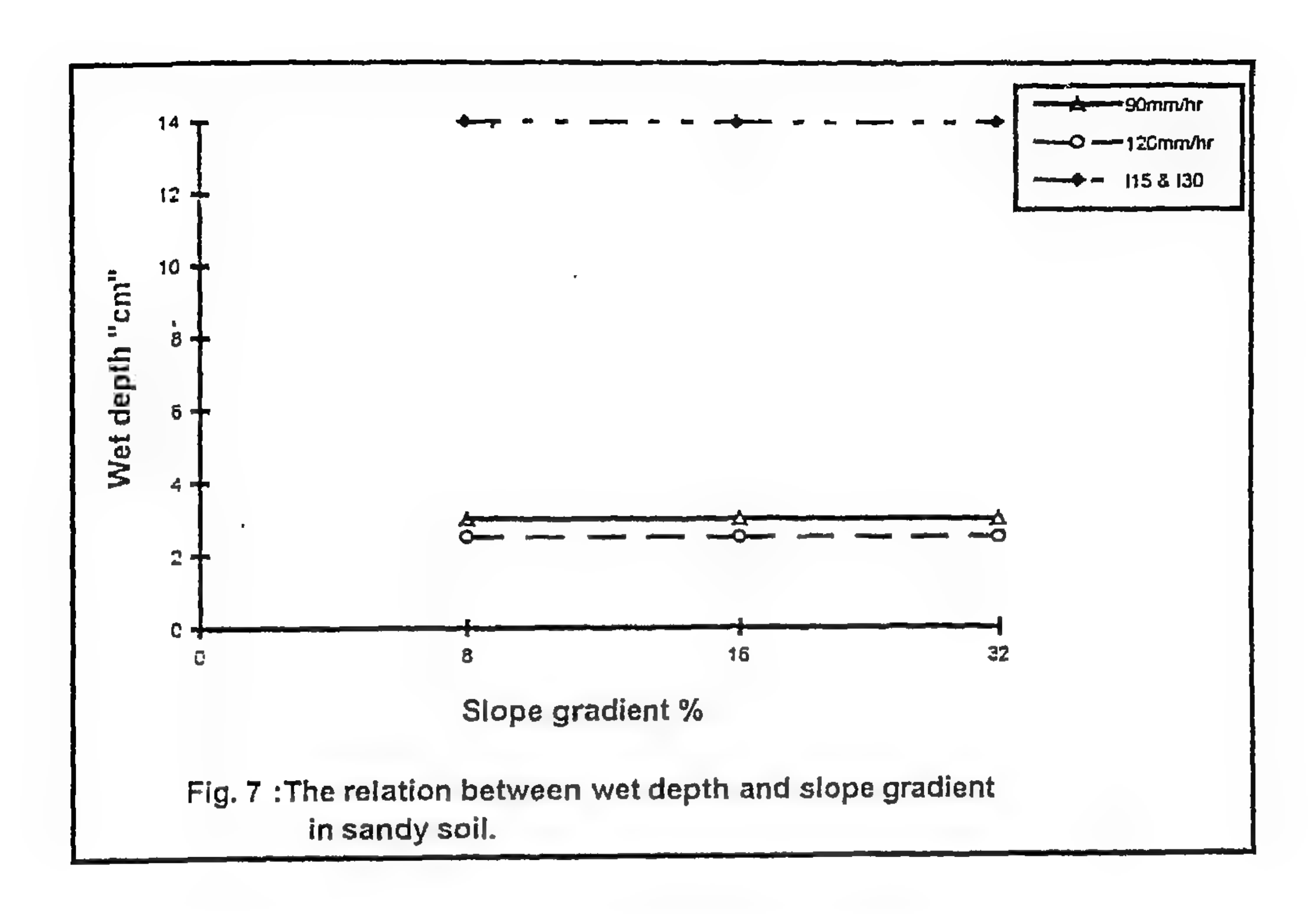


Fig. 7 :The relation between wet depth and slope gradient in sandy soil.

3.4 The relation between water content and slope gradient.

The percentage of water content in calcareous soil after simulated rainfall increased under short time rain (90 and 120 mm/hr rainfall intensities) as the slope gradient increased, because the decrease of wet depth at 8,16 and 32% slope gradients was more than the decrease of the infiltrated water volume at the same slopes. At I_{15} and I_{30}, water content decreased when the slope gradient increased, because the decrease rate of the wet depth volume at 8,16 and 32% slope gradients was less than the decrease rate of the infiltrated water volume at the same slope gradients. The exception was in I_{30} at 16 % slope gradient, where the water content had the maximum value (28.5 %), (Fig.8).

3.3 The relation between wet dentin and slope aradient

In calcareous soil, the wet depth decreased when the slope gradient increased at the short time rain 90 and 120 mm/hr rainfall intensities. The same trend occurred at I_{30} with a peak of decrease at 16% slope gradient. This peak of decrease is due to the smaller amount of the infiltrated water at 16% slope gradient than those of 8 and 32% slope gradients (4.999 and 4.3051iters, respectively). At I_{15} the wet depth increased when the slope gradient increased with a peak of increase at 16% slope gradient. (Fig.6).

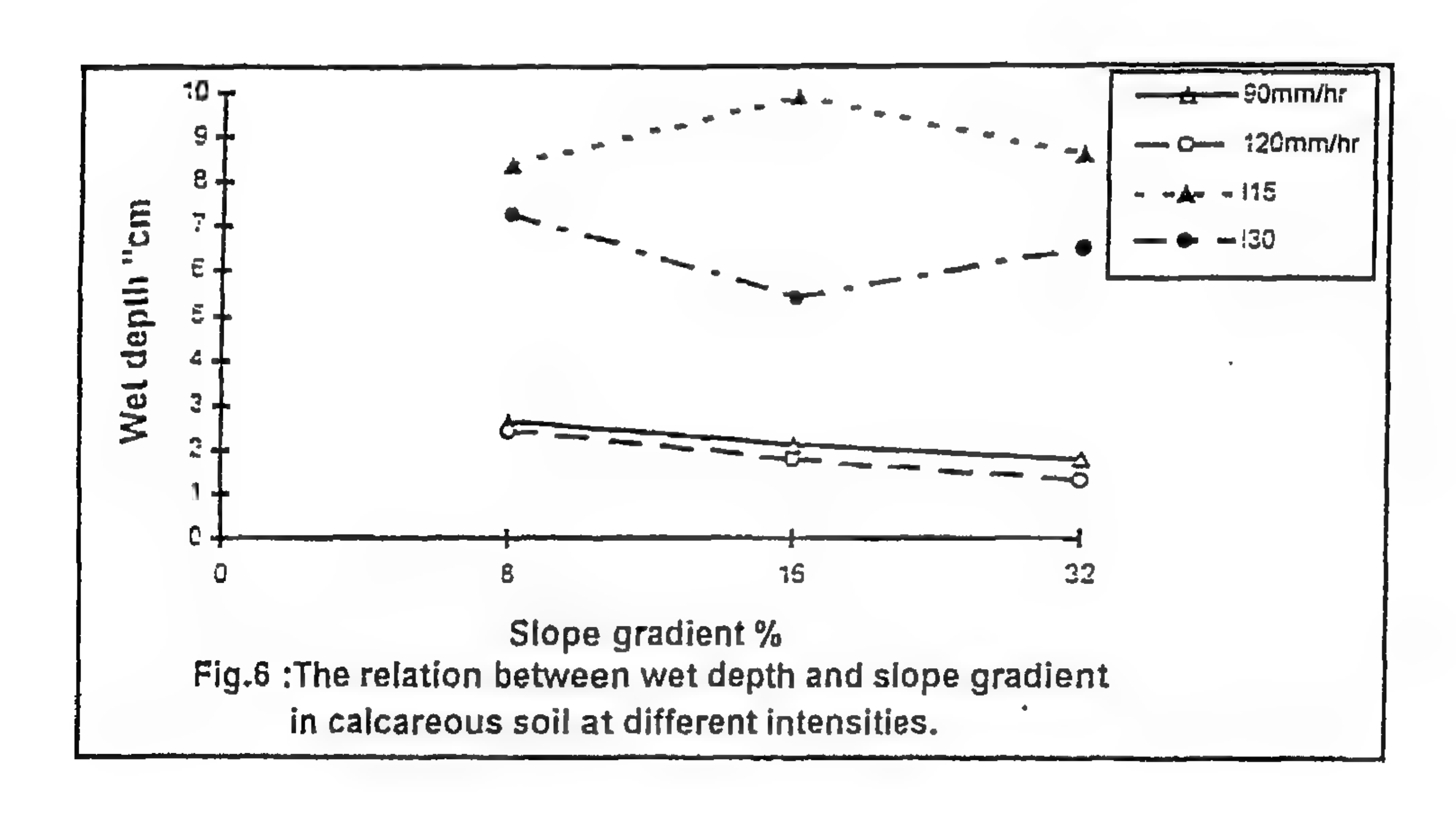


Fig.6 :The relation between wet depth and slope gradient in calcareous soil at different intensities.

12
9
6
3
0
Infiltration "liter"
90mm/h
120mm/
I15
I30
0
8
16
32
Slope gradient %

Fig4 The relation between infiltrated water and slope gradient at different intensities

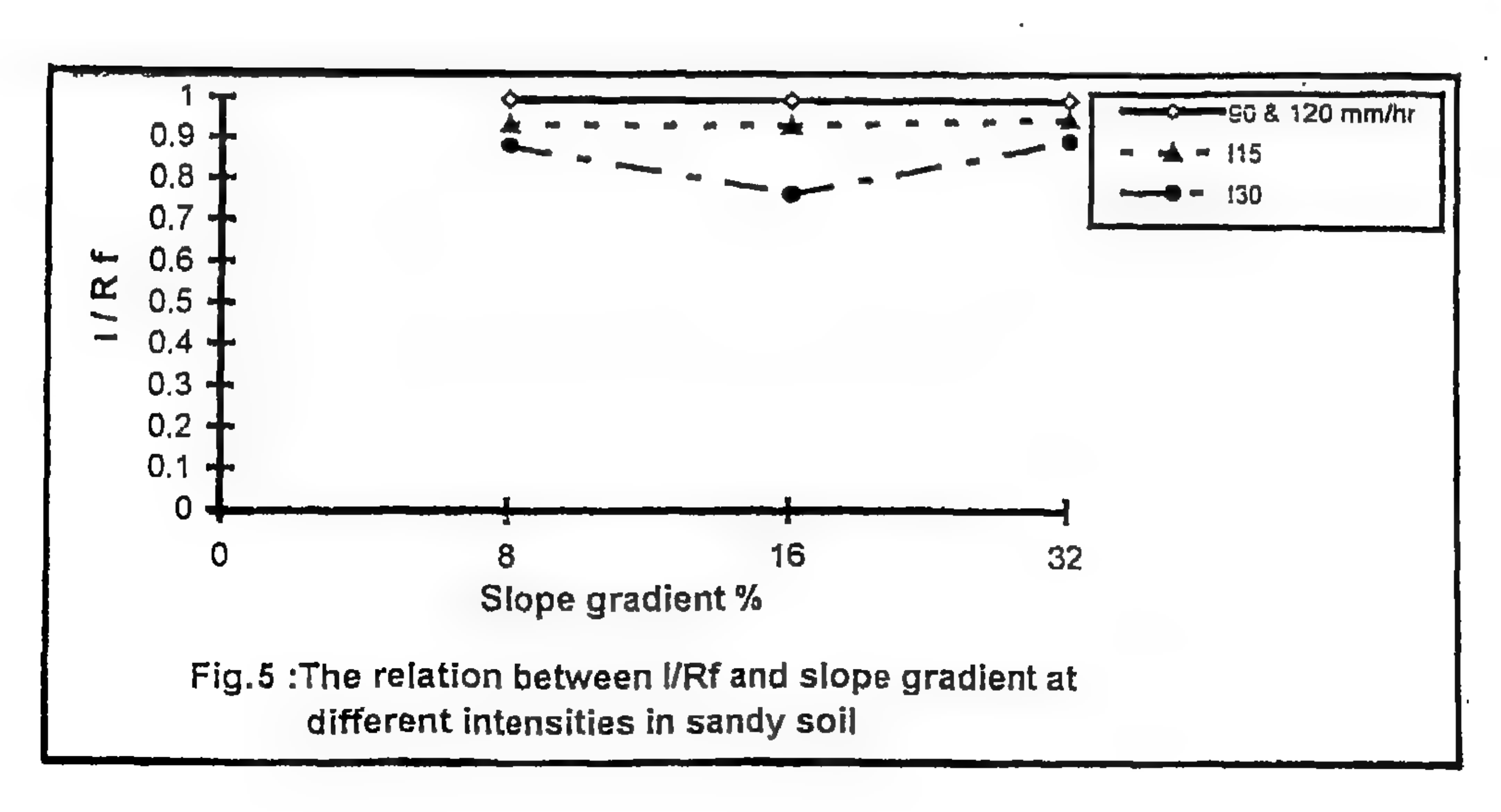


Fig.5 :The relation between I/Rf and slope gradient at different intensities in sandy soil

There is a relation between this infiltrated water and the rainfall amount (IA/Rf) which is defined as the volume of infiltrated water through the soil surface divided by the rainfall volume. ((IA/Rf)) values at 90, 120 mm/hr rainfall intensities, I_{15} and I_{30} decreased when the slope gradient increased. However, these values at 90 and 120 mm/hr rainfall intensities were higher than that values at I_{15} and I_{30} On the other hand, the rainstorms, which had higher rainfall intensities at both of short and long time rain, had higher values of ((LA/Rf), (Fig. 3).

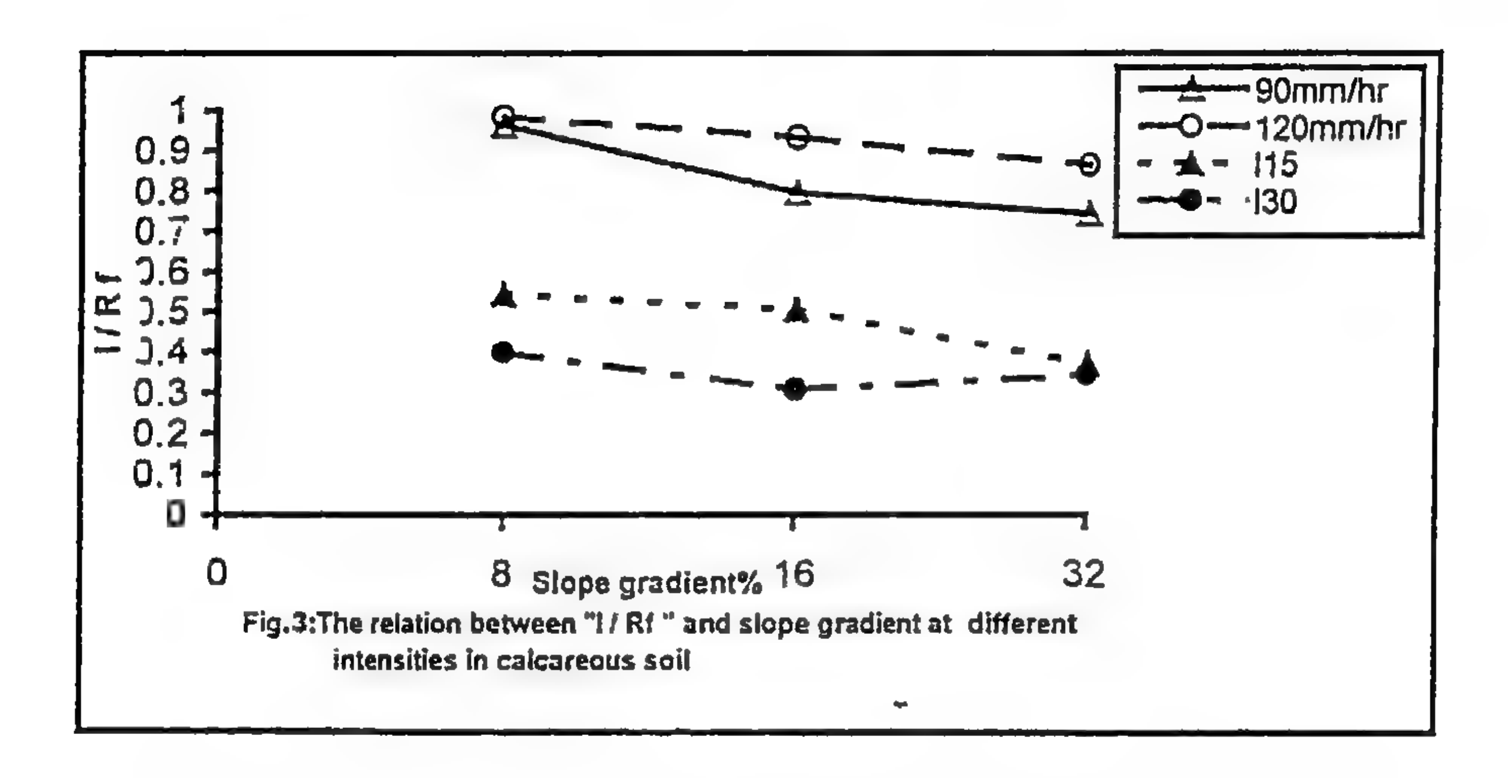


Fig.3:The relation between "I / Rf " and slope gradient at different intensities in calcareous soil

In sandy soil, it is evident that the influence of slope gradient on infltrated water through the sandy soil surface represented by horizontal-line relations under rainfall intensities of 90 and 120 mm/hr and a regular increase under I_{15} and I_{30} when the slope gradient increased, (Fig. 4).

((IA/Rf)) alues in sandy soil at 90 and 120 mm/hr rainfallintensities were similar. They possessed maximum value (1.0) at 8, 16 and 32% slope gradients, whereas ((IA/Rf), values at I_{15} increased when the slope gradient increased. But, at I_{30} ((IA/Rf)) a a value possessed a sharp decrease at 16% slope gradient, then a higher.

Table7: Wet stable aggregates(W.S.A.) in sandy soil

Size of particles ((mm))	Without dispersion ((%))	With dispersion ((%))	W.S.A.%
Gravel>2.0	-	-	-
Very coarse sand 2.0	00.21	00.18	00.03
Coarse sand	01.50	01.24	00.26
Medium sand	64.00	48.13	15.90
Fine sand	31.90	24.50	07.40
Very fine sand < 0.125	02.39	02.15	00.24
Total	100.00	76.20	2.8

3.2 The relation between infiltrated water amounts and slope aradient

Slope gradients played an important role under the various rainfall intensities to influence the quantities of infiltrated water through the surface of calcareous soil. Infiltrated water decreased when the slope gradient increased at short time rain (90 and 120 mm/hr rainfall intensities) and long time rain (I_{15} and 1_{30}), (Fig. 2).

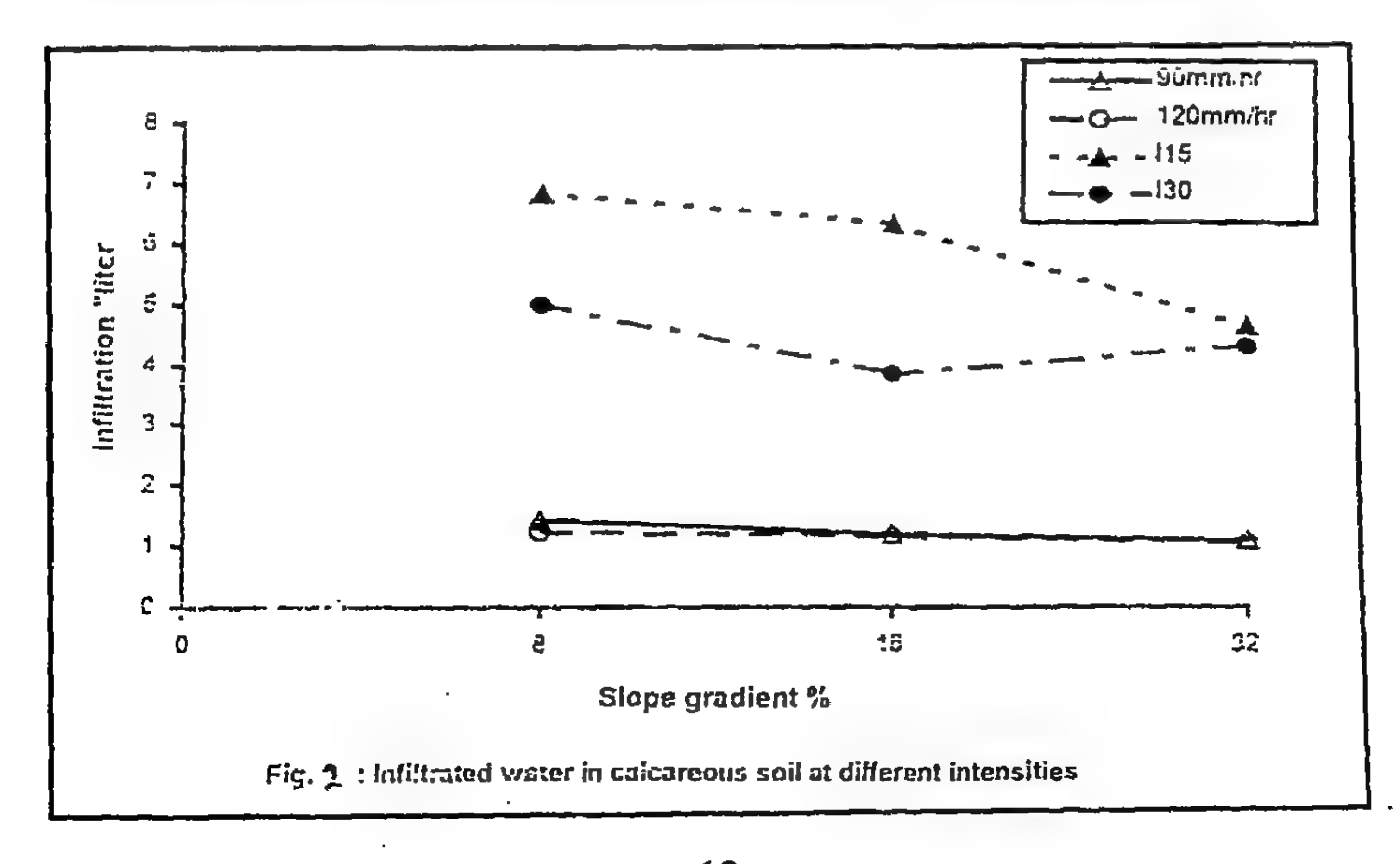


Fig. 2 : Infiltrated water in calcareous soil at different intensities

Table 5: Some physical and chemical properties of the soil samples.

	Soil property	Calcareous	Sandy
Mechanical analysis	**A: Dry sieving method**		
	Very coarse sand 2.0-1.0 mm	16.03	00.07
	Coarse sand 1.0-0.5 mm	09.59	01.53
	Medium sand 0.05-0.25 mm	13.13	78.09
	Fine sand 0.25-0.1 mm	13.80	18.93
	Very fine sand 0.1-0.05 mm	46.15	00.37
	Silt	00.61	00.07
	Clay	00.9	00.03
	B: Pipette method		
	Coarse sand 2.00 - 0.20 mm	08.50	92.50
	Fine sand 0.20 - 0.02 mm	52.98	05.50
	Silt 0.02 - 0.00 mm	18.40	01.40
	Clay < 0.002 mm	20.12	00.60
	Textural class	Sandy clay loam	Sand
	Structure	Massive	Massive
	Organic matter	00.25	00.05
	Hydraulic conductivity, cm/hr	00.89	16.00
	Total calcium carbonate, %	19.60	02.40
	Bulk density & soil samples, gr/cm3	01.71	01.63
	Bulk density of soil loss, gr/cm3	01.744	01.673

Table 6: Wet stable aggregates (W.S.A.) in calcareous soil

Size of particles ((mm))	Without dispersion ((%))	With dispersion ((%))	W.S.A.%
Gravel > 2.0	01.05	00.71	00.34
Very coarse sand 2.0- 1.0	01.33	00.93	00.40
Coarse sand 1.0- 0.5	05.10	01.47	03.60
Medium sand 0.5- 0.25	24.50	06.46	18.04
Fine sand 0.25- 0.125	26.60	10.48	16.12
Very fine sand < 0.125	41.42	11.40	30.02
Total	100	31.45	68.55

3- RESULTS & DISCUSSION

Several relations were investigated in this study under the simulated rainfall erosivity values that represent the semi-arid African regions. This rainfall erosivity values were 19.38 and 22.61 jouls/ha in short time rain, and 190.4 and203.54 jouls/ha in long time rain (I_{15} and I_{30}) at slope gradients of 8, 16 and 32%. These treatments, were performed on calcareous and sandy soil samples.

3.1 Characterization of the investicated soil samples

In calcareous soil sample, the textural class was sandy clay loam. The sandy particles represent the major value in mechanical soil analysis. The values of fine sand and coarse sand were 52.98%, and 8.5%, respectively. On the other hand, the values of silt and clay were 18.4 % and 20.12 %, respectively. Soil structure was massive and its bulk density was 1.71 gr/cm3. The wet stable aggregates was about 68.55%, and this was due to the high total calcium carbonate (19.6%) which worked as a cementing agent among soil particles. The organic matter was too little (0.25%). The hydraulic conductivity was 0.89 cm/hr.

In sandy soil sample, thc textural class was sand. The coarse sand and fine sand particles were 92.5 % and 5.5 %, respectively according to the pipette method of mechanical analysis. But, the silt and clay were too little (1.4 % and 0.6 %, respectively). The soil structure was massive and its bulk density was 1.63gr/cm3. The wet stable aggregates (W. S.A.) was about 23.8%. The total calcium carbonate and the organic matter were too little. Their values were 2.4% and 0.05%, respectively. The hydraulic conductivity was 16 cm/hr. (Tables 5,6 and 7).

from inside by plastic material and wax. The plot base has 49 breaches. The diameter of each one is 12 mm. Each one of these breaches has been allowed to stay at one sideof the right capillary tube to pass through it, while the other side touches the surface of the interior plot base.

This right capillary tube has a diameter of lOmm. Its top opening touches the surface of the plot base from the interior direction and has been directed opposite to the runoff direction. The down opening is in the bottom of the plot base from the exterior direction. The directions of these two openings of the right capillary tube easily allow to move down the plot, to collect the infiltrated water that exceeds the field capacity, and also, to outlet soil appears down the plot. The quantity of this out let soil depends on the area of the two openings of the right capillary tube. The area of each of these two openings is 1.57 mm^2, and the total area for all 49 top or bottom openings is about 7.69 cm^2.

The runoff opening may have two positions. In the first position, the down level of a runoff opening shape is at the same level of soil surface in the plot. This position may decrease the value of sediments in runoff, especially, with more soil erosion near the runoff opening. However, in the second position, the down level of the runoff opening shape is under the soil surface level. This position may increase the value of sediments in runoff. So, the second position was chosen with some methodical solutions to decrease the exposed area towards soil in runoff opening as follows: -

* The circle shape for runoff opening was chosen instead of the rectangle shape.

* The height of exposed area towards soil in runoff opening is 1 cm.

* Three runoff openings with each one of them has a diameter of 5 cm. were chosen, instead of one runoff opening only, in order to prevent runoff accumulation and sediments deposition at the plot corners in the down slope.

Finally, the soil samples were put in the plot tray according to their bulk densities in the field.

Logically, this velocity of 5.16 m/see affects the kinetic energy of the four falling raindrops in the laboratory which were used in this study and their radii were 1.41 and 1.48 mm at short time rain (90 and 120 mm/hr rainfall intensities) and 1.63 and 1.43 mm at long time rain (I_{15} and I_{30}), respectively. There fore, t-test was done between the kinetic energies of the three raindrops which have the similar radii average in natural condition and the kinetic energies of the same three raindrops under laboratory condition for 5.16 m/see of mean velocity. The calculated ((t)) values were less than the tabulated ones at both significance levels of 0.05 and 0.01, (Table 4)

Table 4: t-test on kinetic energy of raindrops under natural and laboratory conditions.

Raindrop radius "mm"	Raindrop velocity "m/sec"		Kinetic energy "j/m2"	
	Natural	Laboratory	Natural	Laboratory
1.400	7.82	5.16	0.351626	0.153097
1.500	8.06	5.16	0.457993	0.187710
1.800	8.60	5.16	0.903791	0.325365
Calculated " t "			1.302	
Significance level			Tabulated " t "	
0.05			3.182	
0.01			5.841	

Thus, t-test value was insignificant, which means that the effect ot the kinetic energy of these raindrops in laboratory was from the same population of the effect ofthe kinetic energy of the same raindrops, under natural conditions.

The experimental plot

The experimental plot used in this shudy is a micro plot type. Its dimension was 50 cm. length, 50 cm. width and 14 cm. depth. It is made of wood and covered

The number of the breaches is 63 on each diagonal and 19 on each ray. The distance between each breach and the next one on diagonal or ray is 6 mm. The distance between breaches in the rainfall vessel and the soil surface in the plot at slope gradient of zero is 140 cm. Logically, this distance decreases at the top slope when the slope gradient increases. So, the mean distance in relation to the distance at top and bottom slope at different slope gradients, besides the mean velocity of falling raindrops were calculated. (Table 3).

Table 3: Distance and velocity of falling raindrops under laboratory conditions

Slope gradient	Distance of falling raindrops ((cm))			Falling raindrops velocity "m/sec"
	Down slope	Top slope	Mean	
8%	140	136.4	138.2	5.21
16%	140	132.8	136.4	5.17
32%	140	125.0	132.5	5.1
Overall mean			135.7	5.16

The mean of this distance, whicll was 135.7 cm, did not allow the falling raindrops to reach their maximum velocities as in natural conditions. So, the velocity of a free falling mass that falls on the soil surface in the plot was calculated according to the equation proposed by Engelbert (1970)

$$V= 2gh$$

Where:

V is the velocity of free falling mass in m/see .

g is the gravetional acceleration in m/see.

h is the fall height of the free falling mass in m.

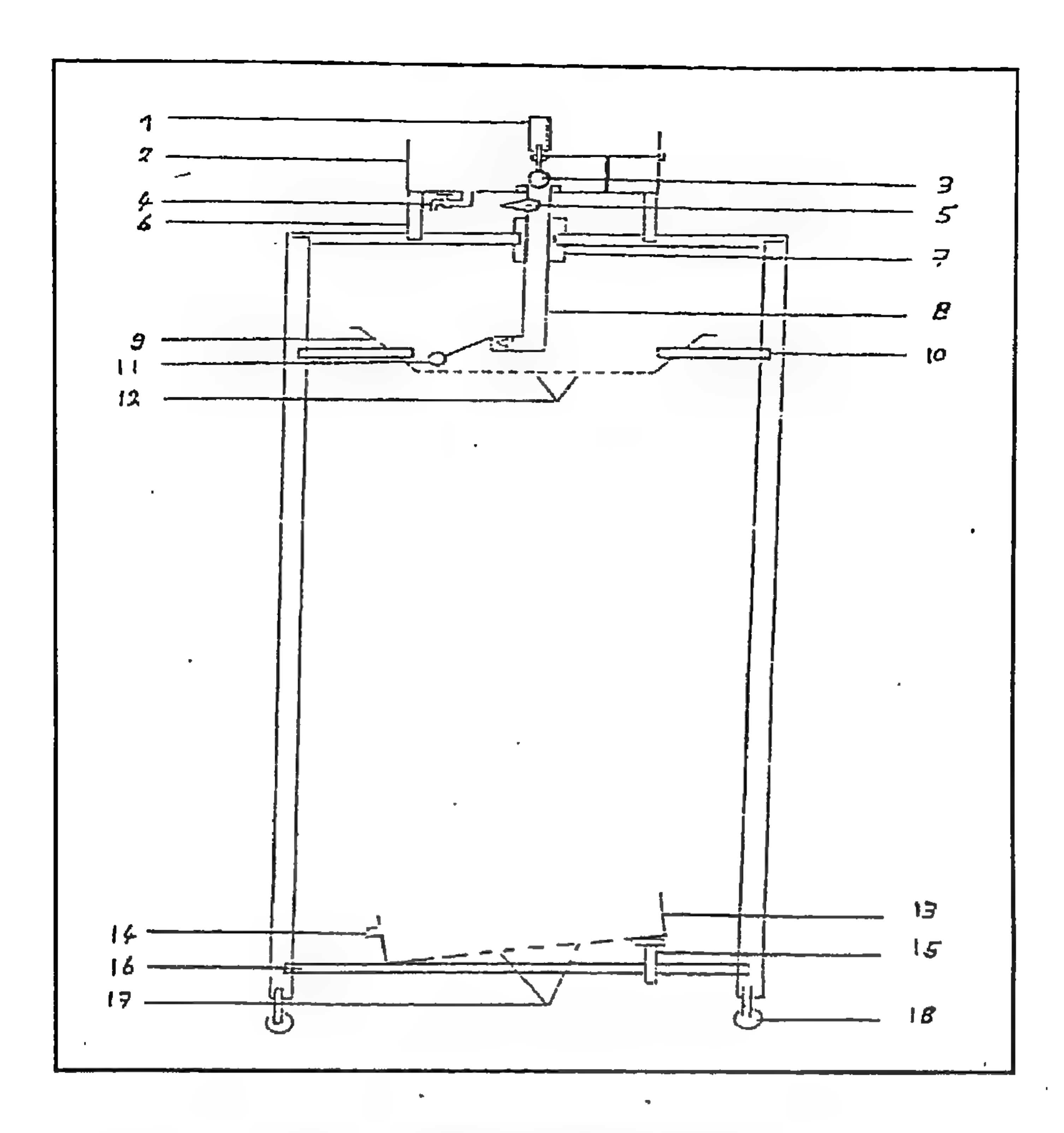


Fig. 1: Consistent rainfall simulator

1 Ruler

2 Water source vessel

3 Buoy

4 Tap

5 Valve

6 Pivot

7 Washer

8 Cylinder

9 Rainfall vessel

10 Fixed arm

1 1 Buoy

12 Breaches

13 Plot

14 RunoiRf opening

15 Slope nail

16 Bar

17 Breaches

1 8 Wheel

Table 2: Calibrtion list of the water source vessel.

Ruler scale "mm"	Water height "mm"		Water volume "cm3	Ruler scale "mm"	Water height "mm"		Water volume "cm3
	Before calibration	After calibration			Before calibration	After calibration	
5	0	00.0	00..	37	32	30.9	07727
6	1	01.0	0250	38	33	31.8	07955
7	2	02.0	0500	39	34	32.7	08182
8	3	03.0	0750	40	35	33.6	08409
9	4	04.0	1000	41	36	34.5	08636
10	5	05.0	1250	42	37	35.4	08863
11	6	06.0	1500	43	38	36.3	09090
12	7	07.0	1750	44	39	37.3	09318
13	8	08.0	200	45	40	38.2	09545
14	9	09.0	2250	46	41	39.0	09773
15	10	10.0	2500	47	42	40.0	10000
16	11	11.0	2750	48	43	40.9	10238
17	12	12.0	3000	49	44	41.9	10476
18	13	13.0	3250	50	45	42.8	10714
19	14	14.0	3500	51	46	43.8	10952
20	15	15.0	3750	52	47	44.7	11190
21	16	16.0	4000	53	48	45..7	11428
22	17	17.0	4250	54	49	46.6	11667
23	18	18.0	4500	55	50	47.6	11905
24	19	19.0	4750	56	51	48.6	12143
25	20	20.0	5000	57	52	49.5	12380
26	21	20.9	5227	58	53	50.0	12500
27	22	21.8	5455	59	54	51.4	12857
28	23	22.7	5682	60	55	52.3	13095
29	24	23.6	5909	61	56	53.3	13333
30	25	24.6	6136	62	57	54.3	13571
31	26	25.5	6364	63	58	55.2	13810
32	27	26.4	6590	64	59	56.2	14048
33	28	27.3	6818	65	60	57.1	14285
34	29	28.2	7045	66	61	58.0	14524
35	30	29.0	7272	67	62	59.0	14762
36	31	30.0	7500	68	63	60.0	15000

Table 1: The experimental design for calcareous & sandy soil

Rainfall amount "mm"	5	6	50	50
Raining period "min"	2.5	4	15	30
Rainfall intensity "mm/hr" (calculated)	120	90	200	100
Slope gradient %	8,16&32	8,16&32	8,16&32	8,16& 32
Replications for each	3	3	3	3

Rainfall simulator

Rainfall simulator components are illustrated in Fig. (1). The water source vessel shape is an inverted completed cone. It has a ruler scale in its center. The ruler starts from zero until the maximum scale 90 mm. This maximum scale is not exactly in the bottom of the vessel . The water volume from bottom until scale 68mm is 15 liters, and from scale 68 mm to 5 mm is also 15 liters. So, calibration in relation to the size of water inside this vessel at each mm height was done and represented as in Table (2). The bottom base of water vessel has 404 breaches. The diameter of each breach is 1 mm. These breaches have been distributed on 4 diagonals and 8 rays.

deposition. For this reason, the rainfall amount, rainfall duration, soil characteristics and topographic area have a large effect on the quantity of runoff (Wischmeier et al,1958; Minshall, 1962; Dedrick,1967; Walker et al.,1978).

Runoff yield can be estimated from rainfall records specially in arid regions that don't have reservoir of groundwater and seepage flow by using the following formula, (Hudson, 1993),:

$$Q = P - L$$

where:

Q is the runoff in mm, P is the rainfall in mm, L is the losses which represent infiltration and evaporation in mm.

A more accurate method to estimate the yield of runoff depends on the losses that are going to vary according to the amount of rainfall in a stone and also, the amount of moisture wllich can be absorbed by the soil. Therefore. the present experiments were conducted to examine the effect of variations rainfall intensities and slope gradient on quantities of infiltrated amounts of water, wetting depth and moisture content through the surface of calcareous and sandy soils.

MATERIALS & METHODS

Calcareous and sandy soils that represent the major areas in semi-arid African environments were chosen to conduct this study. The calcareous soil sample was collected from "(Kabelat Sammala)) farm, about 5km. South of Mersa Matrouh, and the sandy sample was collected from ((El-Sheikh Zowid, El-Areish, North Sinai)). These two samples were collected from the soil surface to a depth of 15 cm.

The experimental design

Four treatments were chosen as 5,6,50 and 50mm rainfall depths during raining period of 2.5, 4, 15 and 30 minutes, respectively. Their rainfall erosivity values were estimated as 19.38, 22.61, 203.54 and 190.4 joule/ha, respectively. Three slope gradients (8, 16 and 32%) were selected to demonstrate the low, medium and high sloping areas. The boundry conditions for all replications were no wind effect, lab temprature degree, flat soil surface and air dry soil, (Table 1).

sites in valleys (Afift et al. 1992.-1). The physical and chemical properties of the soils are the most important factors to determine the water erosion ratio (Sharma and Biswas, 1972).

Water erosion process is divided into two important erosive agents: falling raindrops and runoff. Both of them have a complete erosive agent within itself. That is because each one of them will detach and transport soil materials (Ellison, 1947. Part II and V).

Detachability of soil particles, as an erosive agent, is directly related to rainfall intensity. It decreases with the large particles, but, increases with the medium and small size particles specially in the case of a reduction in rainfall intensity (Fanner, 1973). Both detaching and transporting capacities of an erosive agent may vary independently of each other. For example, maximum transporting capacity, and minimum detaching capacity result in very little erosion with the clear water. On the other hand, maximtum detaching capacity and minimum transporting capacity result in again very little erosion with water that is fully charged with soil particles. Maximum erosion will occur when detaching and transporting capacities of the flow are balanced (Ellison, 1947.Part I and IV).

Many laboratory experiments were done using simulated rainfall to know the relation between the erosive agents of falling raindrops and the factors that affect the detaching and transporting capacities in splash erosion. On a flat surface the splash was about the same in all direction, but on a soil with sloping surface the splash was greater downslope than upslope. The higher aggregate stability of the calcareous soil declined the splash erosion rate, and that was due to crusting or sealing of the soil surface (Mcintyre, 1958).

Runoff is the second erosive agent in water erosion process which is defined as flowing water from upslope to the downslope and gain a force from this flow. Once runoff starts, the force of flowing water detaches the soil aggregates and transports the soil particles downslope (Haan and Barfield, 1978). The quantity and size of transported soil particles increase when the velocity of runoff increases. But,this velocity may decrease at some points downslope resulting in sediment

sandy soil, the wet depth was a fixed depth at the three slope gradients (8, 16 and 32%). It was 2.5 and 3 cm at rainfall intensities 120 and 90 mm/hr, respectively, and it was 14 cm with I_{15} and I_{30}.

In calcareous soil, water content increased at short time rain and decreased at long time when the slope gradient increased. In sandy soil, water content was at a fixed value at short time rain when the slope gradient increased. At I_{15}, it had similar values when the slope gradient increased. But, it decreased at I_{30} when the slope gradient increased.

Out let soil particles occurred only under the experimental plot in the case of sandy soil at long time rain conditions. In general, this kind of soil particles increased with the increase of slope gradient at I_{15} and I_{30}.

Water used in muoff process is the nunoff without suspension which runs on the sloped surface. W/Rf which is defined as the water used in runoff process divided by rainfall amount is another new value used to know the real trend of water used in ruoff process when the slope gradient increases. In this respect, the general nunoff trend on calcareous soil was toward the increase when the slope gradient increased at short and long time rain. But, in sandy soil, no runoff occurred at short time rain. But, the water used in runoff process increased by increasing slope gradient until 16%, then it decreased when the slope gradient reached 32% at long time rain.

"A/Rf "and "A/W" are two new values which lead to know the real trend of soil loss at different slope gradient. In general, they showed that calcareous soil loss increased when the slope gradient increased at the short and long time rain. The same behavior occurred in sandy soil at only the long time rain. But. in the short time rain. no sandy soil loss occurred.

INTRODUCTION

Water erosion is one of the natural processes that plays an important role in soil formation (Wild, 1993). It is considered a removal action of soil particles which differ in their physical and chemical properties from their original locations to new

Cairo Univ. Afr. Stud. Rev. 20 (1998): p1 - 36.

Rainfall And Runoff Erosivity In Some Arid African Environments

BY

Fawzia I. Moursy*, Adel S. El-Hassanin*, Mohammed E. Shawky**

and Nagy M. Kamel*.

ABSTRACT

This study was an empirical work conducted in the Laboratory by using rainfall simulator to know the effect of rainfall and runoff erosivity in some arid African environments.

Two types of soils were used, calcareous and sandy. The calcareous soil sample was obtained from "Kabelat Sammala" in south of Mersa Matrouh area. The sandy soil sample was obtained from "El-Sheikh Zouied area " at El-Areish, North Sinai. There were two types of raining periods on calcareous and sandy soils. They were short time rain and the long time rain . The slight, medium and high sloped areas in semi-arid African environments were represented by slope gradients of 8, 16 and 32% in this study.

The experimental plot and its blocky cover which contain the soil sample were designed in a way to prevent water and soil particles to splash out of them. IA/Rf . which is defined as the volume of infiltrated water divided by the rainfall amount, is a new term, developed to reflect one of the important soil response during rainfall. In calcareous soil, the IA/Rf values decreased when the slope gradient increased in both of the short and long time rain. But, it increased in sandy soil when the slope gradient also increased.

Wet depth decreased in calcareous soil when the slope gradient increased at short and long time rain. But, there was a possible increase in wet depth at I_{15}. In

*) Dept. of Natural Resources, Inst. Of African Research & studies, Cairo Univ.

**) Dept. of Soils, Fac. Of Agriculture, Cairo Univ.

CONTENTS

Cntribution to this magazine are welcomed and should be sent to:

Prof. Dr. El- Sayed A. Flefil

P. O. Box 12613 Giza Egypt

AFRICAN STUDIES REVIEW

Y



Vol. 20 1998

Issued by the Institute of Research and African-Studies, Cairo University.

P. O. Box 12613 Giza Egypt

AFRICAN STUDIES REVIEW



Vol. 20 1998

Issued by the Institute of Research and African-Studies, Cairo University.

P. O. Box 12613 Giza Egypt